بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)

اجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم رباعي : حنان بنت صالح محسن حكمي

القســـم : التربية الإسلامية والمقارنة

الدرجة العلمية : الماجستير

التخصص : تربية إسلامية ومقارنة

عنوان الاطروحة : مباديء وتوجيهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فبناء على توصية اللجنة المكونـة لمناقشة الاطروحـة المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ : ١٤١٩/٢/٦هـ بقبول الاطروحة بعد اجـراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصي باجازة الاطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ،، والله الموفـق ،،،،٠

أعضـاء اللجنـة

المشـــرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسـم : د. آمال حمزة المرزوقي أبوحسين	د. اميره طه بخش	د. هاشم بكر حريري
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د. حامد سالم عايض الحربي

* يوضع هذا النموذج امام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة في كل نسخه *

المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
عمادة الدراسات الجامعية للطالبات
كلية التربية بمكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة





مباديء وتوجيهات تربوية
مستنبطة من خطب الملك عبد العزيز آل سعود

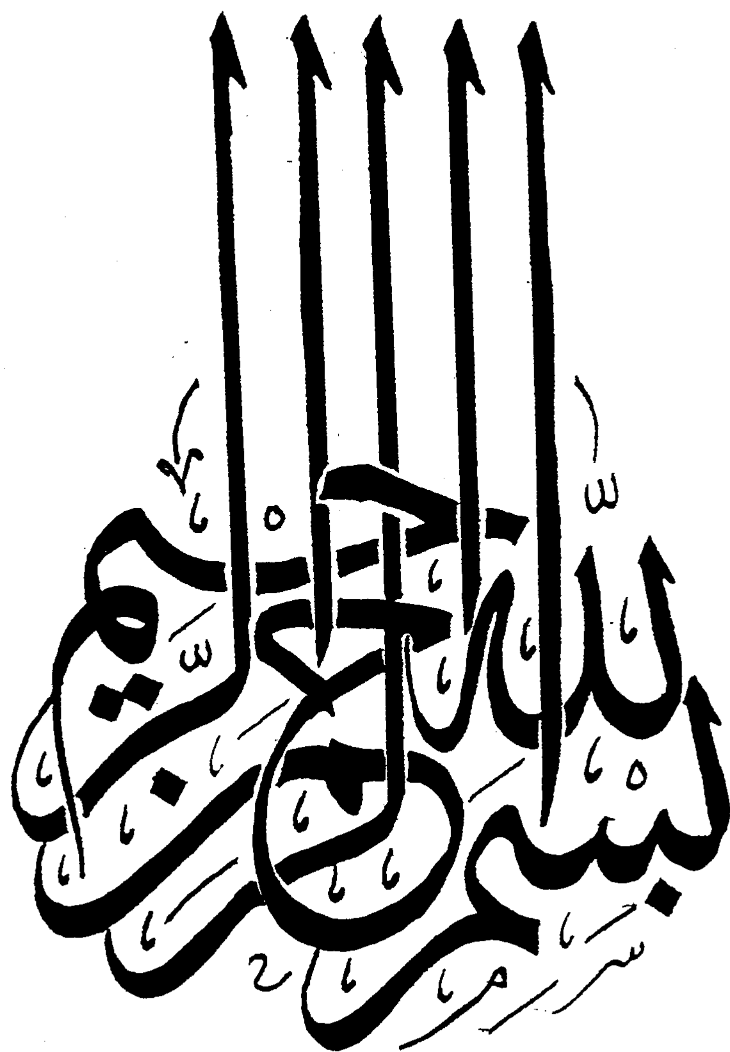
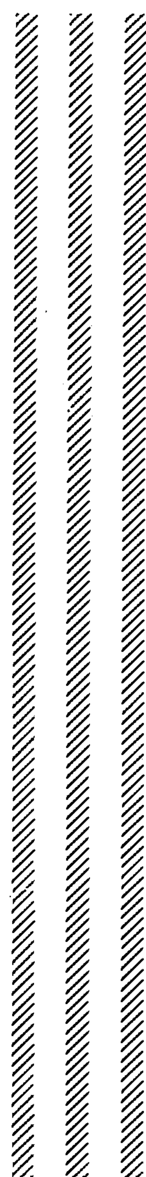
المجموعة فى كتاب المصحف والسيف
لمحيى الدين القابسى

إعداد الطالبة
حنان بنت صالح بن محسن حكمي

إشراف الدكتورة
آمال حمزة المرزوقي أبو حسين

بحث مكمل لمتطلب الحصول على درجة الماجستير
فى التربية الإسلامية والمقارنة مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة
فى كلية التربية ــ جامعة أم القرى

الفصل الدراسى الثانى لعام ١٤١٨هـ


بسم الله الرحمن الرحيم


الإهداء

إلى من أشاد بمنهج الدولة في تطبيق الشريعة الإسلامية ، منذ نشأتها الأولى ، وأكد على السير بحزم على هذا المنهج كما كان عليه الاسلاف ، فوجه فكري نحو التأريخ لأقف عند حدود مصداقية المنهج في البناء والتقدم والرقي .

إلى من اتخذ من سياسة والده في الإلتزام والتطبيق قولاً وعملاً نبراساً ، فأثبت للعالم أن الشريعة الإسلامية أفضل نظاماً للتآلف الإجتماعي والإستقرار .

إلى من سعى إلى إبراز الوجه الإسلامي الواضح لمملكته ، فأخذ لنفسه مسمى (خادم الحرمين الشريفين) .

مليكي الذي نقشت انجازاته وساماً في جبين الدهر

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رعاه الله

وإلى الأسرة السعودية الحاكمة حفظهم الله جميعاً .

وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية على يد عاهلها الأول الذي ملأ سمع الدنيا وبصرها

الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه

الباحثة

ملخص البحث

عنوان البحث : **المبادىء والتوجيهات التربوية المستبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود .**

وهو عبارة عن دراسة تاريخية وصفية ، لإستنباط المبادىء والتوجيهات التربوية التي ركز عليها الملك عبدالعزيز في قيام المملكة العربية السعودية ، وذلك من خلال خطبه التي ألقاها رحمه الله في مختلف المناسبات . واقتصر البحث على الخطب التي قام الشيخ محيي الدين القابسي بجمعها في كتابه المصحف والسيف .

تهدف الدراسة إلى : التعرف على الظروف السياسية والإجتماعية التي سادت في مجتمع شبه الجزيرة العربية عند نشأة الملك عبدالعزيز ، وأثرها على شخصيته ، ثم الوقوف عند أهم وأبرز المبادىء والتوجيهات التربوية التي كان يركز عليها في خطبه .
وقد تضمنت الدراسة الفصول الآتية :

الفصل الأول : وقد اشتمل على خطة البحث .

الفصل الثاني : ويشمل لمحة موجزة عن سيرة الملك عبدالعزيز آل سعود ، وأبرز الصفات والجوانب التربوية في شخصيته ، وأهم القضايا التي كان يركز عليها من خلال خطبه .

الفصل الثالث : ويشمل الظروف السياسية والإجتماعية في شبه الجزيرة العربية عند نشأة الملك عبدالعزيز آل سعود فيها .

الفصل الرابع : ويشمل المبادىء والتوجيهات التربوية المستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله .

وقد ختمت الدراسة بخاتمة موجزة متضمنة للنتائج التربوية التي كان من أهمها : أن العقيدة الإسلامية هي الأساس المنظم لحياة الأفراد ، الإجتماعية والسياسية والأخلاقية . وأن قيام المملكة العربية السعودية ، لم يكن ليتحقق لولا تطبيق الملك عبدالعزيز آل سعود للمبادىء الإسلامية كما نصت عليها العقيدة الإسلامية .

وانتهى البحث إلى عدد من التوصيات أهمها أن سيرة الملك عبدالعزيز آل سعود ، مليئة بالمبادىء والقيم الأخلاقية ، في مختلف جوانب شخصيته ، جدير بنا أن نقف عندها لتحليلها ودراستها ، ومن ثم الإقتداء بها .

الباحثة	المشرفة	عميد كلية التربية
حنان صالح محسن حكمي	د / آمال حمزه المرزوقي أبوحسين	د / عبد العزيز عبد الله خياط

شكر وتقدير

ابتهل إلى الله عز وجل بالحمد والثناء والشكر ، فهو المستحق للشكر أولاً وأخيراً . ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من كان له الفضل في إخراج هذا البحث .

وأخص بالشكر جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، هذا الصرح الشامخ من صروح العلم في مملكتنا الحبيبة الذي له الفضل الكبير عليَّ وعلى الكثيرين غيري من طلاب وطالبات العلم . كما أتوجه بالشكر إلى كلية التربية ممثلة في قسم التربية الإسلامية والمقارنة وجميع أعضاء هيئة التدريس فيها . وأخص بالشكر والتقدير والإمتنان استاذتي الفاضلة الدكتورة آمال حمزة المرزوقي أبوحسين والتي تفضلت مشكورة بالإشراف على البحث حتى ظهر بالصورة التي هو عليها .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى كلٍ من الدكتور / عبدالله حريري . والدكتور / عمر عطار واللذان قاما مشكورين بتحكيم خطة البحث وإجراء التعديلات اللازمة عليها وكان لتوجيهاتهما الأثر البالغ في إخراج هذا البحث .

وأخيراً أتقدم بالشكر إلى كل من :

الدكتور / هاشم بكر حريري .. مناقشاً خارجياً .

الدكتور / اميره طه بخش .. مناقشاً داخلياً .

اللذين شاركا في مناقشة هذا البحث ، وتقديم الملاحظات والتعديلات التي من شأنها تطوير البحث وإخراجه في صورته النهائية .

لكل هؤلاء أتقدم بخالص الشكر والتقدير . واطلب لهم من الله عز وجل أن يجزيهم عني وعن كل طالب علم خير الجزاء أنه سميع مجيب .

الباحثة

قائمة المحتويات

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــوع **رقم الصفحة**

تابع قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــوع رقم الصفحة

الفصل الأول

- المقدمة .
- موضوع البحث .
- أهمية البحث .
- أهداف البحث .
- تساؤلات البحث .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .
- موقع الدراسة الحالية .

« ... الشيء الذى تأثرت به من الملك عبد العزيز ، هو أنه مرب كبير ، ودائما عندما نكون في حضرة الملك عبد العزيز يكون التركيز الأساسى هو كيف يوضح لنا مفهوم العقيدة الإسلامية .. فإن توجيهاته أو حديثه معنا كأبناء له ينصب على إيضاح مفهوم العقيدة الإسلامية إذا تمسك بها الإنسان أو تركها . وكان موجهاً عظيماً رحمه الله وحريصاً على أن تؤدى الواجبات التى فرضها رب العزة والجلال علينا لذلك أدى واجبه رحمة الله عليه من هذه الناحية وأوضح لنا الطرق والأساليب التي على أساسها يستطيع الإنسان أن يكيف نفسه ويكونها » . (أبو راس ، الديب ، ١٤٠٧هـ ، ص٩)

* من حديث الملك فهد بن عبدالعزيز ، في اللقاء الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض يوم الأربعاء غرة شعبان ، ١٤٠٤هـ ، الموافق ٢ مايو ١٩٨٤م .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال تعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ . « الأحزاب ، آية : ٢٣ »

الحمد لله الذي وفق للأمة الإسلامية رجالاً مؤمنين عاهدوا الله فصدقوا وأوفوا ، قويت عزائمهم بقوة الإيمان والصبر فقويت إرادتهم ، رسموا طريقاً واضحاً للإيمان فسلكوا طريق النصر . وقد سطر لنا التاريخ سير العظماء من الأنبياء الذين كان محمد ﷺ خاتمهم فقال :

« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

رواه أبو داود (أبو داود ، الملاحم ، جـ ٤ ، ص٤٨٠)

فحقاً كان ما قال عليه أفضل الصلاة والسلام .

فكلما تدهور حال الإسلام والمسلمين ، سخر الله عز وجل من خلقه من يعيد له عزته ويجدد تراثه ويعيد منهجيته التي رسمها المصطفى ﷺ ، حتى أصبح تراث الأمة الإسلامية الطويل على مر القرون جزءاً لا يتجزأ من تراث رجالها وعلمائها منذ القرن الأول للهجرة الذي ظهر فيه الخلفاء الراشدين وغيرهم ، وحتى القرن الثالث عشر للهجرة حيث دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجهود آل سعود في نشر الدعوة الإسلامية .

وفى عام ١٢٩٣ من الهجرة أي في أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة ولد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فكان أحد المجددين في القرن الرابع عشر الهجرى ، وقد أجرى الله عز وجل على يده الكثير من النعم مثل : تحكيم الشريعة الإسلامية في مملكته ، ونشر دعوة التوحيد ، وإقامة الحدود ونبذ الفرقة وغيرها ، فكان من أبرز المجددين وأعظمهم . استطاع بقوة إيمانه وصبره

وشجاعته أن يوحد مملكة في أقل من خمسين عام ، فحول مجتمع الجزيزة العربية من قبائل مقتتلة ، إلى شعب علّمه معنى المواطنة والإستقرار وأشاع بين أفراده حب المعرفة وطلب العلم ، وأعاد للأمة الإسلامية مجدها وعزتها التي فرضها الله عز وجل عليها فاستطاع بذلك أن يكون من خيرة رجال التاريخ ، ومن قدوة التربية الإسلامية ، وأشهر المجددين والموحدين لشبه الجزيزة العربية . (عسه ، ١٩٧١م ـ ١٣٩١هـ ، ص١٠) .

وقد سطر لنا التاريخ سيرة البطل العظيم ، ومواقفه ، وبعض من جوانب شخصيته . كما حرص المهتمون في مجال التربية والتعليم على نقل مآثره بين الأجيال باعتبار أن الأمة الإسلامية تستمد قوتها وعزتها من تراثها ، كما أن المحافظة على الأصالة والتراث هو أحد الأهداف الأساسية التي تهدف التربية الإسلامية إلى تحقيقها . والتعليم من أهم القضايا التربوية التى ركز عليها الملك عبدالعزيز لقيام المملكة العربية السعودية وإستمرارية رقيها وتقدمها . فبعد أن حقق ما أراد من إسترجاع الأرض وتوحيد الكلمة وتأسيس الدولة على أساس العقيدة الإسلامية ، بدأ يؤمن إيماناً واثقاً بأن نهضة البلاد وتقدمها لا يكون إلا عن طريق التعليم وكان الهدف الرئيسي الذي تهدف سياسة التعليم إلى تحقيقه في نفس المتعلم هو ترسيخ العقيدة الإسلامية ، وجعلها ضابطاً منظماً لسلوكه وتصرفاته وتنمية خشية الله وتقواه في قلبه .

وقد تجسد في شخصية عبد العزيز الموحد الكثير من الصفات التي تميزه عن غيره من الرجال ، كما تحلت أخلاقه بالكثير من القيم التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس أجيالها ، فكانت شخصيته هي الشخصية التربوية الإسلامية التي جمعت بين السلطان والقرآن .

لذلك فقد عمدت الباحثة إلى محاولة دراسة خطب الملك عبد العزيز للتعرف على تلك الشخصية من جانبها التربوي ، واستنباط بعض المباديء والتوجيهات التربوية المتضمنة فيها فالأمة الإسلامية اليوم في أشد الحاجة إلى التوجيه التربوي البناء . كما أن البحث في التراث الإسلامي واستنباط التوجيهات التربوية منه

يساعد على إظهار قواعد التربية الإسلامية الأساسية ، وفى تاريخ الملك عبد العزيز الكثير من الآثار التربوية الحاسمة في مستقبل الأمة الإسلامية ، فشخصيته لم تكن فقط تلك الشخصية العسكرية السياسية ، بقدر كونها شخصية إسلامية تربوية ، إضافة إلى ذلك فإن مآثره مازالت تتلمسها الأجيال فهو القدوة الإسلامية العظيمة التي يمكن أن يكون لها أثر فعال في نفس المتعلم وفكره ، فيعرف ويكتسب مفاهيم مازالت مآثرهـا واقعة تحت سمعه وبصره ، فيصبح لديه يقيناً قاطعاً ، وهذا من أعلى مراتب العلم بخلاف مالو كان الحديث عن شخصية عظيمة عاشت في عصر بعيد لم يدركه المتعلم ولم يتلمس مآثره .

لكل هذا وقع اختيار الباحثة على محاولة استنباط المباديء والتوجيهات التربوية التي تضمنتها خطب الملك عبد العزيز رحمه الله .

موضوع البحث :

لقد عادت الأوضاع في شبه الجزيرة العربية إلى أسوأ مما كانت عليه في الجاهلية ، وذلك في الزمن الذي تم فيه الاحتلال التركي على البلاد العربية ، ونتائج هذا الاحتلال كانت تظهر بوضوح حيث البدع والخرافات والظلم والإضطهاد والسلب والنهب والخوف والجهل .

ولعل هذا يعود إلى عدة أسباب أهمها البعد عن الدين وإفتقار الأمة الإسلامية إلى القدوة الحسنة والسلطان العادل في تلك الأثناء . وقد ظلت الأوضاع على هذا الحال في شبه الجزيرة العربية إلى أن وفق لهذه الأمة أن تعيد عزتها ومجدها مع بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذلك في أواسط القرن الثانى عشر للهجرة أي حتى ظهر في قلب نجد شيخ في مقتبل العمر ، فرفع صوته بالدعوة إلى الإصلاح وإلى ترك البدع والخرافات والرجوع إلى الإسلام الصحيح المبرأ من الشوائب المنزه من العيوب ، فكان أول صوت يرتفع في العالم العربي بالدعوة إلى الإصلاح والنهوض كما كانت أول بشير يبشر بالقومية العربية ، ويدعو إلى إحيائها وتعزيزها . (سعيد ، ١٩٦٤ م ، ص١٦) .

وقد كان للأسرة المالكة في المملكة العربية السعودية والمتمثلة في آل سعود، الفضل الكبير في مساندة هذه الدعوة إلى أن نمت وأزدهرت وذا ع أمرها بين العرب خاصة والمسلمين عامة .

وقد بدأت رحلة الكفاح عند وفود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الأمير محمد بن سعود وذلك فى بلدة الدرعية بنجد . حيث عرض الشيخ دعوته على الأمير محمد بن سعود الذى تقبلها وقام بحمايتها ونشرها فى بلاد العرب ، وبالفعل فقد حققت الدعوة الوهابية نجاحاً كبيراً إلا أنه لم يكن لها الأثر المطلوب بين المسلمين « لأن الإصلاح الذى نادت به كان إصلاحا ضئيلاً جداً ، وكان الغرض منه دينياً محضاً ، مع أن الإصلاح المطلوب للمسلمين فى هذا القرن لم يكن إصلاحاً دينياً فقط ، بل كان إصلاحًا دينياً وسياسياً وإجتماعياً وعلمياً » . (الصعيدى ، د . ت ، ص٤٣٩) .

ثم جاء الملك عبد العزيز الذى لم تنفصل حياته عن الدعوة إلى الإسلام فتمكن هذا القائد الحكيم من إصلاح الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية وفق منهج تربوى حكيم ، حيث تمكن من تقوية الإيمان فى نفوس شعبه بقوة إيمانه وعزيمته ، وبعقله الواسع وبصيرته النافذة ، وبالحكمة الرشيدة والصبر والبسالة ، ولم يتوقف عند هذا فحسب بل عمل على تسليح هذا بسلاح العلم والحضارة الحديثة فكان حقا رجل العرب ورائد الإصلاح الأول فى الجزيرة العربية . أقام دولة عربية إسلامية يحكم الإسلام جميع جوانب الحياة فيها بإعتباره نظاماً متكاملاً للحياة .

ومن خلال استعراضنا لخطب الملك عبدالعزيز والتي قام الشيخ محيي الدين القابسي بجمعها في كتاب المصحف والسيف نجد أن التركيز على العقيدة الإسلامية وتطبيق مبادئها كما نصت عليه مصادرها الأساسية المتمثلة في الكتاب والسنة وإجماع أئمة السلف الصالح ، هو المبدأ الأساسي الذي تؤكد عليه جميع خطب الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ .

ولذا فقد رأت الباحثة أهمية الكشف عن هذا المنهج التربوى للإصلاح وذلك باستنباط المباديء والتوجيهات التربوية التى تضمنتها خطب الملك عبد العزيز من خلال كتاب المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسى .

أهمية البحث :

تظهر أهمية البحث فيما يلى :

أولاً : إن الجوانب التربوية فى شخصية الملك عبد العزيز أو التى نادى بها بحاجة ماسة إلى دراسة ، فمعظم الدراسات التى عملت عن الملك عبد العزيز لم تتعدى حياته ونشأته وتاريخه هذا بالإضافة إلى الجوانب السياسية للملك فى الحرب والسلم .

ثانياً : إن كل خطاب ألقاه الملك عبد العزيز رحمه الله لايخلو من دعوة أو توصية أو مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية يدعو إلى التمسك به وتطبيقه لذلك تبرز أهمية البحث فى استنباط المباديء والتوجيهات التربوية التى تضمنتها تلك الخطب .

ثالثاً : إن القدوة الحسنة أمر تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه ، ومقومات شخصية الملك عبد العزيز تشير إلى أنه خير قدوة لأفراد المجتمع الإسلامى عامة ولشعب المملكة العربية السعودية خاصة . فالله عز وجل قد جعل هذه البلاد قبلة للمسلمين ، وقد تعهد بحمايتها وحماية دستورها حيث قال تعالى : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف** ﴾ . « قريش ، آية : ٣ ـ ٤ »

وقال سبحانه : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

« الحجر ، آية : ٩ »

وقد أمر سبحانه البشرية بعبادته حتى يتمكنوا من تحمل المسئولية الجسيمة التى كلف بها الإنسان ، لنظل دائماً وأبداً خير أمه أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . قال تعالى :

﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ . « آل عمران ، آية : ١١٠ »

وهذه المسؤلية لم تكن مسؤلية فرد دون آخر ، وإنما هى فى عنق كل فرد آمن بالله ربا وشهد بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً واعتنق الإسلام عقيدة ودينا .

لذلك ينبغى أن تشهد التربية الإسلامية أن عملية التربية والتعليم قد انبثقت من الإسلام ، والملك عبد العزيز هو أحد المربين المسلمين الذين ركزوا على تفهم العقيدة الإسلامية وإقامة حدودها التى نصت عليها . يقول الشيخ محمد المانع :

« وكانت معرفة الملك بالدين وإخلاصه للإسلام من الأمور التى جعلته يعتبر من أعظم قادة المسلمين عبر التاريخ ، وكان قادراً على شرح القرآن وتفسيره بطريقة ممتازة مفهومة لدى أبسط رجال البادية وفى أعتقادى أنه قدم للعقيدة الإسلامية خدمة لم يقدم مثلها أى رجل من هذا الزمن » . (أبو راس ، الديب ، ١٤٠٧هـ ، ص٢٢) .

لذلك كان الشخصية التربوية الإسلامية التى مازلنا نتلمس آثارها حتى هذا اليوم ومن خلال خطبه التى كان يخاطب بها رجاله وأفراد شعبه نستطيع أن نتلمس تلك الشخصية ، ونستنبط الكثير من المبادىء والتوجيهات التربوية الإسلامية .

« فإن صفة الاستمرارية فى الحوادث التاريخية تجعلنا كمربين مضطرين للجوء إلى التاريخ لنقف على تفسير لموقف تربوى ما » .

(عكيلة ، ١٩٨٤ م ، ص٦٨) .

رابعاً : إن مكونات الأمة الإسلامية وروابطها تتمثل فى قوله تعالى :

﴿ إن الذينءامنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ . « الأنفال ، آية : ٧٢»

والتربية الإسلامية تهدف إلى إخراج أمة إسلامية قادرة على أن تحمل رسالة الإسلام وتبليغها للعالم كله . وما قام به الملك عبد العزيز يشير إلى أن ماحققه من توحيد ونصر قد حقق للتربية هذا الهدف ، وارتقى بالبشرية ، وانشأ أساساً متيناً من الإخاء والتبادل والتعاون والعطاء .

لذلك تبرز أهمية البحث فى إبراز الصفات التربوية التى تميز بها الملك عبد العزيز الموحد ومآثر شجاعته وقوة إيمانه لأننا مازلنا نتلمس مآثرها ليكون خير دافع لنا نحو البناء والارتقاء بشأن الوطن والأمة الإسلامية ، مسترشدين بهدى الرسالة المحمدية التى من تمسك بها فلن يضل أبداً . ومستلهمين من قادتنا وولاة أمورنا الصبر والحكمة ، وبهذا نكسب الحضارة الإسلامية طابعها الذى تميزت به عن باقى الحضارات .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى :

١ ـ استنباط المبادىء والتوجيهات التربوية التى نادى إليها الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه اللّه وذلك من خلال خطبه التى ألقاها على عامة الناس وفى مختلف المناسبات .

٢ ـ كما يهدف إلى الوقوف على أبرز الجوانب التربوية فى شخصية عبد العزيز .

٣ ـ التعرف على الظروف السياسية والإجتماعية التى سادت فى تلك الفترة .

تساؤلات البحث :

تتركز أهمية البحث فى التساؤل الرئيسى الآتى :

ما المبادىء والتوجيهات التربوية التى يمكن استنباطها من خطب الملك عبد العزيز آل سعود رحمه اللّه ؟

ويتفرع منه :

١ ـ كيف كانت نشأة الملك عبد العزيز وما أثر ذلك على توجيهاته ؟

٢ ـ ما الظروف السياسية والإجتماعية التى سادت فى تلك الفترة وانعكاسها على التعليم ؟

٣ ـ ما القضايا التربوية التى تضمنتها خطب الملك عبد العزيز ؟

منهج البحث :

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي الذى يصف ويسجل مامضى من وقائع وأحداث الماضى ولايقف عند مجرد الوصف وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرهـــا على أسس منهجية علميـــة دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق لا تساعـدنا على فهم الماضى فحسب ، وإنما تساعد أيضاً على فهـم الحاضـر بل والتنبؤ بالمستقبل . (جابر ، ١٩٧٨ ، ص١٠٤) .

وهذا فى الجانب الذى يتناول شخصية الملك عبد العزيز وصفاته وخطبه . ثم المنهج الوصفى الذى يقوم بوصف ماهو كائن وتفسيره ، وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التى توجد بين الوقائع ، كما يهتم أيضاً بتحديد الممارسات الشـائعـة أو السـائدة والتـعـرف على المعـتـقـدات والاتجـاهات عند كل من الأفرادوالجماعات وطرائقها فى النمو والتطوير . (جابر ، ١٩٧٨ ، ص١٣٦)

وذلك لوصف الجوانب التربوية والموضوعات التى تطرق لهـا الملك عـبد العزيز فى خطبه .

وأخير المنهج الاستنباطى الذى يعرف بأنه الطريقة التى يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلى ونفسى عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة . (فودة ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص٤٢)

وذلك لاستنباط المباديء والتوجيهات التربوية التى تتضمنها خطب الملك عبد العزيزآل سعود طيب الله ثراه .

الدراسات السابقة :

هناك العديد من الدراسات التى عملت عن الملك عبد العزيز وتناولت حياته ونشأته وتاريخه والجوانب السياسية والعسكرية فى تاريخه . أما الجوانب التربوية فى شخصيته أو التى نادى بها فهى فى حاجة ماسة إلى الدراسة .

أما من حيث الدراسات التاريخية التى قد لا تفيد البحث بصورة مباشرة وإنما يمكن الإستفادة منها بصورة غير مباشرة فهى :

أولاً : دراسة موضى بنت منصور آل سعود ، بعنوان « الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت » وقد قدمت إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى الحديث وذلك فى عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م . وقد كان الهدف من الدراسة هو دراسة تاريخ العصر على هيئة موضوعات مستقلة وأفكار محدودة ومن ثم معالجتها بطريقة أفقية من خلال العصر كله . وقد استخدم فى الدراسة « المنهج التاريخى الوصفى » حيث تتبعت الباحثة تاريخ قيام سلطنة نجد وملحقاتها وامتداد حكم الأشراف إلى العراق وشرقى الأردن وأوضحت خطة الإمام الملك عبد العزيز إزاء ذلك قبل مؤتمر الكويت ، ومن ثم مؤتمر الكويت بمقدماته ومراحله .



وكان من أهم النتائج التى توصلت إليها الباحثة مايلى :

١ ـ فشل المؤتمر فى علاج مشكلات الحدود .

٢ ـ ضم الحجاز وعسير إلى المملكة العربية السعودية .

٣ ـ الهجر ونتائجها السياسية والإجتماعية والإقتصادية والحضارية والحربية وعلاقة ذلك بمؤتمر الكويت .

٤ ـ إعتراف العالم الإسلامى بالأمر الواقع بالحجاز وإظهار الدعوة السلفية الإصلاحية على حقيقتها .

٥ ـ قمع الفتن والفوضى بين القبائل ونشر العلم وتهذيب النفوس ، وبعث حركة ثقافية عن طريق طبع الكتب وتوزيعها .

لذلك يمكن الإستفادة من هذا البحث فى التعرف على بعض الإصلاحات التربوية التى حققها الملك عبد العزيز بتوجيهاته وحنكته .

ثانياً : دراسة عائشة بنت على المسند ، بعنوان « المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين » وقد قدمت إلى قسم التاريخ بكلية التربية للبنات بجدة كمتطلب للحصول على درجة الماجستير وذلك فى عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

وقد كانت الدراسة تهدف إلى متابعة أطوار القضية الفلسطينية فى مختلف المراحل والدور السعودى العربى فى مواجهة تلك الحركة . وقد استخدمت الباحثة فى ذلك منهج التحليل والإستنتاج ومن ثم مناقشة الآراء التى أرادت أن تغمط الدور السعودى ، وتوضيح الجهود التى بذلها الملك عبد العزيز لدعم العروبة الفلسطينية على الصعيد الدولى ، بهذا فقد بلور البحث جهود المملكة العربية السعودية من أجل قضية فلسطين ومدى إلتزامها بالسياسة الهادئة التى لا يمكن أن يقال عنها إلا أنها نسيج وحدها .

ثالثاً : دراسة موضى بنت منصور آل سعود ، بعنوان « الهجر ونتائجها فى عصر الملك عبد العزيز » وقد قدمت إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى للحصول على درجة الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى الحديث فى عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م وقد تضمن البحث نتائج التحول التاريخى العظيم فى شبه الجزيرة العربية ونتائجه التى جعلت من رجال البادية الدعامة التى استند إليها الإمام الملك عبد العزيز فى توحيد الدولة وتوفير الإستقرار . كما تناولت الدراسة جوانب من شخصية الملك المؤسس التى تميزه بالقوة والإيمان الراسخ الذى بواسطتها أحرز النجاح فى تحقيق هذا الإنجاز العظيم . ونتيجة لهذا كان الإعجاب الذى ملأ كتابات المفكرين والمؤرخين بقدرة الملك على خلق نظام من فوضى كانت عامة وشاملة ، ونظرته الثاقبة فى تشخيص نقطة الضعف فى مجتمعه وتخطيط كيفية علاج هذا الداء . وكان من أظهرها مثلاً الحد من هجرة القبائل إلى خارج الجزيرة العربية وجود حكومة مركزية ودولة موحدة لأول مرة فى تلك المساحات الشاسعة فالملك عبد العزيز كان رجل عقيدة لذلك جاءت إصلاحاته مستمدة من عقيدته .

رابعاً : دراسة لطيفة عبد العزيز السلوم ، بعنوان « التطورات السياسية والحضارية فى الدولة السعودية المعاصرة » وقد قدمت إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى الحديث وذلك فى عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

وقد تناولت الدراسة الحديث عن أهمية شبه الجزيرة العربية وموقعها المميز، وقيام الدولة السعودية التى أعادت لشبه الجزيرة العربية أمنها واستقرارها ، وازدهارها فى ظل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية والقيادة الرشيدة ، فجاءت دراسة علمية وثائقية شاملة عن فترة من فترات تاريخ الملك عبد العزيز ، يشكل مرحلة دقيقة وحيوية من عمر الدولة السعودية .

ففى ظل سياسة عالمية حرجة وأوضاع إقتصادية متردية وظروف إجتماعية متعسره ، وأحوال ثقافية متخلفة ، نهض الملك عبدالعزيز وأسس دولة إسلامية مستقلة تنعم بالأمن والأمان والإستقرار ، سارت على طريق التقدم والتطور واستفادت من منجزات العصر دون أن تفقد جوهرها وأصالتها المتمثلة فى التمسك بعقيدة التوحيد وتحكيم شريعة اللّه عز وجل والإلتزام بقيم الإسلام ومبادئه التى تأسست عليها ، وترسمها فى كل خططها ومشروعاتها ، مع تجدد عقلها الحضارى وعطائها الإنمائى .

موقع الدراسة الحالية :

إن الدراسة الحالية تختلف تماماً عن الدراسات التى سبقت الإشارة إليها ففى حين أن الدراسات السابقة قد تناولت شخصية الملك عبد العزيز القيادية من الناحية السياسية ، والعسكرية ، جاءت هذه الدراسة لتتناول هذه الشخصية من نواحى تربوية إسلامية . فهى تختلف عنها وتنفرد لكونها تتناول ما يلى :

١ ـ الظروف التى نشأ فيها الملك عبد العزيز وأثرها على توجيهاته ، ومدى إنعكاسها على القضايا التربوية التى ركز عليها من خلال خطبه .

٢ ـ الصفات والجوانب التربوية التى تميزت بها شخصية الملك عبد العزيز آل سعود القيادية واثر الظروف التي نشأ فيها على شخصيته من الناحية الجسمية والعقلية والإجتماعية .

٣ ـ القضايا التربوية التى تطرق لها الملك عبد العزيز فى خطبه .

الفصل الثاني

* الملك عبدالعزيز آل سعود :
  - نسبه ، حياته ، نشأته .
* أبرز الصفات والجوانب التربوية في شخصيته :
  - ورعه وتقواه ـ الثقة بالله .
  - قوة الإرادة والشجاعة في الجهاد .
  - بره بوالده ـ مبدأ الشورى عند الملك عبدالعزيز .
* الملك عبدالعزيز والخطابة .
* أهم القضايا التي يركز عليها الملك عبدالعزيز في خطبه :
  - ترسيخ العقيدة الإسلامية .
  - إقامة حدود الله .
  - الإصلاح والتجديد .
  - الوحدة والتوحيد .
  - غرس الأخلاص للمباديء الدينية والعلمية .

« تمهيد »

لقد خص الله سبحانه وتعالى بلادنا الغالية (المملكة العربية السعودية) بخصائص تميزها عن غيرها من البلدان ، وإن كانت تفوقها فى التطور والعمران ، من هذه الخصائص :

تطبيق الشريعة الإسلامية :

فقيام الدولة على العقيدة الإسلامية ، منحها العزة والقوة ، فالإيمان بالله عز وجل وتطبيق النهج الذى ارتضاه سبحانه لنا ، من أهم المبادئ الإسلامية التى ينبغى أن نتمسك بها ، لكى نظل أبدا فى أوج العزة والقوة ، فهذا عهداً من الله عز وجل لنا ، فآيات القرآن الكريم قد تضمنت هذا المفهوم فى أكثر من موقع ، نذكر منها ما يلى :

قال تعالى : (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين**) . « آل عمران ، آية : ١٣٩ »

وقوله تعالى : ﴿ **أفمن أسس بنينه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنينه على شفا جرف هار فإنهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظلمين** ﴾ . « التوبة ، آية : ١٠٩ »

وقوله سبحانه وتعالى : (**واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فاوئكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبت لعلكم تشكرون**) . « الأنفال ، آية : ٢٦ »

المكان والموقع :

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تقوم الدولة الإسلامية على هذه البقعة الطاهرة من الكرة الأرضية ، وشرف قادتنا وشرفنا بخدمتها والقيام عليها .

يقول تعالى : ﴿ **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعكفين والركع السجود** ﴾ . « البقرة ، آية : ١٢٥ »

الخير والأمان :

فمن قوله تعالى : فى الآية ٥٧ من سورة القصص ، نستطيع أن نصل إلى ميزه أخرى أو خاصية أخرى من الخصائص التى تمتاز بها بلادنا ، حيث قال تعالى :

﴿ **أولم نمكن لهم حرما ءامنا يجبى إليه ثمرات كل شئ ر زقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ . « القصص ، آية : ٥٧ »

وهى تلك النعم والأمكانات المادية التى سخرها الله سبحانه وتعالى لهذه البقعة الطاهرة . يقول تعالى : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وءامنهم من خوف** ﴾ . « قريش ، آية : ٣ ـ ٤ »

فحماية المولى عز وجل لهذا البلد الآمن الطيب تستوجب العبادة والشكر للخالق المدبر ، وهذه العبادة لا تتحقق الا باتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ، ومن أمره سبحانه وتعالى الطاعة لأولياء الأمور والقادة ، ما داموا لا يأمرون بمعصية الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : (**يايها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنزعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) . « النساء ، آية : ٥٩ »

أمة الخير :

قال تعالى : ﴿ **كنتم خير آمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ . « آل عمران ، آية : ١١٠ »

فالله عز وجل قد سخر فى هذه الأمة الطاقة البشرية التى تؤمن بالله وتهتدى بشرعه وسنة نبيه لتستثمر الامكانات المادية التى أنعم بها الله علينا بالصورة الصحيحة التى توصلنا إلى الهدف الأسمى وهو العبادة والشكر لله عز وجل .

وبين صفحات التاريخ نجد العديد والعديد ممن هيأهم الله عز وجل لهذه الأمة الإسلامية ليقوموا على رعايتها والدفاع عنها والنضال من أجلها ، فترى فيهم الشجاعة ونفاذ البصيرة وبعد النظر واستشراف المستقبل والكرم والشهامة والقدرة على النفاذ إلى قلوب وعقول الآخرين ، فتجتمع الأمة حولهم وتستجيب لقيادتهم . ومن هؤلاء كان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود موحد شبه الجزيرة العربية وبانى نهضتها وعزها ومجدها ، على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

نحن نعلم أن الاوضاع فى شبه الجزيزة العربية قد عادت إلى أسوأ مما كانت عليه أيام الجاهلية ، فالمجتمع العربى الذى تطور ونهض وارتقى مع ظهور الإسلام والدعوة المحمدية ، عاد إلى مجتمع ضعيف تسيطر عليه الأحاسيس القبلية ، والعادات والمفاهيم الجاهلية ، فاحتلت البدع والخرافات مكان القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة .

يقول أحمد عسه ، (١٩٧١م ، ١٣٩١هـ) :

« حتى إذا مر أحد عشر قرنا على ظهور الدعوة الإسلامية كانت القيم التى أكسبها الإسلام لمجتمع شبه الجزيرة العربية قد اضمحلت واندثرت أو كادت ، فعاد سكان شبه الجزيرة العربية إلى مفاهيم الحياة البدوية الجاهلية التى كانوا عليها قبل الإسلام ، فتجزأت الدولة ، وعادت العصبيات القبلية تمزق المجتمع وتفتته ، واحتلت الضلالات والبدع والخرافات والأساطير فى نفوس العامة وغير العامة مكان القيم الصحيحة للإسلام ومبادئه ، حتى أصبحت بعض الأشجار والكهوف والمغاور والقباب والقبور والأضرحة موضع قداسة وشفاعة أقرب إلى العبادة ، وحتى أضحت تعاليم الإسلام التى تضبط المجتمع وتحكم روابطه نسياً منسياً ، فعاد الغزو والسلب والنهب ليكون مصدر العيش فى الصحراء ، ورخصت قيم الحياة فيها ، حتى كأن الإسلام لم يظهر فى شبه الجزيرة العربية ولم يترك أثراً حضارياً لا على رمالها ولا فى عقول أبنائها ونفوسهم » ص ١٦ .

يقول الرسول ﷺ : « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** » رواه أبو درود . (أبو داود ، الملاحم ، جـ ٤ ، ص ٤٨٠) .

والتجديد لا يعنى التحديث والتغيير فى المنهج الربانى بل هو ايقاظ وبعث وتنشيط لمنهج ربانى اندثرت معالمه وتناسوه نووه ، مع المطالبة بحزم وقوة بتطبيق أسسه ومبادئه كما جاء فى الكتاب والسنة .

وعند تدهـــور الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية ، كان الملك عبد العزيز هو القائد المهيأ من الله عز وجل للقيام بتصحيح الأحوال فى هذه البقعة الطاهرة ، وتطبيق شريعة الله عز وجل عليها ، فما أن عاد إلى الرياض حتى بدأ فى لم شتات الأمة على هدى من الكتاب الكريم والسنة النبوية ، فأستجابت له الأمة ، وسار بهم إلى بر الأمان فى حركة توحيدية شملت معظم أجزاء الجزيرة العربية ، فتلاقت القيادة والأمة وأثمر ذلك التلاقي قيام دولة ثابتة الأركان شعارها (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) ، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما أن تمكن يرحمه الله من توحيد المملكة حتى بدأ فى تأسيس قواعد نهضتها الشاملة علمياً واقتصادياً وإجتماعياً ، لتبقى وما تزال فى أوج عزها ونهضتها ، ورسوخ قيمها ومبادئها ، فلك الله يا عبد العزيز .

من هو عبد العزيز ؟

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن ، من ربيعة بن مانع ، من ذهل بن شيبان . ملك المملكة العربية السعودية الأول ، ومنشئها ، وأحد رجلات الدهر . ولد فى الرياض بنجد ودولة آبائه فى ضعف وانحلال ، وصحب أباه فى رحلته إلى البادية ، يطارده عدوه ابن رشيد (محمد بن عبد الله) واستقر مع أبيه فى الكويت سنة ١٣٠٩هـ ـ ١٨٩١م وشب فيها . وشق الغارات على آل رشيد وأنصارهم . وفاجأ عامل ابن رشيد فى الرياض بوثبة ليس هنا مجال وصفها ، فاستولى عليها ، وجدد فيها إمارة آل سعود سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) وضم إلى الرياض ما هو منها: الخرج ،

والمحمل ، والشعيب ، والوشم والحوطة ، والافلاج ، ووادى الدواسر ، واستولى على بلاد القصيم سنة (١٣٢٤ هـ) بعد معارك مع جبار آل رشيد (عبد العزيز بن متعب) وجيوش من الترك (العثمانيين) ، واستولى على الأحساء والقطيف سنة (١٣٣٠هـ) واخرج منهما آخر من بقى من عمال العثمانيين وعساكرهم فى تلك الاصقاع . وكانت لآل عائض إمارة فى (أبها) من بلاد عسير ، فى الجنوب تمردت عليه ، فأزالها . ثم ضم عسيراً كلها إلى ملكه . وازال إمارة آل رشيد فى الشمال . وكانت بينه وبين الملك حسين بن على الهاشمى ، وابنه على بن الحسين ، أحداث انتهت بالقضاء على دولة الهاشميين في الحجاز سنة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م) وأصبحت مكة عاصمة آل سعود ونودى به (ملكاً) على الحجاز ونجد ، وكان من قبل : الأمير والسلطان والإمام . وثار عليه بعض كبار قواده (فيصل الدوشى) وآخرون سنة (١٣٤٧هـ ـ ١٣٤٨هـ) فبطش بهم ومحا آثارهم وبرزت فتنة (ابن رفادة) في الشمال سنة (١٣٥١هـ) فوجه إليه قوة سحقته ومن معه فى معركة واحدة وأعلن فى هذه السنة (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م) توحيد الأقطار الخاضعة له وتسميتها (المملكة العربية السعودية) ، (الزركلى ، ١٩٨٤م ، ص ١٩ ـ ٢٠) .

مولده ونشأته :

ولد الملك عبد العزيز فى الرياض ، فى العاشر من ذى الحجة سنة (١٢٩٩هـ) الموافق الحادى والعشرين من تشرين الأول سنة (١٨٨٠م) ، وقد وافق ذلك ليلة عيد الاضحى ، وكان من بيت كريم رفيع ، عريق فى أصلة وفرعه ، فأمه ساره السديرية ، وأبوه عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع من (ولد على) من (ضنا مسلم) من قبائل عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ين ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . فيلتقى بنسب الرسول محمد ﷺ بنزار . والبيت السعودى هو بيت أسس على

الدين والتقوى والاعتصام بالله وحده وهـو أول بيت فى البلاد العربية رفع لواء الاستقلال فـى عصرنا هذا وكافـح الظلم والتفسخ والطغيان ، وعمد إلى إحياء مجد العروبة المندثر ونشر معالـم الإسلام الزاهرة وبعث فى الأمة العربية أول عامل من عوامل اليقظة والانتباه . (الغلامى ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص٣١٣) .

وقد نشأ يرحمه الله فى ظروف قاسية كانت تعيشها الجزيرة العربية ، حيث الفتن و الاضطرابات المستمرة ، وقد حدثنا التاريخ عن الحالة التى كانت تسود فى الجزيرة العربية أحاديث يشيب لها الولدان ، ويكفى أن نشير إلى المحنة القاسية التى عاش المسلمون فيها زمنا ، حين أصبحت هذه الجزيرة بيد المستبدين من حكامها ، وحين قامت على شعابها وطرقاتها مراصد الموت ترقب الحجيج إلى البيت الحرام ، وتحصدهم حصداً حتى لقد كان الوصول إلى هذا البيت ، معجزة من المعجزات ، لا تقع إلا لمن وطن نفسه على الموت وقدر الله له النجاة ، فبات البيت الحرام على الوحدة والوحشة فى أكثر مواسم الحج ، فالحج إلى بيت الله الحرام كان أشبه بغزوة من الغزوات يتجهز لها بالسلاح والعتاد ، ويعتبر الحاج مفقوداً حتى يعود ، فيكون مولوداً من جديد ، فكثيراً ما يبادون الحجاج عن بكرة أبيهم . (الزامل ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ١٩) .

لهذا تحتم على عبد العزيز أن يتلقى جميع ما يحتاج إليه الشاب عندما يستقبل الحياة فى مثل هذه الظروف ، ليعد نفسه للعمل الحاسم الجليل ، فدم الإمارة وروح الطموح مازال يجرى فى عروقه رغم هذه الظروف التى نشأ فيها . فعاهد الله سبحانه وتعالى على أنه سيجاهد فى سبيل نصره دينه ، ثم استرداد ملك آبائه وأجداده المسلوب ، أو يموت فى سبيل ذلك . وكيف لا وهو سليل الأسرة السعودية التى رفعت علم الجهاد المقدس ، ولواء الكفاح التحريرى ، لاحياء مجد العروبة المندثر ، ونشر معالم الإسلام الزهراة .

وفى تاريخ نشأة الملك عبد العزيز ، نجد أن والده الأمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود « قد عهد به إلى (مطوع) من أهل الخرج كان مقيماً فى

الرياض اسمه القاضى عبد الله الخرجى فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ سوراً من القرآن ، وقرأه كاملاً . ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف » . (الزركلى ، ١٩٩٢م ، جـ١ ، ص ٥٧)

وقد عوده والده رحمه الله على خشونة الحياة فكان يضطره إلى المشى حافياً على الرمل المحرق مدة من الوقت ، وعلمه ركوب الخيل والأبل ، وقلده البندقية ، ومرنه على أطلاق الرصاص واللعب بالسيف ، وهو فى ريعان الصبا . (الغلامى ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص٣١٣)

وقد قام الأستاذ محمد البديوي بتلخيص الظروف التي أثرت في نفسية وعقلية الملك عبدالعزيز في مجموعة من النقاط .

وفي نهاية هذا الفصل رأت الباحثة أن تتناول هذه النقاط ومن ثم التعليق عليها :

أولاً : ولد الملك عبدالعزيز في بيت دعوة ، قبل أن يكون بيت ملك ، فاستمد من قوة ايمانه صبراً على مكاره الأيام ، حتى أيده الله بنصر من عنده . فالمنزل هو المزرعة الأولى التي تنبت فيها بذور الشخصية ، والأسس التي يتلقاها الفرد في بداية حياته يصعب تعديلها أو تغييرها فيما بعد . فالبيئة الأسرية الدينية التي نشأ فيها الملك عبدالعزيز كان لها أثرها في شخصية البارزة في التاريخ كأبرز شخصية إسلامية تربوية .

ثانياً : عاش طفولته في وقت تحالفت فيه الشدائد ضد أسرته فنشأ نشأة قاسية كان لها أثر كبير في تغلبه على الصعاب التي لاقاها في مستقبل حياته . فالحرب والغارات التي عانت منها الدولة السعودية الأولى والثانية ، والأوضاع القاسية في شبه الجزيرة العربية في تلك الأثناء ، من فقر ، ومرض ، وجهل ، وسلب ، ونهب ، كل هذا كان له كبير الأثر على شخصية الملك عبدالعزيز الذي أخذ العهد على نفسه في استعادة الأرض والدين

والمجد والمحافظة عليه ، وفعلاً فقد درس الأحوال والأحداث التي حلت بالجزيرة العربية والأسباب التي أدت إلى سقوطها ، ليأخذ ما ينبغي أن يأخذ ، ويترك ما يجب أن يتجنبه ، وبهذا استطاع أن يرسخ قواعد العقيدة والأرض والمجد .

ثالثاً : أمضى الجانب الأكبر من صباه يعيش بين القبائل البدوية على حافة الربع الخالي يتعلم ركوب الخيل والفروسية ، ويتدرب على فنون الحرب والقتال بالسيف بين أقرانه من أبناء آل سعود وأتباعهم ، ومارس البطولة والحروب والمعارك الدامية والنضال المستمر في سبيل الحق والمجد ، ووقف على دراسة عادات القبائل وتقاليدها ونقاط القوة والضعف فيها ، وألف حياة البادية في صباه وجارى أبناءها في احتمال مكاره العيش ، والصبر على الظمأ والجوع والتعب وافتراش الأرض ، والتحاف السماء .

فالاستعداد للجهاد أمر يحتم على عبدالعزيز أن يعيش في هذه البيئة ، فالجهاد الذي خاضه الملك عبدالعزيز تناول جانبين أساسيين : الجانب الأول كان الجهاد من أجل استرجاع الأرض وهذا الجهاد الأصغر كما سموه المؤرخين ، أما الجهاد الأكبر فكان من أجل توحيد العقيدة ، والأرض والكلمة والتآخي بين أبناء الأمة الإسلامية . لهذا لم يتدرب عبدالعزيز على فنون القتال فحسب ، بل تعداه إلى المبادىء والعادات والقيم السائدة في تلك الأثناء ليقف عندما يطابق الشريعة ويحارب ما دون ذلك .

رابعاً : نشأ في الحاضرة والبادية مستعداً للخشونة ، مستطيعاً لمعيشة الأعراب مستجيباً بالسليقة والبيئة ، لما يتكلفه المجاهد في أوعر القفار ، وأعنف الحروب ، وكانت له ضلاعة العصبين الأقوياء المعهودين بين رجال السيف وهي ضلاعة يوشك أن تستمد من حماسة النفس وشهامة القلب ، أضعاف ما تستمده من العضلات والأوصال .

فقد أنعم الله عليه بالبسطة لا في الجسم فحسب ، بل في الفكر وسعة البصيرة . التي كانت تستمد قوتها من الحماس والعزيمة التي ملئت قلب الملك عبدالعزيز .

خامساً : السياسة العملية التي تلقاها في الكويت على يد الشيخ مبارك آل الصباح كان لها كبير الأثر في شخصيته ، فالمناورات والمحاورات السياسية في الكويت كانت تنطبع مقدماتها ونتائجها في ذهن الملك عبدالعزيز ، ليدرسها في فكره ويستخلص منها ما يراه بثاقب فكره ، وقد انس فيه الشيخ مبارك صفات الألمعي اللبق ، فقربه منه ، وسمح له بمجالسته والاستماع إلى أحاديثه ، مع ممثلي الحكومات الانكليزية والروسية والألمانية والتركية ، وكانت ذاكرة عبدالعزيز في هذه المرحلة تختزن كل ما يجري حوله من أحداث ، ومناورات ، ومحاورات ، فاستوعب الأحداث الصغيرة والكبيرة ، وأساليب السياسة وتقلباتها .

سادساً : اتخذ من تأريخ أجداده العظام طعاماً وغذاءً في طفولته ، وكلما شب وكبر كان هو الوقود لعزيمته ، حتي إذا بلغ سن الشباب أصبحت صفحات أجداده ، ناراً تحترق بها عروقه ، وتدفعه للعمل لاستخلاص ملك آبائه وأجداده من جديد .

سابعاً : ادخر لنفسه من تأريخ السلف صفات القائد المسلم المحنك الشجاع ، القادر على التأثير في أسلوب شعبه وأفراد أسرته باسلوب الحكمة والموعظة الحسنة فبهذه الصفات تمكن من استرجاع الملك والدين إلى المستوى الذي يتناسب مع ما كان عليه الجيل الأول من الصحابة وأئمة المسلمين .

وأخيراً : لاشك في أن الرحلات التي قام بها الملك عبدالعزيز في العالم العربي والإسلامي كان لها كبير الأثر على معلوماته وتوسيع دائرة ثقافته فمن خلالها تعرف على قضايا ومشكلات العالم الإسلامي ومن ثم تجنب حدوثها في مجتمعه . (البدوي ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ، ص ٧٤ ـ ٧٥)

أبرز الصفات والجوانب التربوية فى شخصية الملك عبد العزيز :

بيئة الخير التى نشأ فيها الملك عبد العزيز كان لها كبير الأثر على شخصيته ، فقد تحلى بالصفات الحميدة التى تسعى الأسرة السعودية دائماً على غرسها بين أبنائها ، فأصبح بفضل الله عز وجل ، داعياً إسلامياً ، وواعظا دينياً ، ومصلحاً إجتماعيا ، وإماماً للمسلمين . يحرص على قراءة القرآن الكريم ويحفظ منه الشئ الكثير ، وذلك يظهر فى استشهاده بالآيات القرانية فى مختلف الموضوعات التى يتناولها بالحديث ، أو المناسبات التى يقف فيها خطيبا ، وقد كان يسهر الليل فى طاعة الله ، وفى العبادة ، فى التهجد وقراءة القرآن ، حيث يتلو جزءين من كتاب الله عز وجل ، وذلك مما يزيد فى ترسيخ آيات الله البينات فى ذهنه وذاكرته . (شاكر ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، ص٨٦) .

يقول يالجين : (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) :

> « إن من أهداف التربية : بناء إنسان ومجتمع خير ، وحضارة إنسانية خيرة ، وذلك يظهر جلياً فى تحديد شخصية الإنسان المتربى ، بأن يكون إنسانا خيراً ، يستخدم علمه وحياته فى الخير ، ويتعلم العلم من أجل استخدامه فى الخير » . « ص٩٨ »

ومن أبرز الصفات التربوية والإسلامية فى شخصية الملك عبد العزيز :

١ ـ ورعه وتقواه :

فقد لازم رحمه الله طاعة ربه منذ نشأته وله مع الله عز وجل خلوات فى دجى الليل و وقت السحر والناس نيام ، ليقف الوقت الطويل بين يديه قائماً راكعاً معظماً إياه ومقدساً لجلاله ، ساجداً خاضعاً متذللاً له يطلب هدايته ، وعفوه وغفرانه . كما حرص على ملازمة الجماعة حتى أنه لم يعرف تخلفه عنها إلا لعذراً مشروع ، وغرس هذه الصفة فى نفوس أبنائه وجميع أفراد شعبه والزمهم بها . فقد كان يرحمه الله حريصاً على أن يلتزم أبناؤه الجماعة من صغرهم ، حتى أنه ليسجن من يتخلف منهم عن ذلك

وكذلك أفراد الشعب ، فدرج عندهم أخذ سجلا لكل مسجد يذكر فيه أسماء أهل الحى ، فإذا حان وقت الصلاة وأجتمع أهل الحى للصلاة وأذنوا ، تتلى أسمائهم فمن كان حاضراً عرف ، ومن لوحظ أنه تخلف عن الاشتراك فى الجماعة فرضين أو ثلاثة أرسل إليه من يسأل عن صحته ، فإن كان مريضاً عاده الناس ، وإن كان صحيحاً متكاسلاً عن داعى الجماعة شكوه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لترتيب الجزاء اللازم عليه . (الغلامى ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص٣١٧ ، ٣١٨)

٢ ـ الثقة بالله :

إن ثقة الملك عبد العزيز بربه لا حدود لها ، وإيمانه بنصره وتأييده راسخاً قوى لا يزعزعه شك أو ريب وهذا يظهر جلياً فى أقواله وأفعاله ، ومن أقواله يرحمه الله : « لقد خرجت وأنا لا أملك شيئا من حطام الدنيا ومن القوة البشرية ، وقد تألب الأعداء على ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائى وفتحت كل هذه البلاد » . (القابسى ، د . ت ، ص٥٣)

أما أفعاله فقد سطر لنا التاريخ بأنه تقدم لفتح الرياض بستين شاباً وقيل أربعين شاباً من الشباب المفتولى السواعد ، الأقوياء البدن والعامرة قلوبهم بالإيمان ، لا يرهبون المنايا ولا يخافون غير الله . يعانون آلام الجوع والعطش فى ترحالهم ، دون أن تهين لهم عزيمة أو يعتريهم فتور ، حتى أصبحوا على مقربة من البلد المنشود (الرياض) فاختبؤوا فى واد هناك مكتظ بأشجار النخيل ، إلى أن أقبل الظلام ، وجاء دور المغامرة ، رأى يرحمه الله أن يبقى ثلاثون رجلاً من رجاله فى مكانهم الخفى ، ويدخل هو مع العشرة الآخرين ، فودعهم قائلاً : لاحول ولا قوة إلا بالله ، لقد استودعنا الله حياتنا ، وإنا سندخل الرياض لنطرد عدونا منها أو نلاقى فى تربتها منيتنا . (الغلامى ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص٢٢ ـ ٢٣)

تلك صورة من ثقة عبد العزيز بالله عز وجل وكيف لا وهو سبحانه قد وعد الصابرين بالنصر والثبات حيث قال : ﴿ **كم من فئة قليله غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ . (البقرة ، آية ٢٤٩)

٣ ـ قوة الإرادة والشجاعة فى الجهاد :

التى تبرز فى أحرج المواقف وأدق الظروف . ويذكر أنه كان موقعة تدعى (موقعة الحريق) فدرات الدائرة أثناء القتال على جيشه ، وهم الجنود بالفرار ، فبرز فى مقدمة الصفوف ممتطياً جواده ، ومتقلدا سيفه ، ونادى :

« أيها الأخوان من كان يحب عبد العزيز فليتقدم ، ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب إلى أهله ، فو الله لن أبرح هذا المكان حتى أبلغ النصر أو أموت فسرت الحماسة والحمية فى نفوس الجند وعادوا فشدوا على أعدائهم وكان لهم الفوز » . (الزركلى ، ١٩٩٢م ، ص٢٢)

يقول الغلامى (١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م) :

« والملك عبد العزيز كان بطلاً مغواراً وشجاعاً لا يبارى ، فكان يتقدم الجموع أثناء القتال رابط الجأش بسام المحيا وكثيراً ما شوهد فى وسط المعامع يلتهم الأعداء ويلقى الرعب فى نفوسهم ويبعث باقدامه هذا روح الحماس بين رجاله فيقتدون به ويستبسلون فى الحرب لكسب المعركة ومما وقع له ويدل على رباطة جاش خارقة وجنان قوى أنه حارب والدماء تسيل منه ، وحارب مرة ويده معلقة فى عنقه ، وأصيب فى معركة برصاص فشقت بطنه وتدلت أمعاوه ولكنه لم يتأخر بل شد بطنه بحزام وواصل القتال حتى تم له النصر ، وكانت أثار تلك الإصابات وغيرها فى مختلف حروبه ظاهرة فى جسده وأصابع يده » ص٣٣١ .

٤ ـ بره بوالده :

لقد قال الله تعالى : ﴿ **وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسنا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما** ﴾ . (الإسراء ، آية ٢٣)

الإبن البار بوالده الملك عبدالعزيز آل سعود ، يعيش الآم والده ومعاناة أسرته ، يرى لحظات الترقب والانتظار في عين والده ، والرغبة في الرجوع إلى الوطن ، يستشعر في نفسه القدرة على تحقيق الآمال والأماني ولكن ينتظر موافقة والده ، ويبقى خوف الوالد على ولده الحاجز الذى يقف بين عبدالعزيز وتحقيق الأمل .

تمر الأيام والأعوام دراكاً بعبدالعزيز ، فأخذ يحاسب نفسه حساباً قاسياً ، « فإن كان أبوه عبدالرحمن يرقب الفرصة تسنح له فينقض كالشهاب على حكام وطنه الطغاة ومنتزعي السلطة من نويها فهو أجدر من ينهج نهج أبيه ويتأثر خطاه ويكون حرباً على خصومه ، ويفدي أمته ووطنه اللذين يحتاجان إلى مثله ومثل والده كي يكون إنقاذه من براثن الذوبان على أيديهما » . (عطار ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ٢١٨)

فإذا به يفاتح أباه بما يتغلغل في أعماق نفسه من الآم وخواطر وشجون نحو الوطن ، يستأذنه في الذهاب لتحقيق الأماني وتخليص الأمة من الظلم والعبودية ، يتردد الوالد المرة بعد المرة ، ويصمم عبدالعزيز على إنفاذ ارادته والخروج إلى مغامرته باذن من والده ليتزود بالرضى والدعاء والنصح والإرشاد ، فاذن له ابوه ودعا له بالخير وزوده بالنصائح وطلب من الله عز وجل أن يهديه أمن السبيل ، ويسير البطل متوكل على الله .

بعد أن انتهى عبدالعزيز من فتح الرياض وارساخ قواعد حكم آل سعود فيها ، أرسل إلى أبيه الامام عبدالرحمن ليبشره ويطلب منه العودة إلى الوطن بالرياض .

يصل الامام الرياض ، ويسرع عبدالعزيز إلى والده يستقبله بسرور ، وينحني على يده ، ويمشى خلفه ويجلسه في صدر المجلس ، ليجلس تحت ركبته يُهنأه ويعزو فضل النجاح والتوفيق إلى الله عز وجل ثم إلى أبيه ونصائحه التي

قادته إلى النصر وأعلن للحاضرين أن الحكم لله ثم لعبدالرحمن آل سعود ثم قال :
(أما أنا فما كنت إلا جنديا ، ونجاحي في المهمة التي اخترتموني لها إنما كان بفضل الله ثم بفضل ما زودتموني به من النصح والارشاد وخطة الحرب ، وما لي من فضل غير السمع والطاعة وتنفيذ ما أمرتموني به ، فالامر لله ثم لكم من قبل ومن بعد ، وإن الأمانة التي وكلتم إليَّ الإضطلاع بها قد حفظتها وها أنا ذا أسلمكم إياها ، وأعود إلى مكاني جندياً بين جنودكم ، وابتهل إلى الله أن يمد في عمركم ويؤيدكم بروح منه وينصركم نصراً عزيزاً) . (المرجع السابق ، ص ٢٦٨)

ولكن هل قبل الإمام عبدالرحمن الإمارة ؟

بل كان الوالد وابنه على طرفي نقيض ، ولم يبقى لعبدالعزيز سوى السمع والطاعة لأمر والده ورغبته في أن يكون هو الحاكم الذى يتولى أمر المسلمين ، ولكن بشروط .

الأول : أن يكون والده رقيباً على كل أعماله وأقواله ، يرشده ويردعه ، ويحاسبه عند الخطأ .

الثاني : أن يقوِّم كل فرد وبخاصة العلماء كل اعوجاج فيه .

اما الثالث : أن يكون الجميع عوناً لعبدالعزيز فيما يكون فيه صلاح الأمة وخيرها .

فالملك عبدالعزيز لم يخرج إلى مغامرته الجريئة إلا بعد أن أخذ موافقة أبيه ورضاه ، فوفقه الله إلى ما كان يبتغيه ونصره النصر المؤزر . لم يأخذ رضا الوالدين عند عبد العزيز صورة المشورة فى الرأى فحسب بل كان بمثابة الخادم المطيع لهما ، وهو الملك ، فضرب بذلك أروع الأمثلة فى البر والطاعة للوالدين . فكثيراً ما كان يساعد أباه على امتطاء صهوة الجواد عندما يهم بالركوب ، فيرفع رجليه بيديه رغم كثرة العبيد والخدم ، وقصد الإمام عبد الرحمن المسجد الحرام يوماً وكان مريضاً فبادر الإبن البار بحمل والده على كتفيه من باب السلام ودخل به إلى حيث مصلاه ، ولم يشأ أن يتولى أحد من الخدم أو العبيد حمل والده عنه وهو موجود ، ليظفر برضائه ورضا

الله فوجه بذلك درساً عملياً لإبنائه وأفراد شعبه فى طاعة الله وبر الوالدين . (الغلامى ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص٣١٩ ـ ٣٢١) .

٥ ـ مبدأ الشورى عند الملك عبدالعزيز :

كان تغمده الله برحمته جم الأدب ، كثير التواضع ، يستقبل زائريه بثغر باسم ولطف ووداعة ، ويحادثهم فى منتهى العذوبة إلى جانب ذلك كان صريحاً فى أقواله يمضى فيها على وتيرة واحدة لا لبس فيها ولاغموض ، ولم يرو عنه أنه اغضبه شئ يصدر من محدثيه وكان كثيراً ما يعمد إلى سياسة الحجة والإقناع مع مخالفيه فى الرآى ، وقد يجيب الناقد أو المعترض على بعض الأمور بقوله : هداك الله يا أخى إننى بشر أخطىء وأصيب ، والحق معك ، أرشدتنى أرشدك الله . (الغلامى ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص٣٢٥)

فهذه بعض صفات (الملك عبد العزيز الذى توجه الله بتاج الملك ، وقوة الإيمان وأصالة الرأى . وبوأه بسطة فى الجسم ، ومنحه رجاحة فى العقل ، وتوفيقاً فى أقوم أساليب الحكم ، وشرفه بولاية أقدس بقاع الدنيا قاطبة ، وهذا الملك الذى يتقلب فى أعطاف هذه النعمة الإلهية الجزيلة ، مضافة إلى نعمة محبة الناس له بولاء وإخلاص ، لا فى مملكته ومن رعاياه فحسب ، ولكن فى سائر الأمم العربية الإسلامية ومن مختلف الأجناس والشعوب) . (شاكر ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص٩٤) .

والحديث عن الصفات التربوية فى شخصية الملك عبد العزيز لا ينحصر إلا فى قولنا عبد العزيز هو تلك القدوة الإسلامية التربوية التى تحلت بالعدل والرحمة، والحزم واللين ، والشجاعة والكرم ، والعفو وحسن المعاملة ، والملاطفة والطيب ، البساطة والتواضع ، والوفاء والإحسان فى القول والعمل .

الملك عبد العزيز والخطابة :

الخطابة : « هى كلام ادبى وفنى غايته الاقناع ، وسمته التأثير والامتاع وقد يصل به صاحبه إلى درجة الإبداع ، يلقيه الخطيب فى المحافل العامة أو الخاصة على

مسامع القوم أو الأشخاص القاء ، ويشترط فيه أن يكون موافقاً للمقام ، ملائماً لمقتضى الحال » . (شامى ، ١٩٩٣م ، ص ٥)

وقد كان الإمام الملك عبد العزيز من أولئك الخطباء الموهوبين ، يتحدث بفصاحة الخطيب وبلاغة الأديب .

(يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ويتمثل بالأشعار وقصص الأولين ، ويورد آراء وحكماً تدل على أن رجل السيف كان أيضاً رجل علم ، فلا تتمالك أن تتساءل متى وجد الوقت الكافى لكى يحيط بما أحاط به من علم وأدب وفقه وشعر ، يرسلان الكلام على لسانه بمثل سهولة الحديث العادى) . (القابسى ، د . ت ، ص ٢٠)

(ولا يعرف المداهنة ولا الرياء فى مخاطبته وأحاديثه ، بل يفحم خصمه ، و يقذف الكلام الذى يريد أن يقوله قذفاً دون تزويق أو تصنع) . (الزامل ، ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م ، ص ٣٤)

يقول الغلامى : (١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م) :

« كان يكلم البدو ويخاطبهم فى لهجتهم البدوية التى يفهمونها ويخطب ويكلم أهل المدن باللغة العربية الفصحى ، ويناقش العلماء كواحد منهم ويباحث الصحافيين ويجيب على أسئلتهم بمهارة السياسى الحكيم وإذا خطب فى قادة جيشه وفى جنوده فى أيام النضال يضرم نار الحماسة فى قلوبهم ويدعمهم فى غاية التفانى والاستبسال ، وكان يتدفق كالسيل إذا خطب ، ويخطب الساعات الطوال مرتجلاً إذا أثير » . ص ٣٥٥

وقد وصف يرحمه الله بالبساطة والتواضع فى تصرفاته الشخصية وكذلك فى كلامه فكان يقول : (أنا رجل ربيت تربية بدوية ما أجيد صوغ الكلام ورصفه وأهل الصحف يكتبون أشياء منمقة ويهندسون كتابتهم هندسة كاملة وأنا ليس عندى شيء من هندسة الكلام الذى يجول فى قلبى على أساسات البناء هو الذى اتكلم به وليس عندى مقدرة المهندس الذى يعدل البناء ويرتبه) . (القابسى ، د . ت ، ص ١٨)

ومع هذا (فقد كان كلامه العادى مليئاً بالمجازات الذكية والحكم والأمثال التى تجعل سامعه يود أنه لا يتوقف عن الحديث ، وهذا الحديث الجذاب ، أيا كان موضوعه هو حديث ملىء بالمعلومات التى تغنى المستمع وتأسره بمدى إتساعها وعمقها وفى كلمة مشهورة للرئيس الامريكى (روزفلت) بعد مقابلة للملك عبدالعزيز قال : لقد فهمت من الملك ابن سعود فى عشر دقائق عن قضية فلسطين ما تعذر على فهمه فى عشر سنين) . (ابو راس ، الديب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٩)

أهم القضايا التى يركز عليها الملك عبد العزيز فى خطبه :

تحلت شخصية الملك عبد العزيز بالحكمة فكان مجاهداً ، وإماماً ، وعالماً حكيماً ، امتازت روحه بالسكينة والإطمئنان فهو على يقين بأن الله مع المتقين ، وبهذه الفطرة السليمة ، تمكن من استرجاع ملك الآباء المسلوب الرياض ، بفضل من الله عز وجل ثم بجهاده هو ومن معه من رجال ، غفر الله لهم ورحمهم أجمعين . بهذا الإسترجاع تبدأ رحلة الجهاد الأكبر مع عبد العزيز .

يقول الشرقاوى : (١٩٨٣م) :

> « يحتاج جهاد النفس إلى عمل عظيم ، وخير وسيلة لذلك إنما تتركز على التربية ، والتربية تحتاج للقدوة ، لذلك ينصحنا الله تعالى أن نتبع الرسول ونستن بسنته ونحاكيه فى كل أمر ، ونقلده فى كل فعل ، حتى نكتسب الأخلاق الحسنة ونتخلى عن الصفات المذمومة والمستقبحه ، ونتحلى بالأوصاف المحمودة ، والصفات الطيبة وهذا لن يثمر ثمرة يانعه إلا إذا أصبح الخلق القويم والقيم العليا ، والمفاهيم الإسلامية العظيمة ، طبعاً راسخاً فى قلوبنا وعقولنا ونفوسنا جميعاً » ص ٢٥٥ .

ومثل هذا الجهاد لم يكن صعباً على الملك عبد العزيز الذى شهد له التاريخ بالإستقامة ، ورجاحة العقل والحكمة ، وقوة الإيمان بالله عزوجل لذلك نجد أنه كان حريصاً على أن يقيم فى مملكته الحكم العادل المستند على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه المصطفى ﷺ وحكمة الشريعة الإسلامية السمحة . ورفع راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

فمن أهم القضايا التى يركز عليها :

أولاً : ترسيخ العقيدة الإسلامية :

شخصية الملك عبد العزيز هى تلك الشخصية القوية بإيمانها وسلطانها ونفوذها فى سبيل ارساخ الإسلام على أرض الجزيرة العربية .

ولا جدل فى أن من ينصر الله ينصره ويثبت أقدامه فيجرى على يده الكثير من النعم والخيرات والإصلاح قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين أمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ . (محمد آية ٧)

وشخصية الملك عبد العزيز تعتبر من الشخصيات البارزة فى تاريخ الأمة الإسلامية فكل الوقائع والأحداث التاريخية التى يقصها التاريخ لم يفهم منها ما ينبغى أن يفهم عن تلك الشخصية الإسلامية التربوية ، فلم تكن القضية فى نظر عبد العزيز قضية استرداد أرض أو الاستيلاء عليها بقدر كونها قضية عقيدة وشريعة ينبغى أن تسود (وأقوى دليل على ذلك : أن الملك عبد العزيز ما أن انتصر حتى جعل عقيدة التوحيد قاعدة انطلاقة ، وركيزة تحركه) . (التركى ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦)

فقد سعى لنصر الله بنصر دينه ، وإقامة حدوده فمكنه الله من الحكم والتغيير والتجديد والإصلاح والبناء وجاء وعد الله حقاً للعباد حيث قال سبحانه : ﴿ **وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً** ﴾ . « النور ، آية : ٥٥ »

فماذا عسانا أن نقول عمن دعا إلى هذا المبدأ ورسخه فى نفوس أمته وشعبه بقوله وفعله وتطبيقه ، فمن أقواله يرحمه الله :

« ... وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذى فى القلوب والإيمان الذى فى الصدور ، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب ، بل

ملك علينا قلوبنا وجوارحـــنا ، ولم نتخذ التوحيد آله لقضاء مآرب شخصية أو لجر مغنم ، وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوى ، ولنجعل كلمة الله هى العليا » . (القابسى ، د . ت ، ص ٥٧)

كما قال : (وإنى أعتمد فى جميع أعمالى على الله وحده لا شريك له ، أعتمد عليه فى السر والعلانية ، فى الظاهر والباطن ، وإن الله مسهل طريقنا لإعتمادنا عليه ، وإنى أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها ، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائى ، وإن تمت على يدى فذلك فضل من الله وكل عمل لا يتم إلا بالإخلاص والنصيحة للمسلمين واجبة ، وقد قيل (الدين النصيحة) ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدى ما عليه . وإنى أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود ، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله ، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال العصرية فأما الدين فو الله لا أغير شيئاً مما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ ، ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء وأراد . وأما (الأمور العصرية) التى تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى فى تعميمها ، أما المنافى منها للإسلام فاننا ننبذه ونسعى جهدنا فى مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عزلنا إلا بالتمسك به) . (القابسى ، د . ت ، ص ٧٠ ـ ٧٢)

ثانياً : إقامة حدود الله :

لقد قال تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ **ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون** ﴾ . « البقرة ، آية : ١٧٩ »

وقد أدراك الإمام عبد العزيز رحمه الله هذا المبدأ الذى تشير إليه هذه الآية الكريمة فبعد أن تم له السلطان على ربوع الجزيرة العربية سعى الى اقامة حدود الله على أرضها فاستتب الأمن وعادة الحياة فكانت الوقاية من الله بعد تحكيم شرعه وإقامة حدوده وتطبيق أحكامه . (فالسارق تقطع يده ،

والذى يثـير الفتنة يحكـم عليه بالموت ، بعد قطع يديه ورجليه من خلاف . وقد كان لشدة الحرص فى تنفيذ أحكام الشرع أثره الحميد فى صيانة الأمن العام) . (الزركلى ، ١٩٩٢م ، ص ٤٢٥)

وقـد عـرف يرحمه الله بالحـزم والشدة إلـى جانـب العـدل والرحمـة (فلا يتساهل قـط فى أمر مـن أمور الدين فإذا علم بحادث قتل لا يهنأ له بال حتى يقيم حـد الله ، ويأخـذ حـق المقتول من القاتل وإذا علم بأمـر لا يرضى الله استفتى العلماء فيه ونفذ فى الفاعل ما يفتى به العلماء وأقام الحـدود بقتـل القاتل وقطـع يد السـارق وعزر من يتعاطى المسكرات فانتشرت مهابته فى كل مكان ورفرفت ألوية الأمـن فى قلب الصحـراء وأثبت للعالم مزية العمل بكتاب الله) . (الزامل ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ٤٩)

فحرص يرحمه الله على تطبيق حدود الله ودعا العلماء والقضاة إلى تحقيق الأمن و العدل بالحكم بما شرع الله وحثهم على ذلك حيث قال : (وإن أكبر أمانة وأعظمها فى عنق المحاكم الشرعية فعليهم النظر فى شؤون العباد بما شرع الله لنا فى كتابه من شرائع ، وبين لنا من حجج ، وأقام من محجة ، قال تعالى : ﴿ **الذين ان مكنهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عقبة الأمور** ﴾ . « الحج ، آية : ٤١ »
وقال : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكفرون** ﴾ .
« المائدة ، آية : ٤٤ »
وقال : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظلمون** ﴾ .
« المائدة ، آية : ٤٥ »
وقال : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفسقون** ﴾ .
« المائدة ، آية : ٤٧ »
وقال : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ . « النساء ، آية : ٦٥ »
(القابسى ، د . ت ، ص ١٠٤) .

ثالثاً : الإصلاح والتجديد :

بعد أن استقر الملك في جزيرة العرب للإمام عبدالعزيز آل سعود ، أخذ يتطلع إلى بناء مجتمع أمثل ، فسعى إلى إصلاح مجتمع الجزيرة العربية ليقضى على الجاهلية التى وقع فيها هذا المجتمع ، ويزيل السئ من مظاهر البداوة المنتشرة فى أنحائه كالبدع والخرافات والتعصب القبلى وغير ذلك ، فبعد أن عمل على ترسيخ العقيدة الإسلامية فى نفوس شعبه ، وطبق تعاليم الشريعة الإسلامية ، استتب الأمن ، وساد سلطان الشرع ، ونعم الناس بعدل الشريعة الإسلامية فقلت السرقة والفجور وشرب الخمور وأمن الطريق .

ثم سعى يرحمه الله للقضاء على الجمود الفكري فقاد شعبه نحو التحضر والمدنية دون المساس بتعاليم الدين والشريعة الإسلامية فأخذ يعمل على إدخال وسائل الحضارة الحديثة فى دولته ، ليجمع بين الإصلاح الدينى والإصلاح المدنى وتقويم السلوك ، وأيقظ العقول وحرك الحياة الراكدة وصحح مختلف المفاهيم .

فالدعوة الوهابية التى عرضت على الأسرة السعودية كانت تهتم بالناحية الدينية وتقوية العقيدة ، وبالناحية الخلقية كما صورها الدين ولكن لم تمس الحياة العقلية ولم تعمل على ترقيتها إلا فى دائرة التعليم الدينى ، ولم تنظر إلى مشاكل المدنيه الحاضرة ومطالبها ... فلما تولت حكومة ابن سعود الحكم كان لابد وأن تواجهها هذه الظروف ، وتقف أمام منطق الحوادث ، فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً شاقاً عمل على التوفيق بين الدين ومقتضيات الزمن ، وبين طبائع البادية ومطالب الحضارة » . (أمين ، ١٩٧٩م ، ص ٢٢ ـ ٢٣)

ولما كان كل ما في الكون مسخر للإنسان ، فتتطلع الإنسان إلى ما حوله كان لابد أن يشعره بوجوب إخلاص العبادة لخالقه العظيم بعد استشعار فضله الدال على عنايته ورحمته ، ثم الاتجاه إلى الاستفادة مما سخر له بصورة تضمن له السعادة في حياته مع استمرارية تلك الحياة لمن بعده .

وقد ضم كتاب الله الكثير من الآيات التي توجه الإنسان إلى التأمل والبحث والاستفادة مما سخر الله له ، من هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار** ﴾ . « ابراهيم ، آية : ٣٣ »

وقوله تعالى : ﴿ **الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره** ﴾ . « الجاثية ، آية : ١٢ »

وقوله تعالى : ﴿ **هو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحماً طرياً** ﴾ . « النحل ، آية : ١٤ »

وهذا من سماحة الدين الإسلامي الحنيف حيث أباح للإنسان (استخدام ما حوله من الكائنات وقوى الكون ، ولفت نظره إلى أنه مسلط عليها باذن الله قد سخرها له من أكبر الأجرام التي تؤثر في حياته كالشمس ، إلى أصغر الكائنات التي يستطيع الإستفادة منها) .

(النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، ص ٤٢)

وفي مقابل هذا التسخير يترتب على الإنسان أن يقوم بالمهمة التي وكلها الله عز وجل له حيث قال تعالى : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ . « البقرة ، آية : ٣٠ »

والإستفادة تكون بالعمران والتشيد ونشر تعاليم الدين الإسلامي وتطبيق المنهج الرباني كما جاء في الكتاب والسنة . وهذا ما أدركه الملك عبدالعزيز بحكمته الرشيدة وبصيرته الثاقبة فسعى إلى تحقيقه بالقول والعمل ، فقد سعى إلى رفع المجتمع السعودي وتحضيره بأخذ كل ما فيه صلاح الدنيا إذا لم يكن متنافياً مع الدين حتى تمكن من إنشاء حضارة عربية إسلامية . فقد عاش رحمه الله لأمته وبلاده وعمل على وحدتها وتوطيد أمنها ونشر الشريعة الإسلامية وتنقيتها من البدع والرواسب . وفي إحدى خطاباته نجده يقول : (يقول كثير من المسلمين : يجب أن نتقدم في مضمار المدنية

والحضارة ، وان تأخرنا ناشيء عن عدم سيرنا في هذا الطريق ، وهذا ادعاء باطل فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمنا) . (الغلامي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٣٥٧)

رابعاً : الوحدة والتوحيد :

إن تاريخ الأمة الإسلامية مليء باسماء العظماء من رجال العرب الذين قدموا الكثير للإسلام والمسلمين : من جهاد ودعوة وإصلاح ، أمثال : عمر بن عبدالعزيز ومعاوية والمأمون وصلاح الدين وغيرهم من الذين تمكنوا من رفع راية الإسلام في الكثير من البلدان ، إلا أن هؤلاء وغيرهم لم يتمكنوا من جمع شمل كلمة العرب ووحدتهم ، ولا من بسط السيادة الإسلامية على شبه الجزيرة العربية ولا التغيير من أحوال العرب الحضارية والاجتماعية . حتى سخر الله للعرب ابن سعود الذي سعى إلى توحيد شبه الجزيرة العربية تحت كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) بحد سيفه وبجهده وشجاعته وحُسن تصرفه . فقد أدرك أنه من المستحيل الاعتماد على البادية في بناء مملكته . فقد حاول كثير من العظماء في الجزيرة العربية أن يوحدوها تحت ظل حكومة واحدة ، لكن لم ينجح أحد منهم لمدة طويلة . وكانت المشكلة تكمن في أن رجال القبائل لديهم نزعة استقلالية حادة ، ولا يكنون ولاء لأي شخص ليس منهم وكانوا يقدرون أعظم تقدير القوة ، والشجاعة ، وحُسن القيادة ، فمن توفر لديه هذه الصفات بقدر عظيم فإنه يستطيع لمدة من الزمن أن يوحد عدة قبائل ، أو عدة فروع قبلية ويبدأ في تكوين مملكة خاصة به . (المانع ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)

وقد تمتعت شخصية الملك عبدالعزيز بكل هذه الصفات لذلك تمكن من حل هذه المشكلة « بطريقة جديدة لم يسبقه إليها أحد من ملوك العرب قديما أو حديثاً . فهو من هذا القبيل المصلح الأكبر في العرب . أجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل أجداده وأدخلهم في دين التوحيد كما فعل أسلافه ، ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد ... فقد تجلت لعبدالعزيز الحقيقة التي خفيت على سواه . وهذه الحقيقة أن البدو لا يثبتون ، ولا يطيعون ، ولا يخلصون ،

لأنهـم لا يملكون شيئاً من الأرض ، ولا يسكنون بيوتاً ثابتة . إذن سنعطيهم أرضـاً ونسـاعـدهـم في بناء البيـوت . سننقلهم من البـادية إلى المدينة . سنقيدهم بالأرض ، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم ، وإذا أذنبوا نستطيع تأديبهم » . (الريحاني ، ١٩٦٤م ، ص ٢٦٠)

فعملية التوطين وإقرار القبائل في الدولة السعودية في عصر الملك عبدالعزيز كانـت عـمليـة شـاملة حـقـقت تغـييـراً جذرياً لدى العشـائر في النواحي الاجتماعية والدينية والاقتصاديـة ، وهــذا التكامل هو الذي حقق لها النجـاح الذي كان من أهم نتائجه قيام المملكة العربيـة السعودية كدولة إسلامية عربية ، توفرت لها كل مقومات الدولة العصرية ، مع الحفاظ على تقاليدهم العربية الأصيلة ، حتى غدت النموذج الأمثل في عالمنا الإسلامي والعربي . (آل سعود ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)

فقد نظـر الملك عبدالعزيز إلى العقـيدة والشريعة نظرة منهجـية متكامـلة . « فـالعقـيـدة عنده هي توحيـد الله ، ثم اجتمـا ع المؤمنين في طاعة الله . والشريعة عنده هي النظام الذي يأتلف المسلمون على طاعته وموالاته ويتحد صفهم في كنفه ، ومن العقيدة الموحدة ، والشريعة المنظمة تنبثق الوحدة فما ينبغي لمجتمـع اتحد في العقيدة والشريعة ان يتفرق اجتماعياً أو سياسـياً أو جغرافياً » . (التركي ، ١٩٨٥م ، ص ٤٣ ـ ٤٤)

ويتبين لنا منهج الملك عبدالعزيز في الوحدة من قوله : (إن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته ولكنه كبير وعظيم ، وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر به الله ورسوله . إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم ، ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ، ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير ، وإذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم إتمامه في ساعة واحدة لأن ذلك يكون مطلباً مستحيلاً ، كما أننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم بالناس ، وإنما غايتنا

أنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأقل » . (القابسي ، د. ت ، ص ٩٢)

فتخطى الملك عبدالعزيز الصعوبات ومضى يوحد بلاده ـ المملكة العربية السعودية ـ تحت راية واحدة ، وقيادة واحدة ، وعقيدة واحدة مستمدة من منهج الوحدة الإسلامية ، فكان من أعظم دعاة الوحدة والإصلاح والتجديد في العصر الحديث .

خامساً : غرس الإخلاص للمباديء الدينية والعلمية :

لقد أدرك الملك عبدالعزيز أهمية العقيدة والشريعة في حياة الأمة الإسلامية فسعى إلى ترسيخها وتطبيقها في نفوس أفرادها ، وبعد ذلك تمكن بفضل الله من توحيد قلوب شعبه وتوطينهم ثم من توحيد جزء كبير من شبه الجزيرة العربية تحت مسمى المملكة العربية السعودية ، ورغم كل هذا الإنجاز إلا أن بصيرة الملك عبدالعزيز تبقى تلك البصيرة الثاقبة المتطلعة دائماً نحو التقدم والرقي بالدين والدولة . فبعد أن أيقظ رجال البادية وحركهم وبعث فيهم الحياة أدرك أن هذه الحيوية التي بعثها في روح البدو (إذا لم تنصرف إلى البناء ، فإنها ولا شك ستنصرف إلى الهدم ، وإن لم ينتفع بها في تعمير البلاد وإصلاحها فلابد أن تتحول إلى الغزو وحده . فصمم على إحداث تبدل محسوس في طبيعة البدو يقلب حياتهم كلها : الدينية والسياسية والاقتصادية . وبمعنى آخر ، فكر في وضع نظام عام : ديني سياسي واقتصادي) . (الزامل ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ١٢٨)

فالتغيير والتجديد والإصلاح في نظر عبدالعزيز لم يكن يستهدف إدخال التغييرات الجزئية ، بل كان يهدف إلى وضع الأسس الثابتة لتطور مستمر .

ولكن سؤالاً بقي في ذهن عبدالعزيز : كيف يمكن غرس الإخلاص للمباديء الدينية والعلمية في نفوس هؤلاء البدو الذين لا يؤمنون بغير السلب ، ولا يفكرون إلا في الغنائم ؟ وتتذلل الإجابة بعزيمة رائع العزيمة (عبدالعزيز)

ورغبته في الإصلاح والتجديد والتطور والعلو بمجتمع الجزيرة العربية فتكون تلك العزيمة هي : الدافع نحو تنظيم قوة اجتماعية وعسكرية من القبائل المتفرقة في أنحاء الجزيرة العربية ، متخذاً من المناسبات الدينية التي يجتمع فيها الناس من مشارق الأرض ومغاربها سبيلاً يصل من خلاله إلى قلوب أفراد شعبه ، فيجتمع بهم ، لينصحهم ويرشدهم ويصحح لهم اعتقاداتهم الخاطئة ، مستشهداً بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ . ومن خلال دراسة الخطب واستنباط المبادىء التربوية التي تضمنتها ، استطعنا أن نتلمس حقيقة الأسلوب الذى اتبعه الملك عبدالعزيز لغرس الإخلاص للمبادىء الإسلامية في نفوس أفراد شعبه وغرس حب الجهاد والولاء والطاعة لولاة الأمور ، وتنمية الحماس الديني وحب الاستقرار في نفوسهم ، فحقق بذلك ما يأتي :

أولاً : بناء وحدة متماسكة في أهدافها الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية .

ثانياً : جمع القبائل البدوية المنتشرة والمتفرقة في الصحراء في هجر زراعية تجعل البدوي يشعر بمسؤولية المواطنة ، وتغرس في نفسه حب الاستقرار .

ثالثاً : تطوير البلاد بفضل إيجاد قرى زراعية يمكن بواسطتها تحسين الأحوال الاقتصادية لسكان البادية . وقد أشار إلى هذا الإنجاز بقوله : « أما وأن القبائل البدوية ، هي سلسلة الدولة الفقرية وعمادها وسندها ، فلا مناص من ربطها بالأرض ربطاً محكماً ، وتحكيم صلاتها بها .. ولا مناص من إرغام هؤلاء البدو على قبول التعليم .. وهذا يحتم إحداث تبديل جوهري في عادات رجال البادية ، بحيث لا يفكرون في الغزو بل يحصرون تفكيرهم في حرث الأرض .. » . (الزامل ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ١٣٠)

وقد صرح يرحمه الله بأنه قد قصد من وراء ذلك أن يمنعهم من غزو بعضهم البعض ، لأن في ذلك انحلال العرب وتجزئتهم ، وتشتيت مقدراتهم .

قال تعالى : ﴿ **واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته أخوانا** ﴾ . « آل عمران ، آية : ١٠٣ »

فبفضل من الله نجح الإمام عبدالعزيز في تأمين استمرار دولة قوية من بعده ، تسير على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية وتتمسك بتعاليم وأحكام الدين الإسلامي القويم والتقاليد العربية الأصيلة .

الفصل الثالث

الظروف السياسية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية عند نشأة الملك عبدالعزيز وانعكاسها على التعليم

* حدود شبه الجزيرة العربية :
  - طبيعة الجزيرة العربية .
* حدود المملكة العربية السعودية .
* الظروف السياسية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية عند نشأة الملك عبدالعزيز .
* أثر الظروف السياسية والاجتماعية في شخصية الملك عبدالعزيز :
  - التربية الإسلامية والنمو الجسمي .
  - التربية الإسلامية والنمو العقلي .
  - التربية الإسلامية والنمو الاجتماعي .
* الكرامة الإنسانية وشخصية الملك عبدالعزيز التربوية .
* الملك عبدالعزيز والتعليم .

« تمهيد »

نجد أن بعض كتب التاريخ في معرض تناولها لحدث توحيد المملكة العربية السعودية تورد بعض العبارات التي توهم القارىء بأن المملكة العربية السعودية هي : الجزيرة العربية قاطبة .

والحقيقة أن الملك عبدالعزيز رحمه الله لم يوحد سوى المملكة العربية السعودية لذلك رأت الباحثة في هذا الفصل أن تشير بشيء من الإيجاز إلى حدود شبه الجزيرة العربية وحدود المملكة العربية السعودية ، والسبب الذي جعل الكثير يطلق عليها مسمى شبه الجزيرة العربية .

شبه الجزيرة العربية :

يقول (لوبون ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م) :

« يتألف القسم الأكبر من بلاد العرب التي هي شبه جزيرة من مجاهل وصحار ، ويحيط بها البحر الأحمر من الغرب ، وبحر عُمان والخليج العربي من الشرق ، والمحيط الهندي من الجنوب ، وتتصل من أقصى غربها وشرقها بإفريقية وآسية . ويحيط ببلاد العرب من الغرب والشرق والجنوب ثلاثة أبحر كما ذكرنا ، وأما حدُّها الشمالي فغير واضح ، وهو يمتد تقريباً باتجاه الخط الذي يبدأ من مدينة غزة الفلسطينية الواقعة على ساحل البحر المتوسط ماراً بجنوب البحر الميت فدمشق فالفرات وينتهي بخليج العرب » . ص ٥٥ ـ ٥٦

ويؤكد هذا الوصف قول (ابراهيم باشا في كتابة مرآة الحرمين) حيث قال :

« شبه جزيرة العرب هي ثالثة أشباه الجزر الآسيوية الكبيرة الواقعة في جنوب آسيا . تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها في هذه النواحي فصلاً تاماً . يحدها البحر الأحمر غرباً ، والمحيط الهندي جنوباً ، وبحر عُمان والخليج العربي شرقاً . أما حدودها الشمالية العامة فمبهمة غير واضحة » . (ص ١٤٣)

فشبه الجزيرة العربية تتضمن عدداً « من الممالك والسلطنات والجمهوريات والإمارات المستقلة ، وهي : المملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية اليمنية ، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وسلطنة عُمان ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، وإمارة قطر ، وإمارة البحرين ، وإمارة الكويت » . (جوده ، ١٩٨٨م ، ص ٦)

طبيعة شبه الجزيرة العربية :

اقتضت الحكمة الإلهية ، أن تكون شبه الجزيرة العربية مهداً لنشأة الدعوة الإسلامية ، ومبعثاً للكثير من الأنبياء منهم : نبي الله هود الذي أرسل إلى عاد ، وصالح الذي أرسل إلى ثمود ، وشعيب الذي أرسل إلى مدين ، وإسماعيل الذي نشأ في مكة وعاش ومات فيها بعد أن جاء طفلاً مع أبيه إبراهيم عليهما السلام . وقد وكلهما الله سبحانه ببناء البيت الحرام وتطهيره للطائفين والعاكفين . بأمر منه سبحانه .

قال تعالى : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعكفين والركع السجود** ﴾ . « البقرة ، آية : ١٢٥ »

لتبقي الجزيرة العربية مأوى الرسالات والدعوات الإسلامية لما تتميز به من موقع جغرافي ، وطبيعة بيئية تدعوا إلى التأمل والتدبر في الخالق العظيم .

يقول جوده ، ١٩٨٨م :

> « وقد كانت طبيعة البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية عاملاً من عوامل معرفة الخالق وإنتشار الإسلام ، فالبيئة في شبه الجزيرة ، صحراوية تتخللها الوديان الجافة والهضاب المتنوعة المظهر ، والجبال المتفاوتة الارتفاع وسماؤها صافية ممتدة تخلو من الغيوم ، ويسطع فيها القمر ، وتشع النجوم . فبلاد هذه طبيعتها لاشك تحفز الإنسان على التأمل في السموات والأرض ، والتفكر في الخالق العظيم الذي رفع السموات بغير عمد ، وجعل في الأرض رواسي أن تميد بالخلق » . ص ٦

المملكة العربية السعودية :

وتقع في جنوب غرب آسيا وتبلغ مساحتها نحو ٦٢٧ ألف ميلاً مربعاً . وتحتل الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية ، يحدها غرباً البحر الأحمر ، وشمالاً الأردن والعراق ، وجنوباً اليمن الجنوبي وعُمان ، وشرقاً الخليج العربي وقطر والإمارات العربية ، وجنوب شرقي عُمان أيضاً ، وجنوب غربي اليمن الشمالي ، وشمال شرقي الكويت .

تغلب الطبيعة المناخية الصحراوية عليها وهي : الحرارة الشديدة صيفاً مع قلة الأمطار ، والبرودة شتاءً مع أمطار موسمية غزيرة في معظم المناطق وخاصة الشمالية . (الشمّري ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١)

ولعل السبب الذي جعل الكثير يطلق عليها مسمى شبه الجزيرة العربية ، كونها أكبر الوحدات السياسية في شبه الجزيرة العربية ، فهي تحتل منها نحو أربعة أخماس مساحتها .

وهي من أغنى دول العالم في النواحي المالية لوجود الثروة البترولية الهائلة فيها .

ولكن يبقى السؤال : **لماذا وقف الملك عبدالعزيز عند هذه الحدود ؟**

وقوف الملك عبدالعزيز عند هذه الحدود للمملكة العربية السعودية كان لحكمة أدركها رحمه الله وأشار إليها في قول يشير إلى أنه قبل أن يخرج من الرياض قام بقراءة التأريخ خصوصاً تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية فيقول : لقد جئت إلى بلادي بحسابات دقيقة أملاها علي التأريخ وأرسلتها إليّ الأحداث والعبر خصوصاً من دولتنا الأولى والثانية ، وتعرفت على أسباب قيامها مرة وسقوطها في الأخرى ، ومن يأخذ عليّ وقوفي عند هذه الحدود ، سيجد أنني على صواب ، ان هذه الحدود يقف عليها في الجهة المقابلة ، في العراق والأردن

وفلسطين ، ودمشق ومصر وعدن والخليج العربي إلى ما وراء ذلك ، استعمار بغيض ، شعوبنا العربية في هذه البلاد لست أقوى منها ، ولا تملك بلادي قدراتها المادية والبشرية ، وليس شعبنا أكثر منها وعياً ، هي شعوب أملت على التأريخ حضارات عظمى وفتوحات في عالم واسع . *

الظروف السياسية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية عند نشأة الملك عبدالعزيز آل سعود

لقد أخذ الوهن يدب في كيان شبه الجزيرة العربية ، وذلك بسبب النزاع الحاصل بين بعض أفراد العائلة السعودية بعد وفاة الأمير فيصل بن تركي .

وقد استفاد الأتراك من هذا الانشقاق ، وجرت بينهم وبين الأمير عبدالرحمن بن فيصل عدة وقائع انتصر في بعضها ، ولكن الهزيمة كانت حليفة في الأخير ، وذلك في عام ١٢٨٧هـ تقريباً . وبعد تلك الهزيمة التي تلقاها الأمير عبدالرحمن من الأتراك وبمحاولة منه لاسترجاع الأحساء ، عاد إلى الرياض ، وبعد مرور عام عاد أخوه عبدالله إلى الرياض فتنازل له الإمام عبدالرحمن عن الإمارة ، فحكم ثماني سنوات أظهر خلالها ضعف وتلاشي ملك آل سعود ، وكانت النتيجة زحف عبدالله بن رشيد إلى الرياض ، والاستيلاء عليها ، وضم نجد إليه وذلك سنة ١٣٠٢هـ .

وفي عام ١٣٠٦هـ بقي الأمير عبدالرحمن هو المسؤول الأول عن مصير السعوديين ، وذلك بعد وفاة عبدالله . وقد حاول الأمير عبدالرحمن استرجاع نفوذه ولكنه لم يتمكن من ذلك إلا عندما صمم (سالم بن سبهان) الذي حكم الرياض في عام ١٣٠٧هـ ، على التخلص من الأسرة السعودية وذلك بقتل جميع الذكور منهم ، فطلبهم إلى قصره ناوياً الفتك بهم ، فعرف الأمير عبدالرحمن ما كان يضمره من سوء وغدر ، فأمر أسرته بالتسلح ، فهاجموه وقتلوه وقضوا على أتباعه وأصبحوا أسياداً على الرياض كما كانوا من ذي قبل .

* كتب عن هذا بشيء من الإسهاب ، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري في صحيفة الشرق الأوسط في العدد ٦٨٨٩ ، ص ٢٦ .

ولكــن الإمام عبدالرحمن لم يكـــن يملك القوة التي تمكنه من مواجـهة قـوات ابن الرشـيد التي تمكنـــت من هزيمة القـــوات السـعودية بالقـــرب من بريـــدة وأخـذت تزحف نحـو الرياض ، وذلـــك في عــــام ١٣٠٨هـ . فـخـرج مع أسـرتـــه مـتوجـهـــاً إلى الأحـسـاء ، ثم أرسل ولده عـبدالعزيــز مع عـائلتـه إلى البحرين ، وأخذ يبحث عن الأنصار لاسترداد ملكه ولكن لم يجدهم ، قصد بعدها قبائـــل (مرة) في الربع الخالي مع ولديه الأمير عبدالعزيز والأمير محمد وابن أخـيه الأمـيـر عبـدالله بن جلوي ، وقد عـاشـوا في هذا المكان عيشة ضنك وتعب ومـشـقـة إلى سنة ١٣١٣هـ ، بعدها توجـهـوا إلى الكويت بدعوة من ابن الصبـاح وقاموا فيـــها إلى عام ١٣١٩هـ ، حيث قام الأمير عبدالعزيز بـــن عبدالرحمـــن بن فيصل بمغامـرتـــه الجريئة التي استرجــع فيها الرياض ، وجعل النهوض بالبـــلاد وتوحـيـد كلمـتـها وأجـزائها ، ونشـر ألوية العـــدل فـوق ربوعـهــــا هو الهدف الأسمى الذي يتطلع إلى تحقيقه ليعيد للإسلام رونقه وبهاءه . وقد حقق ذلك بفضل من الله عز وجل ثم بشجـاعـة وقوة الملك عبدالعزيز رحـمـه الله ، الدينية والبدنية . (الغلامي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٢٠ ـ ٢١)

وقد كانت الحياة في شبه الجزيرة العربية لا يستقر لها حال ، وكان الثأر قـاعدة الحـيـاة ، والسلب والنهب وقطع الطرق من الأعمـال المفـاخـر بهـا ، والرياء والنفاق من الشيم ، والقلوب لا تعرف الإخلاص .

(الرفاعي ، يونس ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م)

ورغم كل هذه الظروف تمكن عبدالعزيز من تحقيق هدفه المنشود .

يقول عبده : (د. ت)

« لقد كانت الجزيرة العربية قبيل حكم الملك عبدالعزيز فرقاً وأحزاباً فوحدها ، وكانت لقمة سائغة في أفواه المستعمرين ، فحال دون ازدرادها ، وكان تطبيق قواعد الدين دون وعي أو فهم ، وفي شيء يشبه الإلحاد ، فردها إلى حقيقته وطهارته ، وكان الأمن مفقوداً فأشاعه في كل مكان ، وأعلى سلطانه على سلطان الأمراء والشيوخ والملوك » . ص ١٥٦

إذاً : ما السر في أخلاق الملك عبدالعزيز ، الذي استطاع به توحيد جزيرة العرب ؟

فالبحث لم يأت ليستهدف العرض التاريخي لتلك الظروف التي نشأ فيها الملك عبدالعزيز فما تلك المقدمة الموجزة إلاً للتعرف على السر وراء تلك الأخلاق والشجاعة والبسالة التي اتصف بها عبدالعزيز واستطاع أن يعتلي المجد ويكون من أبرز الشخصيات الإسلامية في عصره ، وتبقى سيرته إلى وقتنا الحاضر . فالهدف اذاً : توجيه نظرة تربوية إسلامية من خلال ذلك .

يقول فهد المبارك ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م :

« لما كان للملك عبدالعزيز جوانب نبوغ وعبقرية متعددة الأطراف : جوانب في الأخلاق ، وجوانب في سيرته ، لم يكتب عنهما بعد والسبب في ذلك يعود إلى كون تلك الجوانب لا يعرفها معرفة علم راسخ الجذور إلاً الجيل الذي عاصره ، سواء الرجال الذين حاربوا معه أو الرجال المنصفون الذين حاربوه ومن ثم انتصر على قلوبهم مادياً وأخلاقياً ، أكثر من انتصاره العسكرى فإن هذه الجوانب المهملة ينبغي أن تكون هي المادة الرئيسية في شخصية موحد جزيرة العرب .. » . ص ٥

لذلك عمدت الباحثة إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها الملك عبدالعزيز بغية الوقوف على السر وراء تلك الجوانب التربوية الإسلامية في سيرة الملك عبدالعزيز رحمه الله ، ومن خلال الأحداث التأريخية التي عاشها الملك عبدالعزيز ونشأ فيها نستطيع أن نقف عند حدود هذا السر . فكما نعلم جميعاً أن التربية الإسلامية تستهدف « رعاية النمو من كل جوانبه الجسمية ، والعقلية ، والخلقية ، والاجتماعية ، والذوقية ، والروحية ، والوجدانية مع توجيه هذا النمو نحو تحقيق هدفها الأسمى » . (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، ص ١٠٥)

فماذا عن ذلك في نشأة عبدالعزيز ؟

أولاً : التربية الإسلامية والنمو الجسمي في شخصية الملك عبدالعزيز :

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ .
« الأنفال ، آية : ٦٠ »

وقال الرسول ﷺ : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألاً إن القوة الرمي ، ألاً إن القوة الرمي » رواه مسلم . (النووي ، جـ ١٣ ، ص ٦٤)

أما عبدالعزيز الذي ألف حياة البادية في احتمال مكاره العيش والصبر على الظمأ والجوع والتعب وافتراش الأرض والتحاف السماء . فقد « أمضى الجانب الأكبر من صباه يعيش مع القبائل البدوية على حافة الربع الخالي ، يتعلم الفروسية وفنون الحرب والقتال ، ويقف على الصلات القائمة بين القبائل ويدرس عاداتها وتقاليدها ونقاط القوة والضعف فيها » . (عسه ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٩٢م ، ص ٤٦)

وقد كان لوالده كبير الأثر في نشأته تلك حيث عوده على أن يستيقظ قبل الفجر للصلاة ، ووجهه إلى الرياضة ، وأدبه بآداب آل سعود الإسلامية . (الزركلي ، ١٩٩٢هـ ، جـ١ ، ص ٥٩)

يقول الرسول ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء » رواه البخاري . (العسقلاني ، جـ٣ ، ص ٢٤٦)

يقول الرفاعي ، يونس : (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) :

> « يجدر بنا أن نشير إلى أثر العامل الروحي في نجاح عبدالعزيز آل سعود في تأسيس الدولة الجديدة ، وأن نقر أن العامل الديني كان الأساس الأول لقيام دولته ، فجيش عبدالعزيز في إستعادة الرياض لم يكن أكثر من ستين رجلاً ، أي قليل العدد والعدة ، ولكن هؤلاء الرجال أثبتوا أنهم كانوا كثرة قوية بفضل ما ملأ نفوسهم من قوة الإيمان بالمبادىء الدينية ، وبفضل اعتقادهم بأن عليهم أن يجاهدوا في سبيل الله حتى ينصر زعيمهم السياسي والديني لكي يستأنف الحكومة الدينية السلفية في نجد ويعيد مجدها وينشر دعوة التوحيد » . ص ١٧

ومن خلال هذا الجانب التربوي الذي نشأ عليه عبدالعزيز آل سعود ، يتحقق المبدأ الإسلامي المراد من قوله تعالى : ﴿ **خذوا ما ءاتينكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾ . « البقرة ، آية : ٦٣ »

وقوله سبحانه : ﴿ ولينصـــرن الله من ينصـــره ان الله لقوى عزيز ﴾ .
« الحج ، آية : ٤٠ » . فقد وعى عبدالعزيز الدين الإسلامي وأخذ ينشره بين الأمصار متخذاً قوة العدة والرجال حتى تمكن من نصرة الإسلام بفضل من الله وقوة .

ثانياً : التربية الإسلامية والنمو العقلي في شخصية الملك عبدالعزيز :

لقد نشأ عبدالعزيز في أعقاب نكبة قضت على الدولة السعودية ومزقتها ، واقتلعت القيم الحضارية التي حاولت أن تبعثها . فعاد المجتمع إلى جاهليته الأولى ممزقاً بدوياً يعيش على الرعي والإرتحال ، كما يعيش على الغزو والسلب والنهب .

وخـــلال الحرب التي استهدفت التحرير والتوحـيد رأى عبدالعزيــز بثاقب فكـــره أن حياة البداوة ، الغير مستقرة ، هي الســـبب الرئيسي الذي يعـــوق إنشاء الدولة المستـقـرة التي يريدها ويعمـــل لها ويفكر فيـــها . (درويش ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ، ص ١٥٩)

والتربية الإسلامية تهدف إلى تنمية العقل على التفكير السليم والتوجه نحو الدقة والأمانة في التفكير لتحقق بذلك مبدأ العبودية المطلقة لله عز وجل وذلك من خلال التدبر والتأمل والتفكير في آثار قدرته ومخلوقاته في الكون والأنفس .

قال تعالى : ﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلف الليل والنهار لايت لأولي الألبب ، الذين يذكـرون الله قيماً وقعودا وعلى جنوبـهم ويتفكرون في خلق السـموت والأرض ربنـا ما خلقت هذا بطلا سبـحنك فقنا عـذاب النار ﴾ . « آل عمران ، آية : ١٩٠ ـ ١٩١ »

وقال سبحانه : ﴿ سنريهم ءايتنا في الافاق وفي انفسـهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ .« فصلت ، آية : ٥٣ »

وقال عز وجل : ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينـهـمـا ألا بالحق واجل مسمى وإن كـثيراً من الـناس بلقاى ربهم لكفرون ﴾ . « الروم ، آية : ٨ »

فالتفكر والتدبر والتأمل مبدأ من المبادىء التربوية التي تأمر بها العقيدة الإسلامية ومن خلال المجد الذي شيده عبدالعزيز نستطيع إدراك هذا المبدأ في شخصيته .

يقول البدوي ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م :

« لقد توفر في الإمام عبدالعزيز صفات القيادة العسكرية الناجحة ، وهي : الإلهام بالإيمان واليقين والشجاعة ، والنشاط والمجد واليقظة وحضور البديهة ، وسرعة الملاحظة ، والصبر والمروءة والشرف ، وضبط النفس ، والتفكر الهادىء المتأمل ، واللياقة البدنية ، والتفاؤل » . ص ١٢٨

وبتلك الصفات وهذا التفكير أدرك الإمام عبدالعزيز ضرورة إيجاد نظام يتمشى مع الحضارة ، على قدر ما تسمح به حياة الصحراء ، فهو يعلم أنه قد أيقظ رجال البادية وحركهم وبعث فيهم الحياة . فإذا لم تنصرف هذه الحيوية إلى البناء . فإنها ولا شك ستنصرف إلى الهدم . وإن لم ينتفع بها في تعمير البلاد وإصلاحها . فلابد أن تتحول إلى الغزو وحده . ففكر في وضع نظام عام : ديني وسياسي واقتصادي ، يحدث تبدلاً محسوساً في الطبيعية البدوية . فأخذ يفكر ، حتى توصل إلى تدابير دينية تعليمية ، اقتصادية ، ففرض التعليم ، وأمر بالإهتمام بالزراعة ، وقدم لهم الأراضي وأقام العمران عليها ، ثم طلب منهم الاستيطان والاستقرار ، وأوفد اليهم العلماء والمعلمين من رجال الدين .

وهاهو يقول : « أما وأن القبائل البدوية هي سلسلة الدولة الفقرية ، وعمادها وسندها فلا مناص من ربطها بالأرض ربطاً محكماً ، وتحكيم صلاتها بها ، ولا مناص من إرغام هؤلاء البدو على قبول التعليم وهذا يحتم احداث تبديل جوهري في عادات رجال البادية ، بحيث لا يفكرون في الغزو بل يحصرون تفكيرهم في حرث الأرض » .

(الزامل ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩)

فالعقل البشري لم يكن ليهمل ويترك إلى أن يتراكم عليه غبار الجهل ، ومن ثم الضياع ، وإنما خلق من أجل أن يتفكر ويتأمل في الأحداث من حوله ، ليدرك ما ينبغي أن يكون وما لا يجب أن يكون ، حتي يصل إلى الغاية التي يرغب فيها ويسعى إلى تحقيقها . فالانتصارات التي حققها الملك عبدالعزيز في ميادين المعارك مع الأعداء لتوحيد أجزاء دولته هي الجهاد الأصغر الذي انتصر فيه ، أما الجهاد الأكبر فقد تمثل في عملية الإصلاح التي قام بها الملك عبدالعزيز ببراعة . فقد أمر بالأخذ بما هيأ الله للعالم من الوسائل الحضارية الحديثة ، والإفادة من المخترعات مثل : التلغراف ، التلفون ، السيارات ، الطائرات ، وغيرها من الوسائل الحضارية التي انتشر استعمالها لتكون أداة للتوجيه السليم . وكان يقول : « إن التمدن الذي فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا مرحباً به وأهلاً ، وأما التمدن الذي يؤذينا في ديننا وأعراضنا وشرفنا ، فو الله لن نذعن له ، ولن نعمل به ، ولو قطعت منا الرقاب » .

وكان جوابه على المعترضين على استخدام مثل هذه الأدوات بان ليس هناك دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ يمنع من إحداث ذلك .

وقد وافقه على ذلك العلماء وأئمة الدعوة . فما دام لا يوجد نص قاطع بالمنع فعلينا أن نجتهد لاستخلاص حكم الشرع فيما نصلح به دنيانا ، كما يأذن لنا به ديننا .

فقوة الإيمان التي اتصف بها الملك عبدالعزيز جعلته يسعى إلى التفكير السليم والنهج القويم وبذلك تغلب على جميع العقبات التي اعترضته في سبيل توحيد الجزيرة العربية ونشر الدين الإسلامي الحنيف وتطبيق التعاليم الإسلامية الصحيحة وهذا لا شك درس جدير بكل مسلم أن يتعلمه .

ثالثاً : التربية الإسلامية والنمو الاجتماعي في شخصية الملك عبدالعزيز آل سعود :

ما حققه عبدالعزيز من توحيد واستيطان ونشر دين وعلم وتآلف جماعات قد لخصه علماء الاجتماع بقولهم : « إن المجتمع إنما يتكون باجتماع مجموعة من الأفراد ، واشتراكهم على تصورات وأهداف ومصالح ، يفهمونها فهماً موحداً ، ويعملون لها جميعاً ، فيؤلف ذلك بينهم بروابط تربط جميع الأفراد ، وتشدهم بعضاً إلى بعض ، وتحبب إليهم العيش المشترك والتعاون والتكافل فيما بينهم » .

(النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، ص ١٠٩)

فهل يختلف هذا الوصف للمجتمع عن الحقيقة التي وضعها عبدالعزيز ؟

قال تعالى : ﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت والأرض اعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاوهم مغفرة من ربهم وجنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها ونعم اجر العملين** ﴾ . « آل عمران ، آية : ١٣٣ ـ ١٣٦ »

وقد تجلت هذه الصفات جميعها في شخصية الملك عبدالعزيز .

يقول الزامل ، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م) :

> « لقد كان الملك عبدالعزيز يرحمه الله ممن ينفق بغير حساب في السراء والضراء ، ويكظم غيظه ، ويعفو عن خصومه ويحسن إليهم أعظم الإحسان ، يذكر الله دائماً ويستغفره ويخشى عذابه ويتفكر في الوصول إلى رضاه ، وقد حرص على تربية أبنائه وأفراد شعبه على الصلاح والتقوى والترفع عما يغضب الله فطيب الله ثراه » . ص ٤٤٢

فالنشأة الدينية والدنيوية التي نشأها الملك عبدالعزيز كان لها كبير الأثر في بناء شخصيته ، التي كان أساسها طاعة الله عز وجل وتقواه . ومن ثم جاءت العزيمة وقوة الإرادة لتناصر كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) .

فهذا هو عبدالعزيز الذي توجه الله بتاج الملك ، وقوة الإيمان ، وأصالة الرأي ، ورجاحة العقل . تشرف بولاية أقدس بقاع الدنيا فكان أهلاً لها ، واستطاع أن يحظى بحب الناس له ، حتى كان نتاج ذلك الحب ولاء وإخلاصاً ووفاء وطاعة ، ليس من رعاياه فحسب ، وإنما من سائر الأمم العربية والإسلامية ومن مختلف الأجناس والشعوب .

فهل انتاب قلبه الغرور ؟ لا .. لم يكن ذلك أبداً بل هو قابل كل خير بشكر الله ، وكل سوء بالاستعانة بالله ، ومضى في طريقه عابداً مصلياً له سبحانه وتعالى بالعشي والآصال . فكان أرفع مثال في أمته لما يجب أن يكون عليه الإنسان من مكارم الأخلاق ، فكان القدوة الحسنة والنبراس المضيء الذي ينبغي أن يقتدي به . وليس هناك أجدر بقدوة التابع للمتبوع من اقتداء الأبن بأبيه ولذلك كان ابناؤه هم أول المقتدين به وخير المترسمين لخطاه والعاملين على نهجه . (شاكر ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص ٩٤ ـ ٩٥)

الكرامة الإنسانية وشخصية الملك عبدالعزيز التربوية :

الكرامة الإنسانية هي الأساس الأول الذي تقوم عليه الشخصية التربوية الإسلامية فهي التي تميزه عن بقية المخلوقات ، بهذه الكرامة يكون التفاضل بين الناس في البيئة الواحدة على حسب الميول للمعرفة ، والإنتاج ، والإبتكار ، والتفكير السليم ، والحرية وبإختصار التكيف مع الحياة الاجتماعية السليمة يقول تعالى : ﴿ **ان اكرمكم عند الله اتقكم** ﴾ . (الحجرات ، آية : ١٣)

وان كانت التقوى في نظر الكثير تأخذ الجانب الديني ، وهو الوقاية من العذاب في الآخرة بالأعمال الصالحة في الدنيا ، هذا هو المعنى الرئيسي من الآية . إلا أن الآية تشير إلى مضامن تربوية أخرى مثل : الوقاية من الفقر بالعمل

مثلاً وهذا بند من بنود الكرامة ، الوقاية بالجهاد من عداوة الطغيان وهذه صورة أخرى من صور الكرامة ، الوقاية بالإيمان من التدهور والانحطاط ، والوقاية بالتجديد والإصلاح من مضار التقليد الذي لا يتناسب مع الظروف البيئية التي يعيش فيها الإنسان ، الوقاية بالتفكير العلمي والديني والسياسي السليم من براثن التسلط والجهل والمرض والفقر .

فالبيئة لاشك مليئة بالمخاطر ، والإنسان جزء من هذه البيئة ، لذلك يتحتم عليه أن يبتكر الأساليب والطرق الصحيحة ليحمي نفسه من مخاطرها ، ويخلق الجو المناسب الذي يحقق له العيش الكريم .

هذه المقدمة الموجزة استنبطتها الباحثة من واقع البيئة التي عاش فيها الملك عبدالعزيز وأثرها على شخصيته . فالبيئة في نظر علماء النفس « لا يقصد بها البيئة الجغرافية ، أو البيئة المحلية ، أو بيئة القرية أو بيئة المدينة ، وما إلى ذلك من الاستعمالات الدارجة لهذه الكلمة . وإنما البيئة في نظرهم عبارة عن النتاج الكلي لجميع المؤثرات التي تؤثر في الفرد ، وهذا يؤكد قيمة الشمول إذ يتضمن كل المؤثرات التي يمكن أن تؤثر على الفرد مهما كان نوعها ، كما يتضمن دورة حياة الفرد كلها » . (عبدالرحيم ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص ٤١)

الملك عبدالعزيز والتعليم :

لقد ظل التعليم والثقافة في البلاد السعودية ، يسيران على نمط ثقافي قديم يقتصر على الدراسات الدينية واللغوية في حلقات المساجد والكتاتيب .

ولكن يبقى نور القرآن وهدي السنة هو النبراس الذي أضاء طريق عبدالعزيز نحو المجد والرفعة . قال تعالي : ﴿ **يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين اوتوا العلم درجت** ﴾ . « المجادلة ، آية : ١١ »

فبعد أن مكن الله له توحيد دولته وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية فيها ، أدرك أهمية التعليم في رسوخ تلك القواعد وتأسيسها وتطويرها ، لذلك

فقد جاءت حركة الملك عبدالعزيز التعليمية لتشمل الإصلاح في جميع نواحيه : التربوية ، والاجتماعية والسياسية وكذلك العسكرية ، والاقتصادية . « فالحركة التعليمية التي دعا إليها الملك عبدالعزيز كانت حركة حديثة بالنسبة للجزيرة وتعتبر تطوراً جذرياً لمفاهيم التعليم القديم التي كانت على أهميتها وجوهريتها ، مقصورة على التعليم الديني .. ولكن عبدالعزيز كمصلح تعليمي قام بإدخال التعليم الحديث على نطاق واسع ودعا إليه وشجع المواطنين على قبوله على الرغم من تقاعسهم الطبيعي وترددهم الوراثي أمام مثل هذا التغيير الكبير » . (أبوراس ، الديب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٠٥)

وكانت الانطلاقة الأولى للتعليم في المملكة عام ١٩٢٦م حيث وضع الملك عبدالعزيز أول برنامج للتعليم وبدأ في إحضار المدرسين من مصر وسورية وأنشأ المدارس الأولية في القرى والإبتدائية والثانوية في المدن . « واستمر الملك عبدالعزيز في الانفتاح على العالم الإسلامي والعربي ، والاستعانة بالكفاءات من بلاد العالم للمساهمة في تطوير مشروعاته التعليمية » . (أبوراس ، الديب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٣٩)

واستمرت حركة الملك عبدالعزيز التعليمية الإصلاحية في التطور والتقدم بفضل الله ثم بفضل قوة الإرادة والتصميم على التوحيد والإصلاح . فقد بدأ التعليم في عهد الملك عبدالعزيز بالكتاتيب ، وحلقات المساجد ، ولم ينته حتى كان التعليم الجامعي فقد ظهر في مكة المكرمة والرياض وذلك بعد أن تم للملك عبدالعزيز ضم الحجاز في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م . وبدأ بالتركيز على التعليم الحديث وإدخاله إلى بلاده . وكان من مظاهر إهتمام الملك عبدالعزيز في التعليم الحديث إنشاء مديرية المعارف في نفس العام الذي ضم فيه الحجاز ، ولكن ظلت المسيرة التعليمية بطيئة بسبب الظروف الإقتصادية التي تمر بها المملكة العربية السعودية في تلك الأثناء إلى عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م حيث اكتشف البترول السعودي ودخل في مرحلة الإنتاج العالمي عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م .

وتحسن الوضع الإقتصادي للدولة وبدأت في الإنفاق على التعليم بسخاء ، وأصبحت خطوات التعليم تسير بثبات ، فعمت المدارس الإبتدائية معظم مدن وقرى المملكة وتم فتح الكثير من المعاهد العلمية والمدارس الثانوية . ووصلت المملكة إلى مستوى التعليم الجامعي حيث تم إفتتاح كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ ، وهي نواة جامعة أم القرى ، كما فتحت بمكة المكرمة أيضاً كلية المعلمين عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م . كما تم فتح معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٠هـ ، وكلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م . (السمان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص : ٧٢ ـ ٧٤)

وقد كان التعليم في المملكة قائماً على أربعة أسس :

الأول : المدارس النظامية في المدن والقرى الكبيرة .

الثاني : المطاوعة والمرشدون في « الهجر » والقبائل .

الثالث : البعثات إلى الخارج .

الرابع : التعليم الأهلي . (الزركلي ، ١٩٩٢م ، جـ٢ ، ص ٦٣٤)

أما عن المدارس التي تم فتحها في البلاد فهي كثيرة وعلى درجات وأنواع منها :

١ ـ المدارس الإبتدائية :

وهي كثيرة وتكاد تعم معظم المدن والهجر ومدة التحصيل فيها ست سنوات .

٢ ـ المدارس الثانوية :

وهي على نحو مائة وعشرين مدرسة تم إنشاؤها في المدن الكبرى ومدة الدراسة خمس سنوات مقسمة إلى مرحلتين : أولى : ومدتها ثلاث سنوات ، وثانية : ومدتها سنتان .

٣ ـ **المدارس العالية : وأهمها :**

أ ـ **المعهد العلمي السعودي** : الذي أسس في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ كحجر أساسي لبناء النهضة العلمية الشامخة .

ب ـ **دار التوحيد** : وهي التي أسست في الطائف سنة ١٣٦٤هـ لإعداد متخرجين أكفاء في العلوم الدينية ، وإسناد وظائف القضاء في المملكة اليهم ، والقيام بما يتطلبه واجبهم الديني من الوعظ والإرشاد .

جـ ـ **كلية الشريعة** : في مكة المكرمة للدراسة الدينية واللغة العربية وقد افتتحت سنة ١٣٩٦هـ .

د ـ **دور المعلمين** : وهي خمس معاهد متوسطة ومعهد عال ، فتحت لإعداد المعلمين الأكفاء لمواجهة حركة التوسع في نشر العلم وتعميمه .

هـ ـ **دور المعلمين الليلية** : وهي خاصة بالمعلمين السابقين لإطلاعهم على أحدث النظم التربوية وتعليم اللغة الانكليزية .

و ـ **معهد الرياض العلمي** : وهو من أعظم المؤسسات العلمية في المملكة وقد أنشيء في مدينة الرياض سنة ١٣٧١هـ . وهو يتألف من قسم تمهيدي ، وأقسام ثانوية وعالية ، وقسم خاص للذين فقدوا أبصارهم ، هذا بالإضافة إلى نادٍ أدبي يجتمع فيه الطلاب والعلماء والمدرسين في كل يوم جمعه ومكتبة تضم أمهات الكتب الدينية واللغوية والتاريخية والأدبية .

٤ ـ **المدارس النموذجية** : وأهمها مدرسة الطائف النموذجية .

٥ ـ **المدارس الليلية لتعليم الكبار** اللغتين العربية والانكليزية والكتابة على الآلة الكاتبة وتحسين الخطوط العربية .

٦ ـ **مدرسة مكافحة الأمية** : وهي خاصة للأميين من كبار السن .

٧ ـ **مدارس رياض الأطفال** : ودور الأيتام التي أنشئت في كل من الرياض ومكة والمدينة .

٨ ـ **المدارس الأهلية** التي فتحتها بعض الهيئات الأهلية وترعاها الحكومة وتمدها بالمساعدات المالية الوفيرة .

٩ ـ **المدارس المهنية** .

١٠ـ **مدارس تحضير البعثات** : وهي من أهم التجارب التربوية التعليمية التي تمت بقيادة الملك عبدالعزيز وتوجيهه .

« فعبدالعزيز بحسه الفكري أدرك أهمية التعليم فأبى أن ينحصر التعليم في مكان معين أو يختص بعمر معين ، فسعى لنشره في القرى والمدن وبين شيوخ القبائل ، حتى تمكن بفضل الله من ترسيخ قواعد نهضة علمية مرموقة على أساس رصين ، باتت وما تزال تمضي في طريق التوسع والذيوع » . (الغلامي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٢٩٦ ـ ٣٠٢)

من أهم مظاهر إهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم :

لقد رفع الملك عبدالعزيز الشعلة الأولى للتعليم في شبه الجزيرة العربية وسعى نحو الإهتمام به وإرغام أفراد شعبه عليه ومن مظاهر هذا الإهتمام :

١ ـ جعل التعليم مجانيّاً في جميع المراحل تدريساً ، كتباً ، وأدوات ، ووسائل .

٢ ـ صرف مكافآت مالية للطلبة الذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على الاستمرار في الدراسة تتراوح ما بين مائة وخمسين ومائتان وخمسة وأربعون ريالاً .

فالملك عبدالعزيز ربط بين الترهيب والترغيب في دعوته للتعليم وان استخدم الحوافز المالية للترغيب في التعليم والمساعدة عليه فقد استخدم مندوبيه ليأتوا بالطلاب إلى معادهم بما يشبه القوة .

(أبو راس ، الديب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٠٥)

فقد ورد أن بعض أولياء الأمور ، قد بعثوا ببرقية إلى الملك عبدالعزيز يطلبون فيها إعفاء أولادهم من دخول دار التوحيد فجاء الجواب :

« يا أشباه الرجال ، ولا رجال أنتم تريدون أن يكونوا أولادكم من الثيران والبهائم ، ونحن نريد أن يكونوا علماء أفاضل ينيرون السبيل ويفهمون أمر دينهم ودنياهم . لا سبيل إلى الإعفاء » .

(الحقل ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ، ص ٣٧)

وفعلاً فقد درس التلاميذ مع زملائهم ونجحوا وأصبحوا رجالاً عاملين خدموا أوطانهم بإخلاص ووطنية في شتى الوظائف .

٣ ـ صرف تعويضاً مالياً لبعض الآباء ، عن عمل أبنائهم في رعي الماشية أو سوى ذلك حال غيابهم عن مضاربهم لتعليمهم .

٤ ـ صرف تعويضاً لآباء بعض المبتعثين إلى الخارج .

٥ ـ شجع حركة التأليف والطبع والنشر . فتم نشر الكثير من كتب السلف وتوزيعها على طلاب العلم بالمجان .

يقول أبوعليه : (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م) :

> « ففي الواقع أن التعليم الحديث في البلاد السعودية لم يظهر إلى حيز الوجود إلا بعد أن تم لابن سعود توحيد أقاليم دولته . وبعد أن بدأ عهداً من الإصلاح والتجديد في البلاد ، وبعد أن غدت للبلاد ميزانية منظمة نسبياً . وزاد التطور العلمي في البلاد بعد اكتشاف البترول في البلاد السعودية ، والذي أعطى البلاد أموالاً كثيرة زادت معها ميزانية التعليم في البلاد ، وبهذا أخذ التعليم يتطور ويتجه في أسلوبه ومادته إلى أسلوب ومادة التعليم الحديث مبتعداً تدريجياً عن أساليب التعليم القديم وظل هذا في تطور مستمر بفضل تطور الحالة الاقتصادية في البلاد السعودية وأصبحت مصروفات التعليم للطالب مجانية تدفعها الدولة » . ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

الفصل الرابع

المباديء والتوجيهات التربوية المستنبطة
من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ
المجموعة في كتاب المصحف والسيف .

تهدف دراسة المبادىء الإسلامية للتربية إلى : توضيح الطريق الصحيح للإنسان الذى ما أن تمسك به لن يضل أبداً . وتبدأ خطوات هذا الطريق بصهر المجتمع الإسلامي وإعادة تكوينه ، ليكون أمة واحدة ، تسود فيها المحبة ، والإخاء والتعاون والالتزام بالأخلاق الفاضلة ، وترك الأخلاق الذميمة ، وذلك من خلال تنظيم علاقة الإنسان بخالقه ، ليساعد على بناء المجتمع الإسلامى ، فينشأ من هذه العلاقة ما يلى :

١ ـ تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته ، بحيث تنسجم مع الاتجاهات الإسلامية ، وتدريبه على مواجهة متطلبات الحياة .

٢ ـ قيام المجتمع على روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها ومبادئها .

٣ ـ تحقيق العدالة والمساواة بين البشر ورفع الظلم عنهم .

٤ ـ إعداد المسلم لحمل الرسالة ، وأداء الأمانة التى كلف بها .

(خياط ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ، ص : ٥٠ ـ ٥٢) .

فقد كلف الله عزوجل ، الأمة الإسلامية بتكليف خاص جاء فى قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ . (آل عمران ، آية : ١١٠)

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ . (البقرة ، آية : ١٤٣) .

فالامة الإسلامية كلفها الله عزوجل بهداية الناس ، وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله وحده دون شريك .. والشهادة عليهم . فى حين أن الأمم السابقة لم تكلف سوى بالإستقامة فى ذات نفسها . قال تعالى : ﴿ **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة** ﴾ (البينة ، آية : ٤ ـ ٥) . ولم تكلف بالتبلغ والهداية للناس ،

ومع ذلك تفرقوا ، وكلفت الأمة الإسلامية بذلك . باعتبار أنها آخر الأمم ، ورسولها آخر الرسل ﷺ ، ورسالته آخر الرسالات ، قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ . (المائدة ، آية : ٣) .

لذلك ترتب عليها الإستقامة لله فى ذات نفسها ، وهذا هو التكليف الأساسي الذى لا يقوم بغيره بناء إنسانى صحيح . والهداية للناس والشهادة عليهم ، وذلك بتبليغ الرسالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا التكليف هو الذى أكسبها الزعامة بين الأمم .

(قطب ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ص : ١٢١ ـ ١٢٧)

وقد أدرك الملك عبد العزيز آل سعود ذلك ، وعمل بمقتضاه ، فكان خير قائد للمسلمين في عصره ومازال .

يقول البديوى : (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) :

« لقد توفرت فى الإمام عبد العزيز صفات القيادة الناجحة وهى : الالتزام بالإيمان واليقين والشجاعة والنشاط والجلد واليقظة وحضور البديهة ، وسرعة الملاحظة ، والصبر والمروءة ، والشرف وضبط النفس والتفكير الهادىء المتأمل ، واللياقة البدنية ، والتفاؤل ، والقدرة على الضبط العسكري ، والتمثل بالمثل العليا ، والقدرة على التعبير بلغة واضحة بسيطة ، وملاحظة الأحداث المحلية والخارجية للتزود دائما بأحدث المعلومات ، والإلتزام بالدقة والنظام فى تصرفاته والقدرة على فهم المواقف بوضوح تام عند ظهورها » ص ١٢٨

بهذه الصفات استطاع أن يلم شتات الجزيرة العربية ، ويوحد كيان الأمة العربية ولكن يبقى السؤال فى فكره ، كيف يمكن الحفاظ على هذه الوحدة ؟ لاشك أن الجواب يكمن فى فكر الملك عبد العزيز ، كيف لا وهو الذى درس الدين ومبادئه وعرف الشريعة وأحكامها ، ووقف على جوانب القوة والضعف التى مرت على الأمة الإسلامية من خلال دراسته للتاريخ . فهو يدرك أن الإنسان هو العنصر الأساسى فى كيان الأمة الإسلامية ، فسعى إليه ورسم له الطريق الصحيح ، الذى سبق وأن رسمه سيد المرسلين ﷺ للصحابة والتابعين حيث دعا

الناس إلى الإيمان بالله وحده ورفض الأوثان والعبادات والكفر بالطاغوت بكل معانى الكلمة وقام فى القوم ينادى : (**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**) فتغذت روحهم بالعمل بالقران الكريم وتربت نفوسهم بالإيمان ، وتحلت أخلاقهم بنقاء الروح ، وطهارة البدن ، ونظافة الخلق ، والصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس ، فآخى القلوب وأبرز نواة المجتمع الإسلامى ، وأحدث إنقلاباً غريباً فى نفوس المسلمين وبواسطتهم هذا الانقلاب كان نتاج تغلغل الإيمان فى أحشائهم ، وتسربه إلى عروقهم ومشاعرهم ، فكان بمثابة الحارس للإنسان من المطامع والشهوات الجارفة في الخلوة والوحدة حيث لا يراه أحد . (الندوى ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص ٨٣ ـ ٩٢)

كل هذا أدركه الملك عبد العزيز ، كما أدرك أن البيئة تتعرض لتغيير مستمر ، ولكن التكيف بين الإنسان وبيئته التى يعيش فيها أمر مطلوب . وإذا لم يراعى ذلك فى هذه الأمة الإسلامية ، لاشك أن مصيرها سيكون كمصير سابقتها من الأمم .

يقول ناصر : (د . ت)

> « إن كل الدعوات السابقة على الإسلام ، كانت تدعوا لشيء واحد إما الدنيا أو الآخرة . أما الإسلام فهو وحده الذى يصل الإنسان بالله ليصلح حاله على الأرض ، وينظم حياته ، يسير بجسمه على الأرض وهو متجه بروحه إلى الله سبحانه وتعالى ، فيجمع بين الدنيا والآخرة » ص ٢٥٥

يقول تعالى : ﴿ **وابتغ فيما ءا تك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ . (القصص ، آية ٧٧) .

وانطلاقاً من هذا القول الكريم أدرك الملك عبد العزيز المبدأ المنشود منه فطبقه وعمل به فاستطاع أن يوحد الكلمة ويؤلف القلوب كما وحد الأرض .

من خلال الخطب التى سبق وأن ألقاها الملك عبد العزيز على أفراد شعبه فى مختلف المناسبات ، والتى قام الشيخ محيي الدين القابسى بجمعها فى كتاب

المصحف والسيف ، نستطيع أن نتلمس حقيقة الفكر الإسلامى التربوى الذى وهبه الله عز وجل لهذا القائد الحكيم .

وفى هذا الفصل تستعرض الباحثة هذه الخطب على حسب التسلسل التاريخى الذى ألقيت فيه ، ثم التعليق عليها واستنباط ما جاء فيها من مبادىء وتوجيهات تربوية .

يقول الكيلانى : (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)

> « للقيام بالمسؤلية لابد من ممارسة القوة بكل مخاطرها واحتمالاتها . والقوة بذاتها ليست خيراً ولاشراً ، إنما هى كالنار والهواء فيها إمكانات الحياة أو الموت ولا غنى عنها لتيسير مطالب الحياة . والذى يعطى القوة معناها الحقيقى ويجعلها أداة حياة ويسر ، هو الحدود الأخلاقية والروحية التى توجهها . فاذا كانت القوة تستند إلى شريعة كانت طاقة معادلة للقدرة على اتخاذ القرار . وإذا لم تستند إلى مثل هذه الشرعية تتحول إلى قسر واكراه » ص ١١٠

من هذا المنطلق ، سجل الملك عبد العزيز خطبته التى ألقاها فى القصر الملكى بمكة المكرمة فى غرة شهر ذى الحجة عام ١٣٤٧هـ واشار فيها إلى المباديء التربوية الآتية :

ضرورة معالجة الأخطاء وتصحيحها :

ان الملك عبدالعزيز قد استوعب هذه المسؤولية ، فعندما أراد أهل الدعايات والأكاذيب أن يلمسوا الوحدة الإسلامية من خلال تشويه عقيدتها بالإشاعات الزائفة عمل على تصحيح المسار بالحزم والحكمة والموعظة الحسنة ، مشيراً إلى أن العقيدة الإسلامية التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب يدعو إليها هي عقيدة التوحيد التي ينبغي الإلتزام بها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لتتم للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة ، فابن عبدالوهاب لم يأت بمذهب جديد وانما سعى إلى تنشيط المنهج الرباني الذى أُهمل وذلك من أجل إصلاح أحوال الأمة الإسلامية ، وتجديد معالمها بما يتناسب مع عقيدة التوحيد ، وترسيخ قواعد الإسلام الأصلية فيها . فقد ينتاب الإنسان لحظة من لحظات

الضعف ، فتتبع النفس الهوى ، ويتجه السلوك والإدراك والفهم نحو الخطأ ، وهذه فطرة في الإنسان فطره عليها الخالق سبحانه وتعالى .

يقول الرسول ﷺ : (**كـل ابن آدم خطـاء وخـير الخطائـين التوابـون**) رواه الترمذي (حديث رقم ٢٤٩٩ ، كتاب صفة القيامة ، باب ٤٩ ، جـ٤)

ومعالجة الأخطاء وتصحيحها ، من النصيحة في الدين الواجبة على جميع المسلمين فقد روي عن جرير أنه قال : (**بايعت رسول الله ﷺ على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**) رواه مسلم (النووي ، د. ت ، جـ٤ ، ص ٣٩)

توعية الامة بضرورة الإلتزام والتمسك بالعقيدة الإسلامية :

فحياة الملك عبدالعزيز لم تنفصل عن الدعوة إلى الدين باسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، لإرساخ القواعد الأساسية للدين الإسلامي ، فالإنسان مفطور على الإيمان والصلاح والخير ، لكن هذه الفطرة رقيقة وضعيفة قد تتأثر بالبيئة المحيطة بها ، لذلك ترتب على التربية الإسلامية أن تقوى هذه الفطرة بترسيخ القواعد الدينية ووجوب الإلتزام بها .

يقول الندوي : (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) :

> « إن أخوف ما يخاف على أمة ويعرضها لكل خطر ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة ، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجة وخضوعها لكل متسلط وسكونها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم ، وأن لا تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش ، ولا تنصحها الحوادث ولا تروعها التجارب »
> ص ٢٩١ ـ ٢٩٢

ولكن لم يدع الملك عبدالعزيز لهؤلاء المنافقين والعابثين في كيان الامة الإسلامية سبيلاً .

فقد حرص على توعية أفراد شعبه ، بالتوعية الإسلامية الصحيحة موضحاً لهم أن الخير كل الخير في العقيدة الإسلامية والتمسك بما جاء فيها ، لأن السعادة الحقيقة لا يدركها الإنسان إلا بكلمة التوحيد الخالص والعمل بمقتضاها .

إبتغاء مرضاة الله عز وجل والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح :

فالمجتمعات المعاصرة بحاجة إلى مفاهيم جديدة توفر للإنسان حاجته للإنتماء والتقدير أينما حل وأقام ، وذلك لن يكون إلا بتوجيه البشرية إلى عنصر الإيمان بمفهومه الإسلامي فالتربية الإسلامية بحاجة إلى تأصيل بعض المفاهيم لدى أفراد الأمة الإسلامية ، لتصل إلى تحقيق هذا الإنتماء .. هذا التأصيل ينبغي أن يشمل الهوية الإنسانية ، وأساليب التربية وتأصيل مفهوم الإيمان ليشمل جميع المظاهر الدينية والأخلاقية والإجتماعية ، وإنعكاس ذلك على تربية الناشئة ، على نهج تربية إسلامية متبصرة بالتوجيهات النبوية .

هذه الجوانب أدركها الملك عبدالعزيز وحرص على العمل بها ليقوم بمجتمع الأمة الإسلامية . فوضح الخير الذى يعود على المسلمين من وراء التمسك والالتزام بالقرآن والسنة النبوية وما جاء فيها ، ورغب في ضرورة العودة إلى عقيدة السلف الصالح مبيناً أن المجتمع الأول لم يقم إلا بتطبيق التشريعات والمبادىء التي نصت عليها مصادرها الإسلامة ، وحذر من العواقب التي تلحق بالمجتمع عند ترك الالتزام بالكتاب والسنة والعمل بما جاء فيهما حيث قال :

> « **يسموننا** » بالوهابيين » ، ويسمون مذهبنا « الوهابى » باعتبار أنه مذهب خاص وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التى كان يبثها أهل الأغراض نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح .
>
> نحن نحترم الآئمة الأربعة ولافرق عندنا بين مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة كلهم محترمون فى نظرنا .
>
> هذه هى العقيدة التى قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هى عقيدتنا ، وهى عقيدة مبنية على توحيد الله عزوجل خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة فعقيدة التوحيد هذه هى التى ندعو إليها ، وهى التى تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب .

التذكير بالأحداث السابقة للاستفادة منها في بناء المجتمع :

من عناصر الجمال الأدبي الرفيع في الكلام ضرب الأمثال ، بشرط أن يكون له غرض بياني ، لا مجرد عبث في القول ، لأن الغرض من المثل هو : تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب ، لاقناعه بفكرة من الأفكار . لذلك يعتبر ضرب المثل من أنجح الأساليب التربوية المحققة لهدف استقرار المعلومة بالذهن . هذا الاسلوب من الأساليب النبوية في التربية ، إذ أن الرسول ﷺ كثيراً ما استخدم هذا الاسلوب مع الصحابة ليغرس في نفوسهم المفاهيم الايمانية التربوية ، الواقعة تحت سمعهم وبصرهم ، تؤثر تاثيراً بالغاً في نفوسهم .

(العامر ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣)

والملك عبدالعزيز حتى يتمكن من غرس الايمان في قلوب سامعيه ، بين حقيقة الخير والنصر الذى يعود على الامة الإسلامية إذا ما تمسكت بالكتاب وعادت إلى نهج السلف الصالح ، وخير دليل هو هذه الامة ، كيف صارت عندما اتبعت الأهواء وضيعت المنهج والمثل والعادات ، وكيف هي اليوم بعد أن عادت إلى الصراط المستقيم . بقوله : « لقد كنت لاشيء وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة ، فتحتها بقوة الايمان وقوة التوحيد ، وبالتمسك بالكتاب والسنة ، فنصرني الله نصراً عزيزاً » . فالالتزام بالعقيدة الإسلامية يحقق للفرد والمجتمع فوائد لا يمكن حصرها . والبعد عن هذا الالتزام يؤدى إلى التفرقة بين المسلمين ، وبالتالي يسهل على الأعداء خرق صفوف وحدتهم وتمزيق كلمتهم .

ضرورة التمسك والترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي :

لا يمكن الاستغناء عن القرآن الكريم والسنة النبوية ، في تنظيم شئون الناس وحياتهم ، أفراداً وجماعات . فالالتزام بها يؤدى إلى التآلف والإطمئنان والأمان ، والوصول إلى السعادة الحقة ، لما يتضمنا من أوامر ونواهي تعود مآثر الالتزام بهما على حياة الامة والمجتمع الإسلامي .

فالايمان بالله ، وبما جاء في الكتاب والسنة من تشريعات ، هو المحور الرئيسي في تكوين الامة المسلمة .

يقل قطب : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م) :

« إن المجتمع القائم على العقيدة ، أو المنبثق من العقيدة ، يكون الرباط الأكبر ، وهو رباط الأخوة في الله ، وهي أقوى الروابط في حياة البشر على الإطلاق » ص ٥٩

إذاً تقوية روابط الاخوة بين المسلمين ، أحد المبادىء التربوية التي تهدف التربية الإسلامية إلى تعميقها في نفوس أفراد المجتمع الإسلامي .

وقد أدرك الملك عبدالعزيز مدى أهمية هذا المبدأ ، وعمل على تحقيقه بين أفراد شعبه ، فحذر من الفرقة التي ظن البعض أن الأجانب هم السبب فيها ، في حين أن السبب نابع من المسلمين أنفسهم ، ببعدهم عن الكتاب والسنة ، ولو أن المسلمين اتبعوا ما جاء فيهما لأصبح بناء الامة الإسلامية متيناً لا تؤثر فيه محاولات الهدامون ، الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة ومنافعهم الذاتية فقال :

« إن المسلمين هم مصدر البلاء الذى أصابهم ، وأكثرذلك يتأتى عن طريق أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة ومنافعهم الذاتية فيدوسون فى سبيلها كل شيء يعترضهم فى الطريق .. إن هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة وينامون علي الوثير من الفراش لا يفكرون إلا فى أنفسهم ولم يحسبوا للهّ حساباً » .

يقول الكيلاني : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) :

« جاء في القرآن الكريم أن الخراب لا يلحق بالأمم التي تتكون من أفراد صالحين ، مصلحين ، ولكن الخراب ينزل بالأمم التي تضم أفراداً صالحين غير مصلحين . والفرد الصالح المصلح هو نموذج الإنسان الذى تسعى التربية الإسلامية إلى إخراجه » ص ٤٩ .

فمن حق التربية الإسلامية أن تفخر بعبدالعزيز ، كأحد الفلاسفة والمفكرين .

وفي الخطاب الذى ألقاه في الثالث والعشرين من محرم عام ١٣٤٨هـ ، بمكة المكرمة ، نجد أنه يعود ويذكر أفراد شعبه بضرورة النصح والإرشاد فيما بينهم ، والأخذ بيد من ضل الطريق ، إلى أن يعود إلى الصواب ، وان لم يعد إلى الصواب بالحسنة والموعظة والإرشاد ، فبالقوة ، وإن لم يعد ، فيضطر ولي الأمر إلى سفك الدماء . وهذا إنما من أجل المصلحة العامة للمسلمين .

ومن أجل إعلاء كلمة التوحيد . فهؤلاء الذين تنكبوا عن طريق الهداية ، ووقعوا في أحابيل الشيطان ، ودسائس الكائدين للإسلام والمسلمين ، إنما غرضهم من ذلك هو تفريق وحدة المسلمين والاخلال بأمن بلادهم . وهذا لن يكون إن شاء الله ، فالعقيدة الإسلامية قد ملكت علينا عظامنا وأجسامنا ، وقلوبنا وجوارحنا . ونصرنا الله بقوة التوحيد ، فقال :

> « العرب اليوم هم كالطفل الصغير ، يحتاجون إلى عناية شديدة ، فمن الواجب على الذي تولى أمرهم أن ينصحهم ويرشدهم إلى طريق الصواب ، وقد عملنا الواجب في هذا الصدد ولكن إذا تمادى البعض في غيهم وظهر أن المصلحة العامة مهددة ، اضطر ولي الأمر للضرب على الأيدي وسفك الدماء .. فهو في عمله هذا كمثل الطبيب الذي يستعمل أنواع الأدوية التي يحتاج إليها المريض ويضطر في بعض الأحيان إلى بتر عضو من الأعضاء حفظاً لسلامة المجموع »

فمن الطبيعي أن يحافظ الإنسان على حقوقه التي وهبه الله عز وجل ، ويسعى إلى تطويرها ، ليصل بها إلى درجة النضج والثبات . ولو تساءلنا عن الكيفية التي بنى بها الملك عبدالعزيز هذا الشعب المنظم الخاضع لقوانين التقدم والرقي الحضارى ، من تلك القبائل المتنافرة والمتحاربة ، في أغلب الظروف ، وعلى أحقر الاسباب . نجد أن الجواب على ذلك يطول ، فلم يكن هناك اسلوب واحد ، بل تعددت الاسباب ، واختلفت الأساليب ، لتتلاءم مع الظروف والأحداث ، مع وحدة الهدف في فكر الملك عبدالعزيز .

بدأ الملك عبدالعزيز خطواته نحو تحقيق الهدف ، وهو توحيد كلمة المسلمين تحت راية (لا إله إلا الله) فكانت صلته بشعبه قوية ، يرشدهم

ويوجههم ، ينصحهم ليتقرب إلى قلوبهم ، يحذرهم وينذرهم ، ويحرص على إقامة العدل وتوفير أسباب الحماية ، والحياة الكريمة لرعاياه ، فيؤكد لهم المرة تلو الأخرى أنه للجميع ومع الجميع ، ويدعوهم أن يأتوا ليضعوا بين يديه متاعبهم ، وأن يقاسموه همومهم ، فعمّق روح التآلف والتآخي بينهم ، واستطاع أن يبني مجتمع إسلامي سليم ، هدفه توحيد الله وطاعته ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، والتفاني في خدمة الدين ومن يقوم عليه من القادة والأئمة المسلمين .

ومن خلال الخطاب نستطيع أن نقف عند مجموعة أخرى من المبادىء والتوجيهات التربوية التي يتضمنها منها :

وجوب التمسك بالدين والأخذ بأسباب القوة :

يقول قطب : (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) :

« لقد علّم الإسلام المسلمين أن يخططوا للدعوة ، وللسلم والحرب ، ولمواجهة الأعداء ، ولتأليف القلوب ، لأنهم واجهوا بالإسلام ظروفاً جديدةً لا تصلح فيها العفوية التي تدير البيئة بها الأمور » ص ١٧٧

وقد أدرك الملك عبدالعزيز هذا بفكره الثاقب ، فرأى أن سلاح العرب يكمن في إيمانهم ووحدتهم وقوتهم ، فاذا هم أهملوا هذا السلاح فلن تجدى الأسلحة المادية نفعاً بدونه .

الزامية التناصح والإرشاد بين المسلمين :

فالدين النصيحة ، قال رسول الله ﷺ : **(الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** رواه مسلم . (النووى ، د. ت ، جـ٢ ، ص ٣٧)

وجاءت الايات القرآنية لتشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد بعث الأنبياء والمرسلين من أجل التبليغ والنصح والأمر باتباع أمر الله ، والإرشاد إلى الطرق التي توصل إلى رضاه سبحانه وتعالى .

فجاء على لسان نـوح قولـه تعالـى : ﴿ **أبلغكم رسـلـت ربي وأنصح لكـم** ﴾ . (الاعراف ، آية ٦٢)

وعلى لسان هود قوله تعالى : ﴿ **أبلغكـم رسـلـت ربـي وأنا لكم ناصح أمين** ﴾ . (الاعراف ، آية ٦٨)

وجاء على لسان صالح قوله تعالى : ﴿ **وقال يـقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم** ﴾ . (الاعراف ، آية ٧٩)

وعلى لسان لوط قوله تعالى : ﴿ **وقال يـقوم لقـد أبلغتكم رسـلـت ربي ونصحت لكم** ﴾ . (الاعراف ، آية ٩٣)

والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لعبادته ، وابتلاه بالخلافة على الأرض، لنشر الدين الإسلامي عليها ، بالنصح والإرشاد ، فإن لم يستطع ، فبالضرب على يد من يريد تشويه الحقيقة الإيمانية التي ينبغي أن نواجهها ، ويسعى إلى تبليغها ونشرها بين الناس كافة .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحماية الفرد والمجتمع :

إن كل مـا ينفـع الإنسـان ويورث الإنسـجـام مع سـنن الله وقـوانينه في الخلق ، يـندرج في قـائمـة المعـروف ، ومـا يضـر الانسـان ويتـعـارض مع هذه السنن والقـوانـين يندرج في قـائمـة المنكر ، فـالمعـروف كـل أمـر أمـرَ الله به ورسوله ، والمنـكر كل ما نهى الله ورسوله عنه . والله سبحانه وتعالـى يقـول : ﴿ **ولتكـن منكم أمـة يدعـون إلـى الخير ويأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر** ﴾ . (ال عمران ، آية : ١٠٤)

لعلمـه أن الإنسـان مـعرض للوقوع في الخطأ ، واهمال هذا الخطأ وعدم التنبيه إليه ، يؤدى إلى زعزعة أركان المجتمع .

يقول الفرج : (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) :

« من المعلوم أن كل فرد في المجتمع معرض للوقوع في الخطأ إما عن قصد ، أو عن غير قصد . واهمال هذه الأخطاء وعدم التنبيه إليها ، والأخذ على أيدى المتعمدين للوقوع فيها يؤدى إلى زعزعة أركان المجتمع وتقويضه ، وبالتالي عدم استقراره وأمن أفراده . لذا كان لزاماً على المجتمع أن يوجد منهجاً ، أو طريقة يمنع من خلالها هذه الأخطاء والوقوع فيها . لأن المجتمع كالسفينة ، والأفراد على متنها ومرتكبوا الأخطاء كالعابثين في جسم السفينة ، إذا تركوا فانهم سيحدثون خللاً فيها وخرقاً في جدرانها ، الأمر الذى يؤول بها في النهاية إلى الغرق وهلاك الجميع » ص ٦٥ ـ ٦٦

فقد أقر الإسلام مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حماية للأفراد والمجتمع ، ورسول الله ﷺ يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) . (النووى ، د. ت ، جـ٢ ، ص ٢٢)

والملك عبدالعزيز رحمه الله أدرك ذلك فراح يضرب بيد من حديد على كل عابث في أمن مجتمعه لا يصغى للنصح والارشاد ، موضحاً ان الهدف الاسمى من ذلك هو نصرة دين الله عز وجل وجعل كلمة الله هي العليا ، ومشيراً إلى أن هذا النصر لم يكن لولا الايمان الصادق بالله عز وجل ، وقوة التوحيد التي في الصدور (فالتوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب ، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا . كما أننا لم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية أو لجر مغنم ، وانما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وايمان قوى لنجعل كلمة الله هي العليا)

يقول الندوى : (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)

« لا ينهض العالم الإسلامي الا برسالته التي وكلها إليه مؤسسه ﷺ ، والإيمان بها والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية منها » ص ٢٦٧

فللرسالة أهمية بالغة في حياة الأمة ، فهي حاجة نفسية إجتماعية تحملها الامة لتحافظ على وحدتها ، وتجنب مجتمعها الانقسام والتفتت والحزبية ، والتربية الإسلامية تطالب بتعميق الشعور بالمسؤولية نحو الرسالة في نفوس متعلميها وحامليها ومبلغيها ، ليتمكنوا من تحديد المهارات الجهادية المطلوبة ، ونوع الجهاد اللازم للزمان والمكان للمحافظة عليها . (الكيلاني ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ، ص ٦٠ ـ ٦١)

ومن خلال استعراضنا لخطب الملك عبدالعزيز نلاحظ أنه قد لا يخلو خطاب منها إلا وركز فيه على أهمية التوحيد والرسالة والزامية التمسك بها ، إلا أننا في كل خطاب يلقيه رحمه الله ، نستطيع أن نستنبط مجموعة من المبادىء التربوية تتناسب مع الموقف والمكان والزمان الذى ألقاه فيه .

والخطاب الذى القاه في الحفل الذى أقامته أمانة العاصمة في مكة المكرمة على شرفه في غرة ذى الحجة لعام ١٣٤٨هـ .

بدأ خطابه بحمد الله وشكره على هذه المناسبة العظيمة التي يجمع فيها الله عز وجل المؤمنين من كل فج عميق في هذه البقعة المباركة وأشار إلى أن المسلمين بحاجة ماسة إلى مثل هذه الاجتماعات في كل وقت وآن .

كما وضح الغرض الذى ينبعي أن تكون هذه التجمعات من أجله ، وهو التذكر والتدبر ، والعمل على إعلاء كلمة التوحيد والإخلاص لله عز وجل ، وبين الحكمة والهدف الذى ينبغي أن ندركها من هذا التجمع وهذا الغرض ، وهو الكرامة الإنسانية والمساواة بين المسلمين ، فقال :

« وليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات ـ فإن هذا لا يهمنا ـ وإنما المهم عندنا أن نتذاكر مع اخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله ، فهذا جل ما نقصده من هذه الاجتماعات .

إن الله ـ جلت قدرته ـ حكيم إذ جعل للاجتماع في بيته الحرام فوائد جمة أولها الإخلاص في عبادة الله تعالى في أقدس بقعة ، حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار .

وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها ، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها ، وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد ﷺ .. »

فالمبادىء الدينية تكسب الأفراد ، العادات والقيم الاجتماعية والخلقية والتعاونية .

يقول الرشدان : (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)

« نظراً لوضوح المضمون الإجتماعي للدين ، ومعالجته القضايا الإجتماعية والتربوية . فان على الوعاظ في المساجد أن يستغلوا خطبهم ودروسهم الدينية ، وربطها بمشاكل المجتمع الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والقومية لتبيان حكم الدين فيها ، لما للدين ، والقيم الروحية من أثر عظيم على نفوس الأفراد وتشكيل شخصياتهم » ص ١٨٨ ـ ١٨٩

هذا ما أدرك أهميته الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ، مستغلاً الحدث العظيم الذي تجمع فيه المسلمين ، ليقف أمامهم خطيباً ، وموجهاً ومنادياً إلى ضرورة الاجتماع والتماسك بين المسلمين ، ومبيناً الأهداف التي يمكن أن تحقق من وراء هذه الاجتماعات ومن المبادىء التربوية التي نستطيع استنباطها من هذا الخطاب ما يلي :

الحج تنظيم للحياة الاجتماعية :

ندرك جميعاً مشروعة الحج ، وأنه الركن الخامس من أركان الإسلام ، فرضه الله عز وجل على المسلمين كافة مرة في عمر الإنسان ، ومن تطوع فهو خير له ، وقد وضحت السنة النبوية المشرفة أهميته ومكانته وشروطه وواجباته وكيفيته ، والحج عند عبدالعزيز يعد أكبر مؤتمر إسلامي ، وفرصة ثمينة يجتمع فيها المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، يُسمعهم بعض الوصايا الدينية القيمة في رسالة التوحيد ، ويسمع ما لديهم من آراء ومقترحات بعيداً عن الشكليات والرسميات .

يقول النحلاوى : (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) :

« الحج تنظيم للحياة الاجتماعية على أساس جمع كلمة الأمة والمجتمع تحت لواء الله ، على أساس الإنتماء إلى الله والاعتزاز بالله ، وهكذا تصبح جميع العلاقات والتصورات الاجتماعية ربانية قائمة على عبادة الله » ص ٤٤

قال تعالى : ﴿ **فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هدئكم وإن كنتم من قبله لمن الضآلين** ﴾ . (البقرة ، آية ١٩٨)

فالتجمع العظيم لأداء هذا الغرض التعبدى ، يهدف إلى إجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ليعودهم على الوحدة والانتماء ، والتنظيم والانضباط التام ، والطاعة والإلتزام لله عز وجل ، والمساواة بين الناس في أسمى صورها . كما أن هناك منافع أخرى تعود على المسلمين من هذا التجمع .

قال تعالى : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منفع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومت على ما رزقهم من بهيمة الانعم فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ﴾ (الحج ، آية ٢٧ ـ ٢٨)

(فالحج مؤتمر للتعاون والتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد النفوس وتبادل المنافع المتنوعة في جميع المجالات ، في السلع وفي المعارف وفي التجارب المختلفة بل في تنظيم العالم الإسلامي تنظيماً يكفل له السير السليم في ظل تعاليم الإسلام) . (القاضي ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٧٩م ، ص ١٨٩)

بالمساواة والإخاء تتحقق الوحدة الإنسانية :

يقول أبوالعينين : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م) :

> « تكافل المجتمع ينبع من المساواة والحرية والمسؤولية والعدل ، ويحتل التكافل في المجتمع الإسلامي منزلة رفيعة بكافة صوره وألوانه ، سواء كان أدبياً أو سياسياً أو دفاعياً أو جنائياً أو أخلاقياً أو إقتصادياً أو غير ذلك بحيث يصبح الكل في هذا المجتمع مسؤولاً عن الكل وعن الفرد » ص ٤٠

وقد أشار الملك عبدالعزيز إلى هذا المضمون في خطابه ، مبيناً أن إجتماع المسلمين في هذه المناسبة وفي هذه البقعة المباركة ، يستهدف طاعة الله عز وجل ، فيما أمر أولاً ، ثم التآلف والتعارف بين المسلمين كافة ، فهذا الاجتماع الذى خص الله عز وجل به الجزيرة العربية لا يعني تفضيل العربي على غير العربي ،

إنما فخار العرب وعزتهم ناتجة من عقيدتهم الإسلامية وتمسكهم بها ، كما جاءت في الكتاب المبين والسنة النبوية الشريفة . وما الحج إلا ركن من أركان الإسلام الذى هو : الاستسلام لله تعالى وطاعته ، والايمان بكتبه ورسله وملائكته . واجتماع المسلمين على صعيد واحد ، وفي لباس واحد ، يهتفون بصوت واحد ، يحمل معنى واحد وهو الاجتماع على طاعة الله عز وجل ويهدف إلى مرضاة الله عز وجل . يقول تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوه** ﴾ . (الحجرات ، اية ١٠)

والتآخي يولد التراحم بين المسلمين ويقوى عزائمهم ضد الاعداء ، يقول تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمآء بينهم** ﴾ (الفتح ، اية ٢٩)

فلا تفاضل بين الناس إلا بالكرامة ، يقول تعالى : ﴿ **يـأيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير** ﴾ . (الحجرات ، اية ١٣)

ثم بعد ذلك نجد أن الملك عبدالعزيز يعود ويحذر من التفرقة ، وينادى بضرورة التآلف والاجتماع للحفاظ على الدين الإسلامي وتطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علقت به وهو منها بريء فبها ننال العزة والافتخار في الدنيا والآخرة .

ولقد كان لتكريم الإنسان ، ومبدأ المساواة آثاراً ونتائج هامة وعظيمة في حياة المسلمين وفي الحضارة الإسلامية ، ناتجة عن التمسك بالعقيدة الإسلامية التي حررت الإنسان والمجتمع من الخوف ، ومن سلطان الخرافات والأساطير ، فحررت المسلم نفسياً وخلقياً وسياسياً فتحرر اجتماعياً .

وللمحافظة على كرامة الإنسان ، ضمن الإسلام وشرّع جواً من الحرية في المجتمع المسلم في كافة الأمور والجوانب ما لم تتعارض مع أمور العقيدة ومبادئها . فالإسلام يمنح الحرية المطلقة للفرد ولكن يقيدها بالمبادىء والأحكام

فيشعر الإنسان بالمسؤولية تجاه نفسه وربه ودينه ووطنه وأفراد مجتمعه ، فالإسلام لا يرى قيمه لحياة الإنسان بدون حرية . لذلك نجده يحرر الإنسان من عبادة غير الله ومن الخضوع لغيره سبحانه وتعالى . فالوحدانية لله والعبودية له وحده والاستعانة لا تكون إلا بالله . وبهذا يحس الإنسان بقيمته الذاتية وينطلق في حياته من غير قيود .

يقول النحلاوي : (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) :

« الشعور بالتمتع بالحرية هو الأمر الذى يحتاج إليه كل إنسان . فكل كائن حي ينمو ، وكل نمو يحتاج إلى حركة يقوم بها الكائن من تلقاىء نفسه . وكلما أحس الإنسان ، أبان نموه ونشاطه ، بالنجاح التلقائي والوصول إلى أهدافه من غير مساعدة ، ازداد ثقة بنفسه ، وازداد طلباً لمزيد من النجاح والاعتماد على النفس ، وهذا أمر نابع من طبيعة الإنسان وفطرته » ص ١٤٥

والقرآن الكريم جاء ليحرك الوعي الإنساني نحو علاقته بالله ، وبالكون ، فالإنسان هو خليفة لله فيه ، منحه الكرامة على جميع المخلوقات ، واشترط العبادة له وحده دون شريك ، ، قال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** ﴾ . (النور ، اية ٥٥)

وقال تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ . (الاسراء ، اية ٣٦)

فقد اعطى الإنسان الحرية في التفكير ، وحذر من التسرع للحكم على الأمور بدون علم صحيح فكل جوارحه وحواسه مسؤولة عن هذا الحكم . قال تعالى : ﴿ **اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير** ﴾ . (فصلت ، اية ٤٠)

فللانسان الحرية في العمل ولكن الحساب سيكون على حسب العمل .

وهذه الحقيقة سبق وأن أدركها الملك عبدالعزيز وعمل على توضيحها فأشار في خطابه إلى أن الإسلام قد منح الحرية المطلقة للإنسان حرية في كافة حقوقه ولكن بعد أن دعاهم إلى العقيدة والتمسك بها .

« يقولون « الحرية » ويدعي البعض أنها من وضع الأوربيين ، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعاً ، وجاء « بالإخاء » و « المساواة » المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم ، فآخى بين الصغير والكبير ، والقوي والضعيف ، والغني والفقير وساوى بينهم » .

يقول القزاز : (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م) :

« إن تربية الضمير تعني خلق الوازع الداخلي الذى يجعل محاسبة الإنسان لنفسه نابعة من ذاته ، فهو دائماً في معية الله يشعر بالرقابة المستمرة من الله سواء أطلع عليه الناس أم كان بعيداً عن أعين النظارين » ص ٩٤

المدنية الصالحة :

لابد أن تتعاون قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المادية في تنشئة الإنسان الكامل ، من أجل ظهور المدنية الصالحة . فالبيئة تتعرض إلى تغيير مستمر ، في جميع شؤون الحياة ومرافقها ، والمبادىء الدينية لم تقف حاجزاً أمام الانتفاع بما خلق الله عز وجل في الكون ، بل دعته إلى التأمل والتدبر والتفكر في ملكوت الله والانتفاع بكل طيبات الكون المباحة له .

يقول الندوى : ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) :

« لا يمكن أن توجد المدنية الصالحة إلا إذا ساد وسط ديني خلقي عقلي جسدى ، يمكن فيه للإنسان بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني » ص ١١٥

هذا ما أدركه الملك عبدالعزيز ، فهو يرى أن التمدن الحقيقي هو في إخلاص النية في العمل على طاعة الله عز وجل . فالله عز وجل قد أمرنا بالنظر في أمورنا والجهاد من أجل المحافظة على كيان الأمة الإسلامية .

واشار بذلك إلى بقوله :

« ويقولون « التمدن » و « المدنية الأوربية » هي الغاية القصوى ، وهذا وهم باطل ، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا ، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة ، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا ، فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص » .

يقول تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ . (الانفال ، اية ٦٠)

فقوتنا في الاعتصام بالله والجهاد في سبيل نصرة دين الإسلام ، ونفتخر بالدين الإسلامي ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشره ففي ذلك الراحة والطمأنينة ، والفخر ليس في الملك والألقاب ، إنما الفخر كل الفخر في إعلاء كلمة الدين وعزة الإسلام والمسلمين ففي ذلك نبدل كل الجهد ونسأل الله التوفيق .

يقول الندوى : (١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م) :

« للمسلم أن ينتفع بكل ما خلق الله وأودع في الكون من قوة في سبيل الجهاد في سبيل الله ، ونشر دينه واظهاره على الدين كله ، وإعلاء كلمته وفيما أباح الله له ورغبه فيه من تجارة مشروعة وكسب حلال ، ومنافع مباحة » ص ٢١٥

وكأن هذا الخطاب الذي ركز فيه الملك عبدالعزيز على مبدأ الحرية والمساواة والتكامل والتمدن إنما هو بمثابة التهيئة لأفراد شعبه للمسؤولية التي أشار إليها في خطابه الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى في السابع من ربيع الأول لعام ١٣٤٩هـ حيث قال :

« لقد أمرت ألا يسن نظام في البلاد ويجرى العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة وتنقحوه بمنتهى حرية الرأي على الشكل الذي يكون منه الفائدة لهذه البلاد وقاصديها من حجاج بيت الله الحرام .

وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي ، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح

البلاد على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية ، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد ، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد ﷺ .

فالعقيدة الإسلامية هي المنطلق الرئيسي للمبادىء والحضارة والتاريخ والتقدم والرقي ، وهذا ما تميز به المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات المعاصرة ، فالإلتزام بنهج العقيدة الإسلامية يشكل تميزاً شاملاً للمجتمع في جميع جوانبه ، سواء الثقافية أو الأخلاقية أو السياسية أو الإجتماعية ، تميزاً يتلائم مع مسؤوليته كمجتمع إسلامي موكل من الله عز وجل بالإستخلاف على الأرض ، فأساس أحكامنا هو الشرع الإسلامي .

يقول أبوالعينين : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م) :

« مع الحرية والمساواة تكون المسؤولية ، المسؤولية عن الجماعة والأفراد ، وعن الحكم ، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورعاية حق الله وحق الناس ، وتيسير أمور المجتمع الإسلامي ، المسؤولية عن كل عمل يقوم به الإنسان ليؤديه على أكمل وجه ، لتستمر حياة ذلك المجتمع » ص ٤٠

إذاً إبراز أهمية الحرية والمساواة في الخطاب السابق ، ندركها من خلال هذا الخطاب . فهناك مسؤولية سوف يوكل بها أفراد شعبه ، تتوافق مع الغاية التي جاهد من أجلها الملك عبدالعزيز ، وهي العمل بما أنزل الله .

والخطاب جاء ليركز على مبدأ مهم من مبادىء التربية الإسلامية وهو : الإجتهاد في الرأي والمشورة بين المسلمين .

يقول رسول الله ﷺ : (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**) رواه مسلم . (النووى ، د. ت ، جـ١٢ ، ص ١٣)

ولكن اجتهاد الفرد دائماً معرضاً للخطأ ، والإسلام يدعو إلى الشورى . يقول تعالى : ﴿ **والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنهم ينفقون** ﴾ . (الشورى ، اية ٣٨)

لم يقيد هذا الأمر بروابط ، بل جاء متروك ليجتهد فيه المسلمين على حسب الصورة التي تتلائم مع الزمان والمكان .

يقول سيد قطب : (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) :

« أما التشكل الذى تتم به الشورى فليس مصبوباً في قالب حديدى ، فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان ، لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية ، والنظم الإسلامية كلها ليست أشكالاً جامدة ، وليست نصوصاً حرفية ، إنما هي قبل كل شيء روح ينشأ عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب ، وتكييف الشعور ، والسلوك بهذه الحقيقة » ص ٣١٦٥

هذا المبدأ أدرك أهميته الملك عبدالعزيز ، فأمر بتأليف مجالس إستشارية في سائر المدن وحتم على الحكام الإداريين الأخذ بأقوالهم بما لا يتعارض مع الدين . وبهذا يشعر المشارك في المشورة بأن له رأياً يعرضه على الجماعة ، فيندفع نحو الإستزادة من العلم والمعرفة واكتساب المعلومات .

ولكن هل كان الملك عبدالعزيز يتفقد أحوال رعاياه ليقف عند ما طبق وأنجز من منجزات ؟ نعم لم يغفل الملك عبدالعزيز عن متابعة شؤون البلاد ودراسة أحواله ، ويأتي دليلاً على صدق قولنا خطابه الذى ألقاه في المؤتمر الوطني الذى انعقد في الخامس عشر من محرم لعام ١٣٥٠هـ . حيث استهدف النظر في شؤون البلاد ، ودراسة ما تم من خطوات ومنجزات ، وبحث مختلف القضايا التي تهم المواطنين ، حيث افتتح المجلس بقوله :

« إننا نسأل التوفيق من الله لنا ولكم في جميع الأفعال ، ونسأله العناية والهداية إلى صالح الأعمال .

إن ابن آدم بشر ، ويستحيل على الإنسان أن يكون شيئاً يذكر إلا أن ينال عناية من الله تعالى ، وعناية الله لا تكون إلا لمن اتبع أمر الله تعالى ، ومن وفقه الله وكان في كنف الله وفي عنايته كان النصر حليفه بدون شك ..

إنـي أريد أن أتحـدث إليكم في هذا الاجتماع في أمور متعددة ومقاصد جمة » .

الطبيعة الإنسانية مفطورة على التوحيد ، هذه الفطرة كانت السبب في حمل الإنسان للأمانة ، وتكليفه بالإستخلاف ، فهو قادر على الخير والشر .

يقول أبوالعينين : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) :

« الإنسان مفطور على التوحيد ، ولذا فمن العدل أن نقول أنه خير في أصل خلقه ، إلا أنه قابل لفعل الخير والشر ، ولديه الإستعداد لهذا وذاك ، لأن فيه مناطق ضعف ، يمكن أن توازي مناطق الخير فيه ، هذا الإنسان فرد في جماعة ، وهذا يجعله مسؤولاً عن نفسه ، وعن مجتمعه ، بقدر ما يكون المجتمع مسؤولاً عن أفراده ، والرابطة التي تربط بين الأفراد هي رابطة التعاون والحب » ص ٩٢

أدرك الملك عبدالعزيز هذا المفهوم ، ونوه إليه في بداية خطابه ، ليهيأ سامعيه من أفراد شعبه ، لاستيعاب الأمور التي يريد أن يوصي بها في هذا الاجتماع . فالخطاب جاء ليذكر بأمور قد سبق وأن أشار إليها الملك عبدالعزيز في الخطابات السابقة ، ومع هذا عاد يذكر بها لإدراكه مدى أهمية بناء النفس ، كأساس للعمل الناجح . فالتعاون والتراحم والتكافل والمساواة بين المسلمين من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المؤمن بوحدانية الله عز وجل ، والمتمسك بالعقيدة الإسلامية وتشريعاتها كما جاءت في الكتاب والسنة .

يقول القاضي : (١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م) :

« التربية الإسلامية بدأت ببناء النفس من الداخل لأنه أساس العمل الناجح الذى ينبع عن النفس البشرية ، فلما أتمت ذلك البناء بدأت في تغيير المجتمع الذى تعيش فيه على أساس الأخلاق الإسلامية ، وهذا ضرورى لبناء المجتمع في جميع مجالاته ، وبذلك كفلت هذه التربية لكل فرد حاجته وسعادته ، كما كفلت للمجتمع كله ترابطه وطمأنينته » ص ١٩ ـ ٢٠

وهذا ما طبقه الملك عبدالعزيز حقاً . فمن خلال خطبه نتلمس واقع هذه الحقيقة في فكره وفلسفته . ولو تساءلنا ، كيف يمكن للمسلم أن يسير في طريق البناء الحضارى وفقاً للأسس الإسلامية ؟ نجد الجواب في كلام الملك عبدالعزيز يرحمه الله ، وفي واقع أعماله ، حيث سار في الطريق الذى رسمه الإسلام له ، وهو طريق قائم على الإيمان بالله كأساس لتحقيق المبادىء الإسلامية .

يقول النحلاوي : (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) :

« التذكير هو : أن يعيد الواعظ إلى الذاكرة معاني وذكريات ، تستيقظ معها مشاعر ووجدانات وانفعالات ، تدفع للمبادرة إلى العمل الصالح ، والمسارعة إلى طاعة الله وتنفيذ أوامره » ص ٢٨٣

وهذالا شك ما استهدفه الملك عبدالعزيز من وراء التكرار والتركيز على الأسس التي ينبغي أن يستوعبها المسلمين في واقع حياتهم لكي تتم لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، فالتكرار والتذكير المستمر لا شك أنه من أشد العوامل التي تساعد على تثبيت الفكرة في نفس السامع .

يقول تعالى : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر** ﴾ (الغاشية ، آية ٢١ ـ ٢٢)

أما عن الجديد الذى يمكن استنباطه من المبادىء فيتلخص في الآتي :

واجبات القائد تجاه رعاياه :

يقول الندوى : (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) :

« المهم للقادة المسلمين ، وللدول الإسلامية ، غرس الإيمان في قلوب المسلمين ، واشعال العاطفة الدينية ، ونشر الدعوة إلى الله ورسوله ، والإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى ، لا تدخر في ذلك وسعاً وتستخدم لذلك جميع الوسائل القديمة والحديثة ، وطرق النشر والتعليم ، كتجول الدعاة في القرى والمدن ، وتنظيم الخطب والدروس ، ونشر الكتب والمقالات » ص ٢٧١

ومن خلال الاجتماعات الدائمة بين الملك عبدالعزيز ورعاياه كان يطلع على أحوالهم ويقف عند حدود مصالحهم واحتياجاتهم والنظر في الأمور المقبلة ، وسماع اقتراحاتهم ورغباتهم والسعي إلى تحقيقها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

قال تعالى : ﴿ **الذين إن مكنـهم في الأرض أقاموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عـقبة الأمور** ﴾ . (الحج ، آية ٤١)

وجوب الصدق في الأقوال والأفعال :

يقول الفرج : (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) :

> « الصدق يكون مع الله ، ومع الناس ، ومع النفس . فالصدق مع الله يكون بتنفيذ أوامره وعبادته حق العبادة ، وعدم الإشراك به ، والصدق مع الناس يكون بحسن التعامل معهم ، وعدم غشهم أو المكر بهم ، أو تزييف الحقائق عليهم ، والصدق مع النفس يكون بعدم إيرادها المهالك ، واللجوء إلى الله في السر والعلن ، وأداء الأعمال الصالحة » ص ٥١

وقد لخص ذلك الملك عبدالعزيز في خطابه وأشار إلى أن الشرف للمسلمين لا يكون إلا بالصدق في الأقوال والأفعال ، باتباع أوامر الله ثم بالنية الصحيحة والعمل الطيب ، ومن لا يقوم بأمر الله لا ينجح أبداً ، ثم تلى قوله تعالى : ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فراءه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرت إن الله عليم بما يصنعون** ﴾ . (فاطر ، آية ٨)

الترغيب في الخير والترهيب من الشر :

تهتم التربية الإسلامية باسلوب الترهيب والترغيب ، ذلك لأن النفس البشرية إذا تركت على هواها فإنها تقبل على ما تريد وتذر ما لا تريد ، أي أنها تنقاد إلى الأهواء . ويأتي دور الترهيب ، لردعها والزامها بواجباتها وحقوقها ، وتخويفها من العقاب الإلهي ، والترغيب يكمل الترهيب ، فتتوازن النفس .

يقول أبوالعينين : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) :

> « تقر التربية الإسلامية العقوبة على الإنحراف والإثابة على المثوبة ، إلا أن العقوبة هنا مشروعة لتعديل السلوك ، وما عجزت الطرق الأخرى عن تكوينه وتشكيله وتعديله ، فربما تستطيع العقوبة والثواب أن تقوم بهذا التشكيل والتعديل ويستعمل قبل إيقاع العقاب والثواب ، أسلوب الترغيب والترهيب » ص ٢٤٠

والملك عبدالعزيز لجأ إلى هذا الأسلوب ، فقد سعى إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس المواطنين ، بالنصح والإرشاد والموعظة الحسنة فطهر أنفسهم

من الأدران والشرور ، آخى بين أفراد شعبه ، ورغبهم في التعاون والإصلاح في الدين ، فالدين بمثابة الرأس من الجسد ، فصلاح الدين يعني صلاح الجسد والروح والقلوب والأحوال في الدنيا والآخرة .

كل ذلك كان بمثابة التمهيد والإستعداد النفسي ، لتقبل الأمر الذي يرغب في طرحه عليهم ومشورتهم فيه وهو إنتخاب هيئة من العلماء للنظر في أمور القضاء . وهذا أساس الدين ، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وأصلحنا المحاكم هانت الأمور واستقرت الأحوال حيث قال :

« ثم هنالك مسألة أخرى تهمني كثيراً لأنها من أسس الدين ومصالح المسلمين وهي مسألة القضاء ، هناك التعطيل والتقصير الواقع بسبب كثرة الاختلاف في الدعاوى ، فنحن نطلب النظر في هذه الأمور لحسمها وحلها وبينكم من هو من أهل الدين ومن أهل الرأي ، وإذا أردتم أن نزيدكم من أهل العلم سواء نجدي أو من خارج هذه الهيئة فاطلبوا ، لأننا ما أضفنا أحداً لكم لأن المسألة بالإنتخاب ..

إن التقصير واقع وأنا مسئول عن هذا التقصير ، ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر ، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورى ، وحيناً هيئة التحقيق ، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا في هذه الأمور وأمامكم مسألتان .. ففي المحكمة قضايا مضت عليها سنتان أو ثلاث وهي واقفة معطلة ، وهذا أمر مشكل ، ومن رأيي انتخاب هيئة من العلماء للنظر في هذه القضايا والبت في أمرها بتاً نهائياً .. » .

تطبيق الحدود الشرعية :

إن التوجيهات الإلهية ، تهدف إلى إشاعة الصلاح في الأرض وانشاء مجتمع إسلامي مترابط يسوده الأمن والخير والتآخي .

قال تعالى : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف** ﴾ (قريش ، آية ٤ ـ ٥) وبتطبيق الحدود الشرعية على واقع الأرض يتحقق الأمن باذن الله .

« فالإنســـان الذي يصنع القبيح ويثبت عليه ذلك يقام عليه الحد ، وكذلك ينظر في القدح الذى يقام فإذا صح اقيم الحد على المقدوح به ، وإذا لم يثبت يجـــازى المفترى » . هذا ما رآه الملك عبدالعزيز بثاقب فكره وعلمه بأمـــور الشريعة والدين .

كل هذه المبادىء لم تكن لتتحقق دون علم ودراية . وقد أشرنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة إلى موقف الملك عبدالعزيز من التعليم وإلزاميته ، وجاء الخطاب الذي ألقاه في أوائل شهر صفر من عام ١٣٥٠هـ ، حيث استقبل رحمه الله خريجي المعهد العلمي السعودي والقى فيهم كلمه توجيهية أكد فيها على أهمية التعليم ومكانة المتعلم في الإسلام ، وعنده شخصياً . فالاجتماع بالخريجين وتهنئتهم ، يبعث في نفوسهم الإكبار والمفاخرة بأهمية ما تلقوا أو ما درسوا ، فالخريج أصبح لديه قدرة من العلم والمعرفة في أمور الدين والدنيا ، إذاً فهو بحاجـة إلى إرشـــاد وتوجيه يوجهان هذا العلم نحو الإتجاه الصحيح ليتم التوافق بين الإنسان ومجتمعه وبيئته ، وهذا ما أراد التنبيه إليه الملك عبدالعزيز في خطابه .

يقول ناصر : (د. ت) :

> « يعتبر التعليم إحدى القوى المحررة للأفراد والجماعات الاجتماعية ، لأنه يزيد من طموح الأفراد ويدفعهم إلى الصعود في السلم الاجتماعي ، والإلتحاق بالجماعات المطالبة بتحسين أوضاعهم ، أضف إلى ذلك أن التعليم يلعب دوراً كبيراً في إزالة الفروق بين الطبقات وفي التخطي الطبقي أو الإندماج في الطبقات ، الاعلى ، أو حتى الانتقال من طبقة إلى طبقة اجتماعية أخرى » ص ١٥٦

وهذا القول يتوافق تماماً مع قول الملك عبدالعزيز في الخطاب السابق ، فهو يدرك أن هذه الفئة أو المجموعة التي تمكنت من استكمال دراساتها أصبحت على قدر لا بأس به من العلم ، وقد تندفع نحو أضاليل التمدن المزعوم من العلم والمعرفة .

ومن خـلال الخطاب نرى أنه ركز على مـبدأ مـهم من مـبادىء التـربيـة الإسلامية بل أهمها ، وهو : ضرورة العمل بالعلم النافع حيث قال :

« أن قسـماً من الناس قطع في مضمار العلوم ، ولا سيما الكونية منها ، شوطاً بعيداً ، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها ، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير ؟ لا ترى إلا أحزاباً يضرب بعضها بعضاً ، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان ، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذه تارة أخرى ، علم ولكن بالأقوال ، وعمل ولكن في غير النافع ، وان ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالى في كتابه ، وعلى لسان صفوة خلقه ﷺ » .

والتعليم في المملكة العربية السعودية يقوم على مبادىء إسلامية تربوية ، أساسها التعليم الإسلامـي ، فكل ما يوافقها نتعلمه ونطالب بتطبيقه والعمل به وما دون ذلك نأخذ منه ما يفيدنا ، دون أن يمس تعاليمنا الإسلامية .

هذا المنهـج انتهجناه منذ أن أشرق نور الدعوة المحمدية من مكة المكرمة ﴿ **بإقرأ بسم ربك** ﴾ ليمثل أكبر انطلاقة فكرية وتعليمية . ولكن مع تقلبات الزمان عادت الجاهلية والظلام لتخيم على الأجواء في شبه الجزيرة العربية ، فشاءت الإرادة الإلهية أن تعود الامة الإسلامية إلى طور العزة من جديد ، على يد الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه . حيث عمل على توحيد البلاد والأفراد على وحدة الكلمة ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ ، ثم العمل من أجل التقدم والنهوض والمدنية ، متخذاً التعليم كأساس للنهوض والرقي .

فالأمـة القوية هي التي تستطيـع أن تبني حضـارات راقية وتحافظ عليـها ، وهذا يتطلب أفراداً أقوياء ، أصحـاء الاجسام ، يشاركون جميـعاً فـي الدفاع عن وطنهم ودينهم . ولكن كي تزداد القوة الجسمية صلابة فلابد من ربطها بالقوة العقلـية والنفسية ، فقـد قيل في الأثر : العقل السلـيم في الجسم السليم .

ولكن ما فائدة العلم إذا لم يقترن بالعمل ؟

العمل من وجهة النظر الإسلامية يستهدف مصلحة العامل في الدنيا والآخرة يقول تعالى : ﴿ **إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ (ال عمران ، آية ١٩٥)

والإنسان المسلم يحتاج إلى أفعال يمارسها ، تمكنه من بناء علاقات اجتماعية وأخلاقية ، (والعمل هو المقياس الذى تقاس به تربية الإنسان ، يقاس به إيمانه ، تقاس به أخلاقه ، يقاس به علمه)

(الحلواني ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ١١٣)

قال تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾

(التوبة ، آية ١٠٥)

والتعاليم الإسلامية والعمل بها هي الضمان الأول والأخير لاستقرار الحياة البشرية ولسعادتها في الدنيا والآخرة ، فهي التي توجه كل المعارف والعلوم الإنسانية الأخرى إلى الأهداف والغايات السامية ، التي لا تتغير ولا تتبدل بتغير الثقافات وتطور الحياة . (يالجين ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، ص ٤٥)

ومن خلال هذه النظرة التربوية الإسلامية ، تطلع الملك عبدالعزيز نحو بناء راسخ ، بطريقة تربوية متدرجة تبدأ بالاجتماع في وطن واحد وغرس المبادىء والقيم الإسلامية فيه من خلال التعليم ، ثم يأتي النصح والإرشاد ليوجه هذا التعليم نحو الإتجاه السليم .

فامتزج العلم بالعقيدة ليكونا علماً نافعاً موجهاً للسلوك نحو الخير ، وإنساناً صالحاً قادراً على أخذ المعرفة المفيدة ، التي لا تتنافى مع القيم الإسلامية ، والتشريعات الربانية التي أنعم بها الله عز وجل على الأمة الإسلامية ، بواسطة أشرف الأنبياء والرسل محمد ﷺ حيث طبق المنهج وحفظ للأمة عزها وكرامتها .

وفي الخطاب الذي ألقاه الملك عبدالعزيز في القصر الملكي بمكة المكرمة في السادس من ذى الحجة لعام ١٣٥٠هـ أشار إلى أن الإيمان بوحدانية الله وشكره على نعمة الإسلام والإقرار الصادق بعبوديته والخضوع والتذلل لعظمته سبحانه وتعالى ، واجب ينبغي أن لا يكون باللسان فحسب بل لابد أن يقترن القول بالعمل ، لنتمكن من تحقيق الأهداف المرجوة من حكمة استخلاف بني الإنسان على الأرض ويأتي في مقدمتها ، الوحدة واجتماع الكلمة كهدف من أهداف التربية الإسلامية ، ومن المبادىء التربوية المستفادة من الخطاب :

الحث على التعاون والاجتماع واتفاق الكلمة :

يقول تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ (المائدة ، آية ٢)

ورسول الله ﷺ يقول : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) رواه مسلم . (النووى ، جـ١٦ ، ص ١٣٩)

فالدين الإسلامي يدعو دائماً إلى التعاون والاجتماع واتفاق الكلمة ، وتكوين المجتمع المسلم هدف من أهداف التربية الإسلامية ، والتعاون مبدأ مهم لإستقرار حياة المجتمع وإرساء العلاقات بين الأفراد . وقوة الجماعة وسلامة بنيانها ودقة نظمها وأوضاعها ، تقاس بمقدار تعاون أفرادها وتماسكهم لتحقيق المصالح المشتركة بينهم . وعدم التعاون بينهم لا شك أنه يؤدى إلى الفرقة وتشتيت القوة بين المسلمين .

يقول قطب : (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) :

> « بالحب الذى يبثه الإسلام في أفراد الأمة المسلمة ، قام المجتمع الإسلامي الأول الفريد في كل التاريخ . مجتمع كل فرد فيه أمة : وهو على ضخامة شخصياته وإيجابيتها العجيبة الفذة ، متحاب مترابط لا تكاد تحس أين يبتدىء كيان كل واحد منهم وأين ينتهي الآخر ، لأن الحب قد أزال الحدود ، والقرآن يغذى هذه الجماعة ، بتوجيهاته الدائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق » ص ١٦٧

فهل اختلف هذا القول في مضمونه عن ما قاله الملك عبدالعزيز في خطابه ؟

ليس بغريب على الملك عبدالعزيز أن يدرك أهمية هذا المبدأ « ففطرته السليمة وموهبته التى منحه الله إياها ، هي مصدر قدراته وتوجيهاته . فالملك عبدالعزيز ، عرف بتلاوة كتاب الله ، والتبصر به والتأدب بآدابه ، عرف عظمة العدل والعفو ، عرف كيف يكظم غيظه ، عرف متى تضطره الظروف إلى العقاب بعد أن يستنفذ كل محاولة من أجل العفو » (التويجرى ، ١٩٩٧م ، ص ٦٥١)

فالمبادىء التي أدرك أهميتها رجال التربية اليوم ونادوا بضرورة التمسك بها . أدركها الملك عبدالعزيز وطبقها وشيد بها أمة المملكة العربية السعودية ، تحت لواء التوحد ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ ووفق منهج التشريع الإسلامي .

إن التغيير القدرى في حياة الناس ، مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم ، التي يختارونها لأنفسهم ، فالله سبحانه وتعالى يملك دوام النعم للإنسان إن هو آمن وشكر ، ويملك زوالها ، إن هو أنكر وكفر ، إلا فيما ابتلي . يقول تعالى : ﴿ **له معقبت من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ . (الرعد ، آية ١١)

فيجب أن يعلم كل إنسان إن إحداث التغيير ، نابع من ذاته هو . فهناك حفظة يتعقبون أفعاله بأمر الله عز وجل ، وتصرفه بهم مترتب على أنفسهم وأحوالهم .

يقول يالجن : (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م) :

> « يجب أن يوضع أمام الجيل صورة الحضارة الإسلامية بجميع عناصرها وقيمها ووسائل بنائها وطرق تحقيقها ، ولابد مع ذلك من رسم الطريق إليها ووسائل بنائها » ص ١٦٣

ولكى يتمكن الملك عبدالعزيز من تغيير الأوضاع التي حلت بمجتمع شبه الجزيرة العربية عند توليه أمر الحكم فيها ، بدأ من المنطلق السليم الذي رسم

خططه القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة . وهو بناء الشخصية المسلمة القادرة على مواجهة أخطار أعداء الدين الإسلامي ، ونشر كلمة الله في الأرض . فركز على تغيير الأوضاع الإقتصادية والسياسية ثم الاجتماعية . ومن خلال الخطاب نجده يشيد بالخير الذى توصل إليه المجتمع الإسلامي الأول ، الذى بنى قواعده رسول الله ﷺ ، وقارن تلك النتائج بما آل إليه المسلمون اليوم لما تفرقوا . وبين أن العزة لن تعود للمسلمين إلا بالتقوى والإعتصام بحبل الله ، فلا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد .

تقول الحلواني : (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) :

« التربية الإسلامية تتناول الفرد بألوان مختلفة من الإعداد بالمحاكاة ، بالقدوة ، والموعظة ، والعادة والتوجيه . كما أنها تعمل على إيصال العبد بربه وتعمل على تحسين هذه الصلة وتعمقها في ضوء التوحيد . كما تعمل على بناء الأخلاق التي تمكنه من مجابهة الأخطار المحدقة به وتجعله قادراً على التفرقة بين الخير والشر » ص ٤٨

فماذا عن ذلك في خطاب الملك عبدالعزيز ؟

بدأ الخطاب بتهيئة روحانية تقوي علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى ، ليتمكن من تعميق روح التآخي والتعاون بين أفراد شعبه ، ثم لينصح لهم ويرشدهم إلى ضرورة الإسلام واجتماع الكلمة بين المسلمين ، وفي الوقت نفسه حذر من التفرقة ، فهي السبب الذى أوصل المسلمون إلى هذا الضعف وتلك التفرقة ، فما السبيل إلى العودة إلا بالرجوع إلى منهج السلف الصالح بالاعتصام والتقوى فقال :

« المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة ، فيجب عليهم أخذ سلاحهم ، والسلاح سلاحان .. أما سلاح العدة من طيارات وما إليها ، فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استخوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله . أما السلاح الثاني ـ وهو الأعظم ـ فالذي أوصي به نفسي وأوصيكم به ، وهو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً ، فإذا عملتم ذلك نلتم العزة في الدنيا والعفو في الآخرة ورحمة الله وسعت كل شيء ، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد » .

الأخذ بأسباب القوة للدفاع عن الدين :

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾(الانفال ، آية ٦٠)

ولكن هل القوة تكمن في السلاح ، وشجاعة المقاتل ؟

يقول تعالى : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** ﴾ . (الاعراف ، آية ١٤٥)

هذا مظهر من مظاهر القوة. فالله عز وجل أمر الأنبياء والرسل أن يأخذوا ما كتب الله لهم في الكتب السماوية بقوة وأمرهم أن يأمروا أقوامهم بالتمسك بها أيضاً بقوة ، قال تعالى: ﴿ **يـيحي خذ الكتب بقوة** ﴾. (مريم ، آية ١٢)

كما اقترنت القوة مع الأمانة في العمل ، قال تعالى : ﴿ **يابت استئجره إن خير من استئجرت القوي الأمين** ﴾ . (القصص ، آية ٢٦)

هذا ما أدركه الملك عبدالعزيز فهو يرى أن القوة أمر مطلوب في كل أمر فيه طاعة الله ، وفي جميع متطلبات الحياة ، سواء الزراعية أو السياسية أو الصناعية ، ولكن بشرط ألا يتعارض ذلك مع المنهج والتشريع الإسلامي . وفي الوقت نفسه نجده يحذر أفراد شعبه ، من الشائعات التي يروجها الخصوم ، مستهدفين بذلك المساس بالدين ، والوحدة الإسلامية ، ويبين الملابسات التي تحيط بالموقف السياسي والأسباب التي أدت إلى كثرة الأقاويل وموقفه منها باسلوب الحكمة . قال تعالى : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ . (البقرة ، آية ٢٦٩)

ويقول الملك عبدالعزيز في ذلك :

« وإني أقول بوجوب القوة في كل شيء ، في الزراعة وفي السياسة وفي الصناعة وفي كل أمر فيه طاعة الله ، أما ما يخالف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقد أمر رسول الله ﷺ بتعلم اللغات الأجنبية لأنها من ضمن القوى على العدو لئلا يظهر عليهم ، وكذلك أصحابه من بعده » .

يقول الشرقاوى : (١٩٨٣م) :

« الحكيم يمكن أن يكون مجاهداً ، أو إماماً ، أو رجل علم ، يتقدم بمقتضى الفطرة السليمة ، ولا يتكلف ولا يصطنع الأفعال ، ولا يغش ولا يخدع ليصل إلى منافع أو لذات ، إنما هو شخصية ، تمتاز بالسكينة والطمأنينة ، وهو صاحب خير كثير » ص ٢٧٥

وبتلك الحكمة تصدى الملك عبدالعزيز لأعداء الدين ، الذين لفقوا الاكاذيب الباطلة ، والاقاويل المنمقة عليه ، وعلى أساليبه السياسية في الحكم ، مستهدفين بذلك المساس بالعقيدة والوحدة الإسلامية ، وهذا لن يكون لهم بإذن الله . فما طبقه الملك عبدالعزيز لم يخالف ما جاء في الكتاب والسنة في شيء ، وما نقموا منه الأعداء إلا لذلك . قال تعالى : **﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنون بالله العزيز الحميد ﴾** . (البروج ، آية ٨)

يقول التويجرى : (١٩٩٧م) :

« مسيرة الملك عبدالعزيز مع التوحيد وسائلها حصان وفرس وجمل وفارس ، وسرى ليل ونهار ، وصبر واحتمال ، وسياسة وحكمة ، وهذه قد تكون أقل كلفة من المسار في متاهات النفوس ، والأمزجة والتناقضات التي لا علامات عليها لترى . وليكون التعامل معها سهلاً لا غموض فيه . ولكنها النفوس وغموضها وسرائرها التي لا يرى منها إلا ما يظهر على علانيتها .

فاتجه بكل ولائه لهذه الشريعة وأحكامها العادلة ، فأسلم نفسه وشعبه إليها ، فنظم القضاء وأكرمه وأعطاه حقه من الاستقلال والحرية ، فلا سلطان لأحد عليه » ص ٦١٠ ـ ٦١١

الصدق في القول والتكامل بين القول والعمل :

لقد مقت الدين الإسلامي أولئك الذين يقولون مالا يعلمون . فقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾** . (الصف ، اية ٢ ـ ٣)

والملك عبدالعزيز طيب الله ثراه كان يملك القدرة التي يسيطر بها على أفئدة الرجال ، وذلك بالكلمة الحسنة والتوجيه الرشيد وباسلوب الحكمة والإقناع ، وكيف لا وهو المتحدث المقنع لسامعيه ، باسلوبه الفصيح البليغ .

يقول القابسي : (د. ت) :

« كان عبدالعزيز نادر الكلام ، قليل الحديث ، يفكر أولاً ، ويعمل ثانياً ، حتى إذا شعر بحاجة إلى الكلام كان كلامه كأفعاله تماماً » ص ١٧

فهو يدرك تماماً أنه لا فائدة من القول الذى لا يعقبه فعل لذلك كان كثير السكوت ما لم يتمكن من الفعل ، فاذا فعل تكلم وصدق واقنع . فكلام الإنسان هو المعبر القوي عن مستوى مصدره في التفكير والعمل ، فدليل عقل المرء فعله ودليل علمه قوله . ولكن ما فائدة القول بدون العمل ؟ لا شك أن ضرره أكثر من نفعه لذلك مقته القرآن الكريم واعاب على صاحبه فعله . (فليس للإنسان في الأشياء حول ولا قوة ، وما عليه إلا أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس) وهذا ما أكد عليه الملك عبدالعزيز في خطابه الذى ألقاه في الثامن عشر من محرم لعام ١٣٥١هـ بالطائف حيث قال :

« الإنسان عليه حقوق وواجبات ، والأمر بيد الله ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء بقضاء وقدر ، وليس للإنسان في الأشياء حول ولا قوة وما عليه إلا أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس ، لأن محمداً ﷺ وهو أفضل الخلق وصفوة الرسل ونبى الله وحبيبه وخاتم أنبيائه وأفضل أهل السموات والأرض قد عابوا عليه ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم شيئاً ، فقد نصره الله وآواه وأعزه وخذل أعداءه ، وان من طرق الخير اتباع الأخيار ، والأخيار هم العلماء وهم مغناطيس القلوب ، لكن إذا عملوا بما أنزل الله .

وإني أعتمد في جميع أعمالي على الله وحده لا شريك له ، أعتمد عليه في السر والعلانية والظاهر والباطن ، وان الله مسهل طريقنا لاعتمادنا عليه ، وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها ، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي ، وإن تمت على يدي فذلك فضل من الله ، وكل عمل لا يتم إلا بالإخلاص ، والنصيحة للمسلمين واجبة وقد قيل (الدين النصيحة) ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدى ما عليه » .

فشخصية الملك عبدالعزيز الأخلاقية ، تتصف بالقوة والثبات والصرامة والحتمية ، فهو يدرك أن ليس للانسان في الأشياء حول ولا قوة ، فالأمر بيد الله ، ما شاء كان ، وما لم يشاء لم يكن ، يعتمد على الله عز وجل في جميع أعماله الظاهر منها والباطن .

فكان يبوح بما في ضميره إلى رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها ، لينظروا فيه ، ويصححوا الخاطيء منه ، ويرشدوه إذا هو أضل الطريق . فيقول : (واني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئاً مخالفاً فليوضحه وليرشدني إلى طريق الحق) وبين للناس أن عليهم أمور هم أحرار فيها ، أما أمور البلاد ومن أراد المساس بها فلا بأس من العقاب .

يقول الكيلاني : (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م) :

« تتميز الشخصية الأخلاقية التابعة لإحكام الضمير في أنها تستجيب للأحكام التي تضمرها في داخلها دون إهتمام بما يقوله الآخرون ، وتتصف استجاباتها الأخلاقية بالثبات والصرامة والحتمية ، التي لا تدع كبير مجال للتفكير العلمي وتحليل المواقف ، وإنما على أساس تقسيم أنماط السلوك إلى أشياء يجب فعلها وأشياء لا يجب فعلها . فالشخصية التابعة لاحكام الضمير تتصف أساساً بضمير قوي ويقظة للأحكام الأخلاقية ومقاومة لإغراء الشهوات سواء تحركت النفس إليها أم شجع عليها الأصدقاء » ص ٨٩

والملك عبدالعزيز كما هي عادته في خطبه يبدأ بالتركيز على أهمية العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من مباديء إسلامية تعبدية وأخلاقية تكمن في العبادات والتعاون والإخاء والتمسك بتعاليم الشريعة الإسلامية فهو يرى أن التوجيه إلى إلزامية مثل هذه المباديء من باب النصيحة في الدين وتكرار هذه النصيحة كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض أنبت وأثمر نباتها فنراه يقول :

« وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله وهذه طريقتي التي أسير عليها والتي لا يمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت ، وإني أحب أن أردد عليكم هذا لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض أنبتت وأثمر نباتها » .

أما عن الجديد من المبادىء في الخطاب فيظهر من خلال قوله :

« إنني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها ، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي ، وان تمت على يدي فذلك فضل من الله ، وكل عمل لا يتم إلا بالإخلاص ، والنصيحة للمسلمين واجبة وقد قيل (الدين النصيحة) ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدى ما عليه » ومن خلال هذا القول نستطيع أن نقف عند مبدأ مهم من مبادىء التربية الإسلامية وهو الجهاد في سبيل الله بنوعيه الأكبر والأصغر الذي يستهدف فتح البلاد وتوحيد الأرض ، أما الأكبر فهو الذي يستهدف الجانب الأخلاقي والاجتماعي الذى يتمثل في توحيد العقيدة والكلمة والأهداف .

« ومن خلال توحيد العقيدة والشريعة والأخلاق والسلوك ، يتحقق توحيد الفكر البشري والسلوك الإنساني ومصير الإنسانية »

(القاضي ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٧٩م ، ص ١٧)

الجهاد في سبيل الله بنوعيه الأكبر والأصغر :

فالشريعة الإسلامية تحتوي على جميع المباديء اللازمة للنهوض بمستوى الأمة والأفراد فيها ، والجهاد كمبدأ من مبادئها إنما شرع لحماية الدعوة الإسلامية ، وحماية الإنسانية .

ويقول البوطي : (١٤١١هـ ــ ١٩٩١م) :

> « الجهاد هو : بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله واقامة المجتمع الإسلامي ، وبذل الجهد بالقتال نوع من أنواعه ، وأما غايته فهو إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة » ص ١٨٥

قال تعالى : ﴿ **اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجهدوا في سبيله** ﴾ (المائدة، آية ٣٥)

ورسول الله ﷺ يقول : (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي ، وايمانا بي وتصديقاً برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله

الجنة أو ارجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً ما نال من أجر وغنيمة) رواه مسلم . (النووى ، جـ١٣ ، ص ١٩ ـ ٢٠)

وقد سئل عليه أفضل الصلاة والسلام عن أفضل الناس فقال : (مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) رواه مسلم . (النووى ، جـ١٣ ، ص ٣٤)

فالجهاد في سبيل الله جاء مقروناً بالرسالة الإسلامية والجهاد في سبيلها وتبليغها إلى الآخرين .

وقد ركز الملك عبدالعزيز على هذا المبدأ وبدأ في تطبيقه بنفسه وماله وأبنائه ثم دعى أفراد شعبه إليه مرغبهم في فضله ووجوب التمسك به ، وقد مكنه الله عز وجل من ذلك فاستطاع أن يسترد ملك آبائه المسلوب بعد أن عزم النية على أن يجاهد في سبيل إعلاء كلمة التوحيد ونشرها في ربوع شبه الجزيرة العربية ، فوحد الأرض ، ثم سعى إلى توحيد الشعب .

يقول الشرقاوي : (١٩٨٣م) :

« إن جهاد النفس أعسر عليها من جهاد العدو مرات ومرات لذلك يلقبه الرسول ﷺ بالجهاد الأكبر ، كما لقب حرب الأعداء بالجهاد الأصغر ، وهذا يدل على صعوبة معرفة النفس وتربيتها ومحاسبتها فهي عملية شاقة تتطلب قلباً سليماً ونفساً مستقيمةً وعقلاً راشداً راجحاً » ص ٢٥٤

وليس هذا عن الملك عبدالعزيز ببعيد .

ومن مظاهر جهاد النفس التي انتصر فيها الملك عبدالعزيز بفضل الله عز وجل موقفه مع أهل الدين المتشددين من الأمور العصرية .

يقول التويجري : (١٩٩٧م) :

« لما تولت حكومة ابن سعود الحاضرة ، رأت نفسها أمام قوتين لا معدى لها عن مسايرتها : قوة رجال الدين في نجد المتمسكين أشد التمسك بتعاليم ابن عبدالوهاب والمتشددين أمام كل جديد ، فكانوا يرون أن التلغراف السلكي

والاسلكي والسيارات والعجلات من البدع التي لا يرضى عنها الدين ، وقوة التيار المدني الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من وسائل المدنية الحديثة كما يتطلب المصانعة والمداراة ، فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً شاقة بين القوتين » ص ٦٠ ـ ٦١

هذا الطريق يوضحه الملك عبدالعزيز بقوله :

« أما الأمور العصرية التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به » .

وفي الخطاب الذي ألقاه في حج عام ١٣٥٢هـ نجده كعادته ، يعالج الأمور والقضايا ، بالحجة الواضحة والمنطق الحكيم ، والارشاد إلى لزوم الرجوع إلى محجة الصواب ، والطاعة الموجبة لاتحاد الكلمة بين أبناء الشعب الواحد والبلاد الواحدة . والمتمثلة في اتباع ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية وما كان عليه السلف الصالح .

فقد تطرق بعض الخطباء إلى الخلاف الذي كان قائماً بين المملكة واليمن فجاء هذا الخطاب ليروى تفاصيل هذا الخلاف ليبين أن الملك عبدالعزيز حاول تفادى تلك الأسباب إلا أنه وجد نفسه مضطراً للدفاع عن كيان بلاده وشرفها على النحو الذى ترويه سيرته .

فالإصلاحات التي أدخلها الملك عبدالعزيز على المملكة كان لها صدى غير مستحب لبعض الجماعات المنكرة ، كان في مقدمتهم المشايخ الجامدين والرؤساء الرجعيين ، الذين لم يدركوا أهمية تلك الإصلاحات ، وما يعود منها على الأمة والبلاد من النفع . ومن خلال تتبعنا لسير الأحوال في الجزيرة العربية علمنا : أن الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه ، والامام يحيى حميد الدين ملك اليمن ، قد تمكن كل منهما من إيجاد حكومتين عربيتين مستقلتين بعيدتين كل البعد عن أي

تدخل أجنبي . يدوران دولاب الأعمال ببلديهما في غاية التروي والحذر ، مما جعل مملكتيهما مطمع أنظار العرب والمسلمين ، الذين يتطلعون إلى إعادة مجدهم الرفيع ، فاخذوا يعملون في الخفاء على وضع العراقيل في سبيل تقدمها ، ليسهل لهم العمل في البلاد العربية على تحقيق غاياتهم الاستعمارية بدون رقيب يقف حائلاً بينهم وبين ما يرمون إليه .

وفي تلك الاثناء كان كلاً من الملك حسين في الشمال ، والإمام يحيى من الجنوب يضايقان الإمارة الإدريسية في تهامة عسير مما اضطر السيد محمد الإدريسي أن يطلب حماية ابن سعود منذ سنة ١٣٣٨هـ ونصب ابنه (السيد علي) ولياً للعهد ، وطلب من الملك عبدالعزيز الوصاية عليه بعد وفاته .

توفي محمد علي الإدريسي ، فقام الملك عبدالعزيز بشروط الوصاية فعضب الإمام يحيى ، وتقدم بجيوشه إلى تهامة عسير لاعتقاده أن الوقت مناسباً للسيطرة على بلاد الأدارسة خصوصاً وأن الملك عبدالعزيز كان مشغولاً في حرب الحجاز مع الملك حسين في تلك الأثناء . ولكن ما أن فرغ من حرب الحجاز إلا ووجه أنظاره نحو بلاد الأدارسة ، وكانوا قد خلعوا (السيد علي) وبايعوا عمه (السيد حسن) ، الذي طلب حماية الملك عبدالعزيز هو الآخر . حيث أوفد وفداً لعقد إتفاقية بين الطرفين تتضمن الحماية السعودية على بلاد الأدارسة ، وجعل الإدارة الداخلية بين السيد حسن الإدريسي والخارجية كلها بيد الملك عبدالعزيز . شرط أن يحكم الإدريسي وفق الشريعة الإسلامة .

وأرسل نص الإتفاقية إلى الإمام يحيى طالباً منه احترامها .

ثم رأى الملك عبدالعزيز أن يشير على السيد الإدريسي إدخال بعض الإصلاحات في بلاده ، وتنظيم ماليتها ، وتمت الإتفاقية على إصدار إدارة البلاد وما ليتها إلى الملك عبدالعزيز آل سعود ، في السابع عشر من جمادى الأولى لعام ١٣٤٩هـ . وظلت العلاقات بين الملك عبدالعزيز والأدارسة على أتم وجه حتى دخلت

الدسائس الخارجية بين الأدارسة فأدت إلى عصيانهم وخروج السيد حسن الإدريسي عن التزاماته التي تعهد بها وارتضاها من تلقاء نفسه . وبذلك تمكن الملك عبدالعزيز بفضل الله عز وجل ثم بصبره وجلده وثقته بالله ، من أن يكوّن وحدته المنشودة . (الغلامي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٥١ ـ ٥٤)

وجاء الخطاب الذي ألقاه في العاشر من ذي الحجة لعام ١٣٥٣هـ ليعود ويذكر بهذه القضية ويوضح موقفه منها ، بعد أن أشار إلى ضرورة التمسك والالتفات حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر به الله ورسوله من مباديء التربية الإسلامية . فللتربية الخلقية في الإسلام أساس عقائدي ، يراعى فيه تقوى الله عز وجل في السر والعلن والقول والعمل . ولو أمعنا النظر في تشريعات الدين الحنيف ، لاخبرتنا الحقائق ، ونطقت الأدلة بأن الجانب الأخلاقي لهذه الأمة الإسلامية هو محور ارتكازها ، مركز دائرتها ، وعمودها الفقرى ، وحجر زاويتها ، والعنصر الفعال في حياتها .

والعبادات المفروضة لها أثر كبير في تنمية هذا الجانب في نفس الفرد ، وذلك بما تتركه من أثر طيب في سلوكه ، فالصلاة عبادة تعلم المسلم الدقة في المواعيد ، وحفظ النظام ، والنظافة المعنوية والبدنية ، فإذا ما تعود الفرد على إقامة الصلاة لوقتها ، وانعكست هذه العادة على سلوكه وعمله ووقته وجميع نشاطاته الأخرى ، فلا تضيع منه فرصة إلا ويغتنمها في الخير والطاعة .

والصيام عبادة فيها تهذيب للنفس وكسر لشهواتها . كما تعود الإنسان المسلم على النظام والصبر والحلم وقوة الإرادة .

وكذلك الزكاة عبادة تربي المسلم على تفقد أحوال المحتاجين والفقراء وبذلك يتم الترابط ويتحقق مبدأ التكافل الاجتماعي . الذي يبرز أكثر في الحج حيث يقف المسلمون في مكان واحد ولباس واحد لغرض واحد وهو استجابة لأمر الله عز وجل . فالحج يربي المسلم على وحدة الشعور والمساواة بين الجميع ، ويدربهم على الصبر والمعاناه . (القزاز ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ، ص ٩٢ ـ ٩٦)

ويقول الميداني : (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) :

« العقيدة الراسخة تولدفي قلوبنا تامة الاعضاء والأركان كالوليد الجديد ، ثم بمرور الزمن وتوارد الشواهد في حياتنا وبتتابع التغذية بالأعمال الصالحة ، والمراقبة لله تعالى تنمو هذه العقيدة وتكبر في نفوسنا ، حتى تصل بنا إلى مراتب الشهود ، بحيث لو كشف الغطاء لم يزد يقيناً ، وكلما كبرت عقيدتنا ونمت في نفوسنا ، كلما زاد تأثرها في سلوكنا ، وزاد إنتاجها في حياتنا ، وزاد إسعادها لنا » ص ٨٥

وهذا ما أراده الملك عبدالعزيز ، فقد أسقط عبدالعزيز من نفسه وعمله نزعات الغضب وتحلى بالتسامح والعفو متى انتصر وملك الخصم وصار في قبضة يده . فالتسامح والرحمة والعفو كانت صفات تحلت بها شخصية الملك عبدالعزيز ، وبها تحقق الامن والامان ، والوحدة والاستقرار في المملكة العربية السعودية ، فتسامحه وعفوه عن الخصوم انما هو بمثابة درساً من دروس الأخلاق نستطيع أن نستنبط منها مبدأ من مباديء التربية الإسلامية وهو التوبة الصادقة إلى الله عز وجل .

ويأتي الخطاب الذى ألقاه في العاشر من ذي الحجة لعام ١٣٥٤هـ ، ليؤكد هذا المبدأ ويبين فيه كيف أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لعمر أعماله في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام ، وغفر عن خالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه ، فصدق النية في التوبة إلى الله تبشر بالرحمة والفضل من الله عز وجل ، فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل عمل صالحاً . أما من يستمر في طغيانه ويصر عليه فلابد أن يدرك بأن الله شديد العقاب فقال :

« يجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه ، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم .. لقد غفر الله من أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام ، وغفر عن خالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه ، إن العبرة بالنية الصادقة ، فإذا صدق المسلمون في نيتهم فبشرهم برحمة من الله وفضل » .

فالقرآن الكريم يقر عالمية الدعوة إلى الإسلام حيث قال تعالى : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعلمين** ﴾ . (التكوير ، آية ٢٧)

ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير** ﴾ . (الحجرات ، آية ١٣)

فالميزان عند الله سبحانه وتعالى هو التقوى ، والإسلام يجارى الفطرة الإنسانية على حسب احتياجاتها النفسية ، والروحية ، والعقلية ، والجسدية ، فيجعل وقت محدد للعبادة ويركز على أهمية العمل للإنسان وضرورته ، ويوجه العقل البشرى نحو التفكير والتدبر ، ويبيح للإنسان الاستمتاع بكل ما وهبه الله عز وجل في هذا الكون الفسيح ، وفق منهج محدد لا يجوز للإنسان تعديه أو مجاوزة الحد فيه . لذلك نجد أن الهدف الذى يسعى الدين الإسلامي لتحقيقه هو إعداد الإنسان الصالح ، الذي يملك القوة الفعالة والموجهة في مجتمعه .

يقول قطب : (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) :

> « الإسلام يأخذ الكائن البشرى بواقعه الذى هو عليه ، يعرف حدود طاقاته ، ويعرف مطالبه وضروراته ، ويقدر هذه وتلك . يعرف كل ذلك فيساير فطرته في واقعها ، فلا يفرض عليه من التكاليف ما ينؤ به كاهله ويعجز عن أدائه : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ (البقرة ، آية ٢٨٦) فالتكليف في حدود الطاقة الممكنة » ص ٣٢

لعل هذا التعليق يتناسب مع قول الملك عبدالعزيز في الخطاب حيث عمل على الدعوة إلى الدين الإسلامي والترغيب فيه وضرورة التمسك والالتزام به وكيف لا وهو أفضل نعم الله عز وجل على الإنسان .

فاستغل الوقت الذى يكون المسلمون مجموعين من أقطار الأرض كافة ليوجههم ويدعوهم إلى المباديء التالية :

أهمية تعليم التعاليم الإسلامية :

بدأ الملك عبدالعزيز يرحمه الله خطابه بالتذكير لبعض نعم الله عز وجل الكثيرة على الإسلام والمسلمين والتي من أفضلها رسولنا محمد ﷺ حيث تلا قوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾ (التوبة ، آية ١٢٨ ـ ١٢٩)

الذى جاء بالقرآن الكريم وهو أشرف الكتب السماوية ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأعز الإسلام بالسنة المحمدية لتؤكد وتؤيد ما فيه . وتعليم تعاليم الإسلام ، ضروري لبناء الإنسان الصالح على قواعد ثابتة فالإسلام وتعاليمه هو مفتاح العلوم والمعارف . فالمسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا آمن (بلا إله إلا الله) وأخلص العبادة لله عز وجل دون شريك . ومتى استقر هذا العلم في أعماق الإنسان انعكس على تصرفاته وأفعاله وسلوكه وعواطفه .

يقول الميداني : (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) :

> « الإيمان هو الركن الأساسي الذى بدأ بالإسلام به في تكوين شخصية المسلم ، لأنه هو الجندي الأول في بناء شخصيته وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لارادته ، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه ، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد ، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه ، وطبقها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة ، ويجلب له النفع » ، ص ٣١

اتباع القول بالعمل :

فالقول المجرد لا يفيد ، وعلى المسلم أن يتبع قوله بعمله ، فلا يكفي العلم بالإسلام بل لابد مع ذلك العمل الذى يقوي صلة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى ، ويطهر القلوب والعقول من الأدران العالقة بهما والعبادة لله عز وجل تقتضي

الالتزام بما أمر به والبعد عما نهى عنه ، واخلاص العبادة له سبحانه وتعالى ، وتلك هي الوظيفة الأساسية للإنسان في هذه الحياة وعليه أن يعلمها ويعمل بها . والعبادة تعني الالتزام بالفروض والواجبات التي شرعها الله سبحانه وتعالى : وهي تتمثل في أداء أركان الإسلام ، وتحقيق أركان الايمان ، وتنظيم العلاقة بين الناس بعضهم البعض ، وبينهم وبين الكون الذى يعيشون فيه . هذا ما وجه إليه الملك عبدالعزيز باسلوب العالم المسلم . فبين الواجبات التي ينبغي أن يعمل بها المسلم ، لكي يكون إسلامه صحيح حيث بين معنى ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ ثم فسر سورة الفاتحة وبين معانيها ، ووجه إلى ضرورة التأمل والتدبر في معانيها باعتبار أنها السورة التي يرددها الإنسان في صلواته المفروضة . مستهدف بذلك توضيح معنى للرقي والتقدم الذى يكمن ويكمل في دين الإسلام واتباع شريعته . فالشهادة بوحدانية الله عز وجل وحدها لا تكفي للدخول في الإسلام وإنما لابد وأن يقترن مع لفظها القيام بواجباتها ووظائفها التي تنص عليها تعاليم الإسلام .

يقول أبوالعينين : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) :

> « تعمل التربية الإسلامية على تجذير وتأصيل الشخصية العربية الإسلامية في غير غياب لعملية التجديد المطلوبة فالاندفاع وراء التجديد والتحديث فقط يؤدي إلى التخلف والملاذ الوحيد في اتباع ما في القرآن الكريم والسنة المطهرة من مبادىء وتوجيهات » ص ١٢٣

فالأمة الإسلامية لم تكن أمة علم كما أنها لم تكن لها اتجاهات علمية محددة . ولكنها صارت كذلك بعد أن التزمت بالإسلام وتعاليمه التي جاء بها ، والتي كان لها كبير الأثر في تحويل الأمة إلى البحث العلمي في شتى مجالاته . فالخير كل الخير في الإسلام واتباع وتدبر تعاليمه وتوجيهاته وهذا ما ختم به الملك عبدالعزيز خطابه حيث قال :

> « يقول كثير من المسلمين « يحب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة ، وأن تأخرنا ناشىء عن عدم سيرنا في هذا الطريق » ، وهذا ادعاء باطل ،

فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمتنا ، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره . إن المدنية الصحيحة هي التقدم والرقي ، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل ، إن حالة المسلمين اليوم لا تسر ، وان الحالة التي هم عليها لا يقرها الإسلام ، يجب على المسلمين أن يتدبروا موقفهم جيداً ويعملوا لتطهير قلوبهم من الأدران التي علقت بها ، فإن الموقف دقيق ، والله ينصر من أراد نصر دينه ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ » .

فالله سبحانه وتعالى قريب من عباده وقد فرض عليهم الفرائض الخمس ليتقربوا بها إليه ، ويطهر قلوبهم وأنفسهم بها .

ويأتي الخطاب الذي ألقاه رحمه الله بجدة في الخامس والعشرين من الشهر المحرم لعام ١٣٥٥هـ ليوضح ويشرح هذه الفرائض الخمس ، ويبين معنى الإسلام وما يتضمنه هذا المعنى من واجبات تربوية إسلامية ، تنمي الشخصية الإسلامية ، المؤمنة بوحدانية الله ، والواثقة به ، المحافظة على مبادىء عقيدتها والصادقة في قولها وعملها .

تحافظ على الأمانة التي استؤمنت عليها بالبذل والتضحية في سبيل نشرها والدفاع عنها ، تسعى للعلم لتستزيد فيه وتعمل به وتؤدى واجبها كما ينبغي منها ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعمل على تقدم الجماعة في إخلاص وإحسان وتفان وحب . واعية بأن دورها في الحياة هو البناء والإبداع والإنتاج والانفتاح ، دون تعصب أو تحجر تعيش حاضرها غير منعزلة عن ماضيها أو مستقبلها فهي تعطي لكل شيء وزنه ومقداره بالعدل والقسطاس . (أبوالعينين ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥)

والالتزام بالمبادىء الإسلامية في مجال التربية الإسلامية يحد من الانحراف والتطرف والفرقة . ونحن المسلمون نعتمد في جميع أعمالنا على الله عز وجل ، فهو المدبر لكل ما في الوجود . ونتقرب إليه بالعبادة ، لنستمد منه القوة والأمن والطمأنينة ولنحقق المساواة والعدل والحب بين المسلمين ، فنقابل المحن بالصبر ، ونقابل النقم بالشكر .

فالصلاة : تؤثر التأثير الكامل في المسلم ، الذى يجعله قادراً على أداء رسالته في هذه الأرض ، مادام وعاها وأقامها وحافظ عليها . والزكاة : تحقق الطاعة لله عز وجل وتحرر الانسان من سيطرة المال وتحقق الرباط الاجتماعي بين المسلمين ، كما تساعد على إيجاد التوازن الاقتصادي ، فينال بها المسلم الثواب العظيم من الله عز وجل في الدنيا والآخرة . أما الصوم فهو : صلة وثيقة بين العبد وربه ، يبعده عن الرياء ويطهر نفسه ويوجه عقله كي يسترد حريته ، ويأتي الحج لكي يقوي روح التعاون والمساواة بين المسلمين جميعاً ليخرجهم من ذنوبهم ويعود بهم كيوم ولدتهم أمهاتهم . (القاضي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م ، ص ١٦٧ ـ ١٨١)

فالميزة الحقيقية هي خشية الله عز وجل والعمل بمقتضى تعاليم الدين الإسلامي .

لعل هذا ما استهدفه الملك عبدالعزيز يرحمه الله من خلال هذا الشرح الذى سبق النصح . فالايمان بالله عز وجل متى استقر في القلب ، يعكس مآثره على السلوك ، والملك عبدالعزيز كان (يدرك أن بشرية الإنسان مهما كانت موهوبة ومخلصة للأمانة ، تظل لا أمان لها من الخطأ والزلل ، وخطأ رجل الدولة ومن بيده مقاليد أمة قد يفسد القلوب ويزعزع الولاء في مفاجآت سببها سؤ التقدير ، والاستبداد بالرأي ، والعزوف عن المشورة) (التويجري ، ١٩٩٧م ،ص ٦٢٣)

والعبادة لا تعني تلك اللحظات التي يقضيها الإنسان في التعبد وإنما (قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة ، قيمتها أن تكون خطة سلوك ، وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور) (قطب ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ٣٤)

ويأتي وضوح ذلك من خلال النصح الذى وجهه رحمه الله إلى أفراد شعبه في نهاية هذا الخطاب حيث قال :

« إننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا ، ونكون على علم تام بما عندكم .. وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا .. إنى أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقاً دائماً ،

لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب .. لذلك سيكون مجلسي مفتوحاً لحضور من يريد الحضور من الساعة الثانية إلى الساعة الثالثة ليلاً .. وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحاً لهذه الغاية بدلاً من مجلسنا سواء كان في مكة أو في الطائف ، وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم . أنا أود الاجتماع بكم دائماً ، لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا وهذه غايتي من وراء هذا الإتصال .. نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز .. » .

وفي الخطاب الذي ألقاه في الثاني من صفر لعام ١٣٥٥هـ نقف عند مبدأ مهم من المبادئ الإسلامية استهدفه الملك عبدالعزيز يرحمه الله وهو :

الحكم بالعدل والطاعة لأولياء الأمور من المسلمين :

قال تعالى ﴿ **الذين إن مكنهم في الأرض اقاموا الصلواة وءاتوا الزكواة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عقبة الأمور** ﴾ (الحج ، آية ٤١)

فشريعة الله عز وجل هي المحجة البيضاء التي لا ظلم فيها ، والحكم بها واجب من واجبات من تولى أمر المسلمين بالولاية .

يقول القاضي : (١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م) :

« يجب على الحاكم أن يحكم بين الناس بالعدل على أساس من شريعة الله ، وبذلك تقوم مصلحة الأمة على أساس من العدالة التامة ، لذلك يقول أبوبكر الصديق : (القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له) وإذا كان هذا من حقوق المحكومين على الحاكم ،فإن من حقه عليهم أن يطيعوه ، ما دام يقيم فيهم كتاب الله تعالى » ص ١٣

إلى مثل هذا أشار الملك عبدالعزيز في خطابه ، كما أوصى الشعب بأن يقلل من الخصومات والمنافسات لأن كثرتها توجد اختلافاً في صفوف الأمة حيث قال :

« فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب ويسهروا على مصالح الناس وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف ، وعلى الشعب أن يمتثل لأمر الله فمن حكم له حمد الله ، ومن حكم عليه حمده ، الأول يحمده لأخذه حقه والثاني يحمده لأنه عصمه من أخذ حق غيره .

وأوصي الشعب أن يقلل من الخصومات والمنافسات ، لأن الخصومات والمنافسات تؤذي الحكومة والمحاكم الشرعية وكثرتها توجد اختلافاً في صفوف الأمة ، وان إنساناً تكثر مطالبه ومرافعاته وإزعجاج حكامه وعلمائه لا لحق بين وإنما به نزعة من نزعات الشيطان ، والشيطان يسعى للتفرقة ، فعلينا ألا نساعده ولا نتركه يفرق بين المسلمين .. ان من الناس من يصيح « أنا مظلوم » وإذا بحثت ظلامته التي يدعيها لا تجد فيها من الحق شيئاً ، لهذا أوصيكم بالتناصح فيما بينكم ونهي أمثال هذا عن ذلك » .

وكيف لا وهو المحب المخلص لأفراد شعبه ، ينتهز الفرص والمناسبات المختلفة للاجتماع بهم ، فقلبه ، وبابه مفتوحان لاستقبالهم في جميع الأوقات ، يصغي إلى سرائر نفوسهم ، يفضي إليهم ليعمق في نفوسهم الروح الإسلامية ، باسلوب الحكمة والتوجيه ، والنصح والارشاد . إضافة إلى اللقاءات اليومية العابرة مع أفراد شعبه ، هناك المناسبات المختلفة التي يختارها الملك ليدعو فيها إلى لقاءات جماعية مع أفراد شعبه والمسؤولين منهم ، بخاصة ، ليتحدث معهم بكل المحبة والود ، حديث النصح والإرشاد والتوجيه ، والمشاركة في الرأي وتحمل أعباء المسؤولية ، تلك هي العلاقة بين الحاكم والمحكوم في اشمل صورها وأروعها ، فبها استطاع الملك أن يقضي على الكثير من الفتن والدسائس التي كانت تحاك حول المملكة العربية السعودية وتستهدف الايقاع بين الملك وشعبه .

وكان الحج فرصة عظيمة ينتهزها الملك عبدالعزيز ليجتمع بالمسلمين فيه ، ليخطب فيهم وينصحهم ، ويرشدهم إلى طريق الإسلام الصحيح ، وقد لا يخلو خطاب إلا ونجده يركز فيه إلى ضرورة الإلتزام بالعقيدة الإسلامية ومبادئها ، التزام يتمثل في القول باللسان والتصديق بالقلب ، ومطابقة ذلك بالعمل الصالح ، وكثيراً ما يركز على أهمية التعاون والتناصح والتآخي والمساواة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمشورة بين المسلمين ، فيما يطابق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإن لم يكن ، فبما أجمع عليه السلف الصالح من الائمة والخلفاء الراشدين . فهم خير خلف لخير سلف . (شاكر ، ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م ، ص ١١١ ــ ١١٢)

ويأتي حج عام ١٣٥٥هـ ، ليجتمع الملك عبدالعزيز بالمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ليدعوهم إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي كما جاءت في الكتاب والسنة . وقد سبق وأن خطب إلى مثل ذلك في أفراد شعبه ليخلصهم من الاستذلال والخضوع لغير الله ، ويوجه قلوبهم وعقولهم نحو العبادة والتوحيد (بلا إله إلا الله) وهذا هو الهدف الأكبر الذى سعى إليه الملك عبدالعزيز ، فدائماً ما يركز على هذا المبدأ ، ليس في أفراد شعبه فحسب بل مع المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها وهذا الخطاب الذي ألقاه في الحجاج الهنود ، يجسد عالمية هذا الهدف في فكر الملك عبدالعزيز .

فيبدأ خطابه بآيات من كتاب الله الحكيم ، تشير إلى ضرورة الإسلام والحكم بما جاء فيه من فرائض وتشريعات ، ويبين أن الإسلام لا يكون إلا بالإيمان (بلا إله إلا الله) وأن محمد ﷺ نبياً ورسولاً . فما جاء به ﷺ متمماً لما أنزله الله عز وجل على لسانه في كتابه العزيز القرآن الكريم .

ثم يستهدف النفوس التي لربما تسلل الشيطان إليها ، وانعكس هذا التسلل على أعمالها ، ليرشدها إلى أن هذا أمر طبيعي في النفس البشرية ، فالخطأ والنسيان لا يقلل من إيمان الإنسان إن هو استغفر وتاب الله عز وجل ، فلا يوجد إنسان غير مذنب . وان لم يذنب العباد فيخلق الله عز وجل عباداً يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم .

فبالتوبة والاستغفار ، يتجاوز الله عز وجل عن أخطاء الخاطئين . ولكن الشيء الذي لا يكون معه صفح ولا غفران هو الشرك بالله والكذب على رسوله ﷺ حيث قال :

« والحقيقة أنه لا يوجد إنسان غير مذنب ، لأن العصمة لله وحده (**ولو لم تذنبوا لخلق الله عباداً يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**) ، ولكن الذنوب على جملة درجات ، منها مالا يمكن معه صفح أو غفران ، وهي الشرك بالله ، والكذب على رسول الله ، وكل إنسان يرى أن هناك أية حجة أو قوة أخرى أقوى من الكتاب والسنة فقد افترى على الله الكذب ، والحمد لله الذي وفقنا

– نحن المسلمين – إلى تفهم معنى شهادة « أن لا إله إلا الله » وهي تتضمن نفي معنى الشرك ، وإثبات العبادة له سبحانه وتعالى ونهي لما نهانا عنه ، وهو ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، تعالى الله عما يصفون ونحمده تعالى على أنه جعل هذه الأحكام لطفاً منه بنا » .

وهذه إشارة حكيمة من الملك عبدالعزيز ، فالإنسان قد ينتابه اليأس والتذمر من رحمة الله عز وجل ، إذا ارتكب خطأ ولو بسيط في حقه سبحانه وتعالى ، فتتمادى هذه الصغائر لتنتهي إلي فعل الكبائر ، ولكن إذا ما عرف الإنسان أن هناك مجالاً للتوبة والاستغفار ليظفر بالصفح والغفران من الله عز وجل ، أنتابه الأمل ، والشعور بالرضى نحو الخالق العظيم الغفور الرحيم .

فالتربية الإسلامية ، تقر بمبدأ العدل والمساواة والتوازن ، واحقاق الحق ورعاية الفرد والمجتمع . كما تحرص على تربية الفرد المسلم على وجوب ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتكوين الأمة المسلمة . والجهاد في سبيل حمايتها وحماية دستورها (لا إله إلا الله) ، بكل ما أوتيت من قوة . وهذا كثيراً ما يركز عليه الملك عبدالعزيز ..

وفي الخطاب الذي ألقاه في حج عام ١٣٥٥هـ في مأدبة الحجاج العرب نجده يشير إلى الواجبات الواجبة على من تولى أمر المسلمين ، والمتمثلة في اتباع ما جاء في الكتاب والسنة للاصلاح والتجديد بالنصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان يتحتم عليه أن يبدأ بنفسه ، وكيف لا وهو الذي يقول : (إذا صلح الراعي صلحت الرعية ، والراعي كالمطر ، أحيانا يكون خيراً على رعيته ، وأحياناً يكون بلاء ومضرة ، ولا يصلح الراعي إلا إذا اتبع كتاب الله وسنة رسوله) والقرآن الكريم قد وصف قادة الفكر الصالحين المصلحين الراشدين والموجهين إلى الخير والصلاح حيث قال تعالى : **﴿ وجعلنهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرت واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عبدين ﴾** (الانبياء ، آية ٧٣)

وفي جميع خطابات الملك عبدالعزيز نستطيع أن نقف عند حدود الدعوة الإصلاحية التي كان يستهدفها رحمه الله . والتي تتمثل في الدعوة إلى الله عز وجل والرجوع إلى العمل بما جاء في الكتاب والسنة ، ثم الجهاد في سبيل نصرة الدين الإسلامي واعلاء كلمة التوحيد فبذلك تكمل السعادة في الدارين الدنيا والآخرة . وبهذا الإيمان استطاع أن يوجه النفوس نحو ضرورة الأخذ بأسباب القوة للدفاع عن الدين والأرض والنفس وتمكن من تحريك الموارد البشرية المحيطة به ، سواء على الصعيد المحلي أو الدولي ، نحو الدين الإسلامي ، والعمل بمبادئه ومقتضاه . فاستطاع أن يوحد قلوبهم وصفوفهم ، ويوجهها نحو الرغبة في الاستقرار والتقدم والرقي ، فانتقل بمجتمعه من طور حضارى ، إلى طور حضارى أكثر تقدما ورقيا . فبحق نستطيع أن نقول عنه أنه أكثر من ملك ، وأكثر من مؤسس دولة ، وأكثر من بطل ، وأكثر من قائد موهوب وأكثر من سياسي نابغ ، وأكثر من مصلح ديني واجتماعي وأكثر من إمام وأكثر من موجه تربوى . وكيف لا يكون كذلك وهو الذي تمكن بفضل الله من تأسيس وتأمين دولة قوية مستمرة من بعده ، تسير على النهج الذي حرص على تطبيقه ، نهج القرآن الكريم والسنة النبوية ، والتمسك بهما ، وبما جاء فيهما من تعاليم ومباديء وأحكام وتشريع .

وفي خطاب ألقاه رحمه الله بمكة المكرمة في التاسع عشر من صفر لعام ١٣٥٦هـ يؤكد على رغبته في الاجتماع الدائم بأفراد شعبه ، والتحدث معهم . حيث قال :

« يسرني دائماً الاجتماع بكم ، والتحدث إليكم ، لما في الاجتماع من فوائد ، ولأن في الاجتماع أكبر المصالح . إلا إني لا أود التكليف على الناس وتعطيلهم عن أشغالهم لما في ذلك من الضرر » .

فالملك عبدالعزيز يدرك تماماً الفوائد التي تعود على الأمة والدولة من خلال الاجتماعات وتبادل الأراء بين الأفراد . ولكن كعادته يركز ويحدد هذه الأراء وتلك الاصلاحات بحدود الدين الإسلامي الذي هو أساس القوة وأساس التقدم والرقي.

ولذلك فهو يركز عليه ويلزم بضرورة التمسك به والالتزام بمبادئه في شعبه . وينصح ويرشد العرب والمسلمين عامة إليه ، ليتفقوا فيما بينهم ويلتفوا حوله ويقوموا بواجباته والجهاد في سبيل نشره ونصرته .

وفي حج عام ١٣٥٦هـ ألقى الملك عبدالعزيز خطابان ، كان الأول في المأدبة الملكية الأولى أشار فيه إلى أن الأفراد في شبه الجزيرة العربية جميعهم متساوون ، فلا فضل للشريف ولا للسيد ، ولا للحاكم على غيره من الأفراد ، بل كلهم سواء في أحكام الشريعة الإسلامية ، وفي سورة الفاتحة تتمثل ، الكلية الإعتقادية التي تقرر الاتجاه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة ، فلا عبادة إلا لله ، ولا استعانة إلا بالله ، لتعلن ميلاد التحرر البشرى الكامل والشامل ، ليتحرر الإنسان من عبادة غير الله ، ويتخلص من الاستذلال للنظم والاوضاع والاشخاص ، كما تقرر أن هناك حياة اخرى تستحق أن يجاهد لها ، ويضحي لنصرة الحق والخير في هذه الحياة ، ليظفر بالبديل الذي سيلقاه في يوم الدين الذي لا يملك الجزاء والحساب فيه إلا المالك سبحانه وتعالى .

يقول ابن كثير : (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) :

> « اشتملت صورة الفاتحة على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين ، وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبري من حولهم وقوتهم والى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى ، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل ، كما اشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها » ص ٣١

وتعميق هذه المعاني في نفوس الأفراد ، لا شك أنه سيؤدى إلى تحرير ضمائرهم البشرية من الإعاقات التى وضعتها الوساوس والأوهام ، والخرافة والمعتقدات الخاطئة ، لتخرجهم من عناء التخبط بين مختلف الأرباب ، إلى الاستقرار بالعبادة لله عز وجل الواحد القهار وبذلك تستقر الضمائر ، فتستقر الحياة .

أما الثاني فكان في المأدبة الملكية الثانية وكان درساً من دروس التربية الإسلامية ينبغي على كل مسلم أن يتعلمه ، ليهتدى به إلى سواء السبيل . ليربط بين طريق الدنيا والآخرة ، ويعلم أن الدين ليس عزلة عن الحياة ، وانما هو صميم الحياة . فكل عمل يعمله الإنسان في الدنيا يبتغي به رضى الله عز وجل لا شك أنه سيوصله إلى الآخرة .

فالوصول إلى الآخرة ، لن يكون إلا بالصلاح والإصلاح في الدنيا . والدين الإسلامي يدعو إلى بناء مجتمع منظم يربطه هدف جماعي وهو :

تحقيق المنهج الإلهي في الضمير والعمل :

يقول تعالى : ﴿ **الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عقبة الأمور** ﴾ . (الحج ، آية ٤١)

وبهذا المنهج يكون التمكين في الأرض وتكون الحضارة . والملك عبدالعزيز ، بدأ الخطاب بالتركيز على الفرائض التي يجب على الإنسان أن يتوجه بها بالعبادة نحو خالقه . وهي : الصلاة والزكاة والصوم والحج وذلك بعد النطق بالشهادتين ، كما يشير إلى الفوائد التي تعود عليه . وذلك ليقوي روح التآخي والمساواة بين المسلمين . بعد ذلك ينتقل بهم ليرشدهم إلى الطريق الذى يوصلهم للأمن والإطمئنان على النفس والمال حيث أشار إلى قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ فالاعتصام هو الحصن الحصين للإسلام ، والأخذ بأسباب القوة للدفاع عنه ، يكسب الفرد الحرية بالعبادة لله وحده دون شريك ، ويبعده عن التكاسل والإتكالية .

يقول القاضي : (١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م) :

« إحساس الإنسان بأن له رسالة سامية في الحياة تجعله يرتفع بشعوره وضميره ونشاطه وعمله ، بحيث لا يستخدم في الوصول

إلـــى أهدافـه إلا الوسـائل المشروعـة ، وهذا يجعله يسير في الحياة في طمـأنيـنة وأمن ، وبدون قلق ولا حـيرة ، لأنه يمشـي مـع قـدر الله وفي طاعة الله » ص ١٤٦

هـذا هـو الرقي الحقيقـي الذي استهدفه الملك عبدالعزيز في مجتمع المملكة العربية السعودية وتلك هـي الحضـارة التي أرسى قواعدها يرحمـه الله فـالجمـع بين الأخلاق والشريعـة في ظل عقيدة التوحيد ، يدفع بالحضـارة نحـو التقدم والرقي .

وفي بداية خطابه الذي ألقـاه في حج عـام ١٣٥٩هـ . نجـده يشـيـر إلى الحضـارة الأوروبية ، والمدنـية التي أقاموها هل انتفع بها الأوروبيين ؟ بل كان كل ما أعدوه ضد مدنيتهم وسبباً لخرابها وذلك يعود إلى بعدهم عن عرى الإسلام الصحيحة . ومن ذلك نأخذ العبر . فيقول رحمه الله :

« إن الأمر لله ، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، والأيام كلها عبر للمعتبر ، وعلى المسلمين أن يتفكروا في عبر الزمان ، وانظروا كيف أن أوروبا العظيمة بمدينتها التي أقامتها أصبح ما أعدوه كله ضد مدينتهم ولخرابها .
وهذا الموقف يسترعي الانتباه التام ، فإذا نظرنا للحال الواقع نرى أن دهاة أوروبا ورجال سياستها بقوتهم وعقولهم ، ما تمكنوا أن يدفعوا الشر عن أنفسـهم ، والشر لم يتول عنهم ، ذلك قضـاء الله وقـدره لم تنفع فيـه حيل السياسة ولا نفعت المدنية .
إن كـل إنسـان يجب ألا يقف هذا الموقف ، وأن يكون في نجـوة عن هذا النزاع ، لذلك يجب على المسلمين عامـة والعرب خاصة أن يتمسكوا بعرى الإسلام حتى لا تذهب ريحهم ، وأهم ما يجب عليهم القيام به هو معرفة الله ونصر الله ، قال تعالى : **﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾** » .

ولو تسـاءلنا لماذا نجح الإسـلام في إعطاء كل فرد في المجتمع حـقوقه . الإنسـانيـة الكاملة ؟ بينما فشلت المجتمعات كلها في القديم والحديث . نجد أن الجواب يكمن في اتباع الشريعة الإسلامية وتطبيق تعاليمها وفق منهجها ومبادئها وتشريعاتها . فبهذا المنهج أرسى الملك عبدالعزيز دعائم المجتمع وتمكن من إعادة البناء السليم للأمة الإسلامية .

وقد عاد في هذا الخطاب ليركز على ضرورة الاعتصام والاجتماع والتآخي والتآزر من أجل اعلاء كلمة التوحيد ، وفي الوقت نفسه يحذر من التفرق والتخاذل ، لأنه مازال يرى آثار ذلك بين أفراد شعبه .

وجاء خطاب عام ١٣٦٢هـ وفي اليوم العاشر من ذي الحجة ليؤكد على المباديء التي يدرك تماماً أهميتها الملك عبدالعزيز والذي سبق وأن أشار إليها ولكن يعود ويذكر بها لتكتمل بها الفائدة ويتحقق الهدف فجاء الخطاب ليؤكد أهمية ترسيخ أركان الاسلام في نفوس الأفراد حيث قال :

« من أكبر نعم الله على المسلمين أن جعل أركان الإسلام تلك الأركان الخمسة التي أولها كلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تلك الكلمة العظيمة الجليلة التي لأجلها كانت الجنة والنار والثواب والعقاب . وكلمة الشهادة هذه تنقسم إلى قسمين « لا إله » تنفي العبادات جميعها عن سوى الله ، « إلا الله » إثبات العبادة له سبحانه وتعالى ، وهي تشتمل على حكم ربانية باهرة ، وبعد الإقرار لله بالوحدانية لابد من الإقرار برسالة محمد ﷺ ، لأن من يقول « لا إله إلا الله » ولم يقل « محمد رسول الله » فقد كفر » .

إن (لا إله إلا الله) تنفي العبادة لغير الله ، وتتوجه بنا نحو الإله الذى ينبغي أن نتوجه إليه بالعبادة والشكر . وهذا الإقرار بالوحدانية لله عز وجل لابد وأن يقترن باقرار رسالة محمد ﷺ . هذا الاقتران لا يستوجب العبادة بل العبادة لا تكون إلا لله ، وانما يستوجب التصديق بكل ما جاء به ﷺ وبكل ما أمر به أو نهى عنه . والدعائم الأساسية التي يقوم عليها الدين الإسلامي هي الأركان الخمسة والمتمثلة في كلمة التوحيد ، ثم اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت الحرام .

فبهذه الدعائم يستمد المسلم القوة الحقيقية التي تحقق له الأمن والطمأنينة . بصلته الدائمة بالقوة الحقيقية ، قوة الخالق العظيم . إلى جانب ذلك تتحقق المساواة والعدالة والحب بين المسلمين .

يقول القاضي : (١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م) :

« التربية الإسلامية تربية متكاملة تحرص على الفرد ، وتحرص على المجتمع ، وتحرص على القيم المادية ، والقيم الروحية ، وتحرص على الأخلاق كما تحرص على سعادة الفرد وعلى سعادة المجتمع في إطار الإسلام ، وهي في النهاية تحرص على أن تخرج المسلم الفاهم الواعي المتطور الذي يستطيع أن يحقق رسالته التي أعده الله لها وهي عمارة الأرض ، واحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ونشر العدالة والأمن فيها . » ص ٢٥١

بهذه الروح الإنسانية وبهذه المبادىء الإسلامية استطاع الملك عبدالعزيز أن يوحد الكيان ويخرج الإنسان العربي المسلم الواعي لمعنى التطور والتقدم وكيفيته ، والقادر على تحمل المسؤولية تجاه رسالته التي كلفه الله عز وجل بها . ولكن هل وقف عند هذا فحسب ؟ بل ذهب يتطلع إلى أمر الوحدة العربية ، من أجل حماية العرب والمسلمين .

وفي الخطاب الذي ألقاه بمكة المكرمة في التاسع من ذي الحجة أيضا لعام ١٣٦٤هـ خصص الجانب الأكبر منه للحديث عن قضية فلسطين . فهو يرى أن السكوت عنها لا يوافق المصلحة العامة للمسلمين . لذلك حث على العمل الجاد لانقاذها . ووجه خطاباً صريحاً إلى كل من بريطانيا وأمريكا بعدم مساعدة اليهود على العرب ، وضرورة وقوفهما على الحياد إذا لم تكونا تريدان مناصرة الحق العربي .

فأعمال الملك عبدالعزيز في خدمة الإسلام والمسلمين كثيرة ، وسكوته عنها لحكمة يبتغي منها مرضاة الله عز وجل ، واعتقاده أن العمل الذى يكون بدون اشاعة وضوضاء ، يقرب من الوصول إلى الهدف الذى يرمي إليه ويكلل الوصول إليه بالنجاح . ولما وصل خبر الاعتداء اليهودي على المسلمين في فلسطين بإلقاء القنابل عليهم وهم في صلاة الجمعة ، استنكر الحادث وكتب إلى بريطانيا كتاباً أعرب فيه عن تأثره وشعبه بهذه الحادثة وطلب المحافظة على شعائر دين المسلمين ، ومعاقبة المجرمين لمنع تكرار مثل هذا .

وكان ذلك في ربيع الثاني من عام ١٣٤٨هـ . وفي عام ١٣٥٥هـ اشتدت الثورة الفلسطينية ، فأمر بإرسال المساعدات للمنكوبين من تلك الثورة ، وشجع أهالي مملكته على القيام بمثل هذه المساعدات ، وأرسل إلى ملوك العرب وامرائهم يقترح عليهم التعاون من أجل فلسطين .

وفي الخامس والعشرين من عام ١٣٥٦هـ ، أذن بتأليف لجنة للدفاع عن فلسطين ، فارتفعت أصوات الشعب العربي السعودي ، إلى مسامع العالم بشأن هذه القضية وتقديم المساعدات المادية ولم يقف هذا عند حد التبرعات المادية إنما تعداه إلى التطوع بالنفس في سبيل الجهاد والسفر إلى فلسطين . (الغلامي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦)

وكان هذا مردوداً طبيعياً ، فالملك عبدالعزيز قد غرس في نفوسهم تقوى الله وحبب إليهم الجهاد في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين .

وفي الخطاب الذي ألقاه الملك عبدالعزيز بمنى في موسم حج عام ١٣٦٥هـ نجده يعود ليذكر المسلمين بقضية فلسطين وواجب المسلمين نحوهم كما يذكر بضرورة التعاون والاتحاد من أجل نصرة الإسلام والمسلمين ولكن من خلال الخطاب نستطيع أن نقف عند مبدأ من المباديء التي انتهجها الملك عبدالعزيز في سياسته وهو **التربية بالقدوة** .

قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ . (الاحزاب ، آية ٢١)

ففي شخصيته ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي الخالد على مدار التاريخ فخلقه القرآن الكريم بحقائقه ، وتوجيهاته ، لذلك فهو أكبر قدوة للمسلمين ، وخير مربي لهم .

والجيل الأول في المجتمع الإسلامي ، والمتمثل في الخلفاء الراشدين ومن عاصر النبي ﷺ من الصحابة والتابعين ، يعد من خير الأجيال التي عرفتها البشرية على مدار الزمان وتاريخه الطويل .

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مثالاً في الشهامة والكرم والشجاعة ، وقدوة في الصدق والعدل الكامل بين الناس . وعلى نهجه سار الملك عبدالعزيز مقتدياً به وسائراً على نهج صفاته وأخلاقه ليكون هو بدوره قدوة لنا نحن أفراد شعبه وللمسلمين عامة في مشارق الأرض ومغاربها . ويوضح ذلك قوله :

« إنني رجل سلفي ، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة ، أما قدوتنا ـ إن شاء الله ـ فهو عمر بن عبدالخطاب في الخلفاء الراشدين ، ذلك الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى أرامل المسلمين ، وفي الأمويين عمر بن عبدالعزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل ، وانني أود أن نفنى ـ أنا وأولادي ـ في سبيل الله ، والمسلم لا يبيت في فراشه إلا على نية الجهاد ، وكذلك من لا يود أن يموت مجاهداً في سبيل الله لا يكون صحيح العقيدة » .

وفي عام ١٣٦٨هـ أنشأت حكومة الملك عبدالعزيز محطة الإذاعة الكبرى في المملكة العربية السعودية ليتسع مجال الدعوة إلى التضامن والوحدة الإسلامية ليشمل آلاف المنازل في مختلف البلدان .

ومن خلال الخطابات السابقة نستطيع أن نقول بأن الملك عبدالعزيز أحد الفلاسفة والمفكرين المسلمين ، بل وأبرزهم في مجال الحضارة الإسلامية فقد استطاع أن ينهض بدولته وشعبه نحو التقدم والرقي الحضاري ، وفق منهجاً تربوياً إسلامياً أساسه :

أولاً : ترسيخ العقيدة الإسلامية ، في نفوس أفراد شعبه من خلال النصح ، والارشاد والتوجيه ، والتوعية ، والتذكير ، والتآلف والتآخي والمساواة ، والتعاون باسلوب الموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثانياً : توفير الأمن والأمان ، والاستيطان ، بتطبيق الحدود الشرعية واقامة الحكمة والعدل بين أفراد المجتمع .

ثالثاً : إعطاء الفرد الفرصة للتعبير عن رأيه وذلك مبدأ التشاور والاجتهاد في الرأي بين أفراد الشعب .

رابعاً : تنمية الجانب الروحي العقائدي في نفوس شعبه بالتذكير الدائم بفضائل الإسلام والفروض التي فرضها الله عز وجل على الإنسان .

خامساً : تنمية العلاقات بين الأفراد وغرس روح الجماعة في نفوسهم .

سادساً : إلزامية التعليم والتطبيق بالعمل ، وازالة الأمية التي تعيق فهم العقائد الإسلامية .

فالمبادىء التي طبقها الملك عبدالعزيز ، هي بمثابة القواعد الراسخة التي تقوم عليها التربية الإسلامية . فمن حق التربية الإسلامية أن تفخر به كقدوة حسنة لها في مجال التطبيق والعمل ، فالقدوة الحسنة هي الطريق الأمثل لتثبيت المبادىء الإسلامية في نفوس الناشئين ، وتنمية الإعجاب بمآثر الملك عبدالعزيز في نفوس الناشئة والاشادة بجهوده المبذولة في خدمة الإسلام والمسلمين ، وإسهاماته الضخمة في بناء الحضارة الإسلامية ، تنمي فيهم الأصالة والافتخار به كقائد للمسلمين .

فان كان قد سبق للتاريخ أن يشهد بمن هم في شجاعة وحنكة عبدالعزيز ، إلا أنه لم يشهد بعد اشادة مجد كالمجد الذي شيده عبدالعزيز .

فاللهم اغفر له وارحمه واجعل عمله هذا في ميزان حسناته واجعل قادتنا من أبنائه خير خلف لخير سلف ، ليواصلوا مسيرة المجد الذى رسخ قواعده قدوتهم الأمثل عبدالعزيز آل سعود .

الخاتمة

إن المجتمع الإسلامي رست قواعده على العديد من المبادئ الإسلامية ، التي جاءت بها النصوص الدينية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وجعلت العمل بمقتضاها ديناً يثاب المرء عليه ويحاسب على تركه ، فكان مجتمع الأمة الإسلامية كما وصفها المولى عز وجل في كتابه العزيز حيث قال : **﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾** . (آل عمران ، آية ١١٠)

والتربية الإسلامية تركز على أهمية بناء شخصية الإنسان الإسلامية بكل ما تتضمنه من معانٍ واستعدادات وتصورات ومسؤوليات ، حتى يكون إنساناً خيراً يستخدم علمه وحياته في الخير ويتعلم من أجل الخير وبناء أمة الخير . (يالجين ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ص ٩٤ ـ ٩٨)

ولو تتبعنا تاريخ الحكم الإسلامي في الجزيرة العربية نجده وقد رتب زمنياً على النحو الآتي :

- عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون .
- عهد الخلافة الأموية .
- عهد الخلافة العباسية .
- عهد الدولة العثمانية .
- الحكومات والدول التي حكمت بالإسلام ، وانبثت في التاريخ الإسلامي على إمتداده الطويل وكان منها دولة الإمام محمد بن سعود ، وبعد ذلك أصبح الملك وقوة الحكم بعد الله لآل سعود . (التركي ، ١٩٨٥م ، ص ١٩)

وقد أقام دولة الإسلام الكبرى « المملكة العربية السعودية » المغفور له إن شاء الله عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود . بعد أن تولى جزيرة العرب وهي تعيش في ظلام حالك ، فأخرجها من الظلمات إلى النور وجمع بها شمل العروبة

كلها ، وبسط راية التوحيد التي لخصها في وحدة الكلمة ، ووحدة الدين ، ووحدة الجهود ، ووحدة السياسة ، ووحدة النظم والتعاون الكامل الشامل على النهوض بالعالم الإسلامي ، فبدأت النهضة العمرانية وأخذت الحياة تنتقل إلى مراقي التقدم بأقدام ثابته . (الزامل ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ٧٠ ـ ٧٨)

ورغم كل ذلك إلا أن المؤرخون قد أجمعوا على حصر شجاعة الملك عبدالعزيز في فتح الرياض ، التي من خلالها تمكن من جمع أجزاء المملكة العربية السعودية تحت سيطرة الإسلام وقادته . ولعل ذلك يعود لحكمة لم يدرك أبعادها سوى عبدالعزيز ، فلماذا الرياض .

إضافة إلى أن الرياض هي موطن الآباء المسلوب ، إلا أنه كان بامكان الملك عبدالعزيز أن يبدأ بغيرها ، ولكن إرادة المولى عز وجل وقدرته شاءت أن يكون التوحيد فكان على يد الملك عبدالعزيز آل سعود ، الذي أدرك مدى أهمية البدء بالرياض ومنها إلى انحاء المملكة العربية السعودية وذلك يعود إلى كون الرياض هي موطن الآباء والأجداد المسلوب ، كانت تبعد في تلك الاثناء عن مركز قوة ابن الرشيد الذى كان يسكن حائل شمال نجد ، اضافة إلى كون الرياض كان فيها وفي بلاد الجنوب من الأنصار والمخلصين لآل سعود . (درويش ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ، ص ٧٩)

أم من حيث الموقع فالرياض تقع في موقع متوسط بالنسبة إلى سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية ، مما أدى إلى تمتعها بعنصر الحماية اللازمة لها في بداية نموها وتكوينها « وقد تمثل هذا العنصر في احاطة الصحارى لمنطقة الرياض . فوجود الربع الخالي في جنوبها حماها من الدويلات الساحلية التي كانت توجد في جنوب شبه الجزيرة العربية أما صحراء الدهناء ، فقد وقفت كحاجز بين الدولة السعودية ، وبين محاولات السيطرة العثمانية عليها انطلاقاً من شرق شبه الجزيرة العربية . أما من ناحية الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية فقد وقفت سلسلة جبال السروات كعنصر حماية للدولة الوليدة من دويلات الساحل الغربي » . (مشخص ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، ص ٤٠)

من الرياض كان الانطلاق نحو الإصلاح والتجديد وجمع كلمة العرب والمسلمين تحت راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فكان الجهاد ، والنصح والارشاد بالكلمة الحسنة والموعظة ، والتوجيه الرشيد باسلوب الحكمة والاقناع ، التي بها سيطر الملك عبدالعزيز آل سعود على أرض شبه الجزيرة العربية ومن ثم توحيد أجزاء أكبر وحدة سياسية بها (المملكة العربية السعودية) كما سيطر علي أفئدة الرجال . وقد جاء البحث عن المباديء التربوية الإسلامية التي غرسها الملك عبدالعزيز في نفوس أفراد شعبه ، واستطاع أن يرسخ قواعد مملكته من خلال خطبه ليؤكد أن عبدالعزيز آل سعود لم يكن ذلك القائد المحارب الشجاع ، أو الصقر الذى حقق المعجزة فحسب بل هو في نظر التربية الإسلامية هو أحد المجددين والفلاسفة من أصحاب الفكر والتربية . فقد تحلت شخصيته بالحكمة فكان مجاهداً ، وإماماً ، وعالماً حكيماً . فامتازت روحه بالسكينة والإطمئنان مستيقناً وواثقاً بالله ، فكان من أبرز المجددين في الإسلام . جاهد وكافح في سبيل نصر الدين والأمة ، فأصبحت المفاهيم الإسلامية العظيمة ، طبعاً راسخاً في قلوب وعقول أفراد أمته . سعى لنصر الدين الإسلامي ، وإقامة الحدود الشرعية ، وسلح هذه العقيدة بسلاح العلم والتقدم ، فكان الإصلاح والتجديد ، والمدنية الصالحة التى لا تتعارض مع الدين . ونهضة علمية مرموقة صحيحة ، بنى قواعدها الملك عبدالعزيز آل سعود على أساس مكين ، وهي لا تزال سائره في نفس الطريق القويم ، طريق التوسع والإنتشار المعرفي ، فالنهضة التعليمية التي حققتها بلادنا ، قد سارت بخطى سريعة ومتزنه ، فحققت الغايات العلمية المرجوة .

وأخيراً : فأنا لا أزعم الإلمام بكل ما وصف به هذا القائد المفكر ، من صفات وجوانب نبوغ وعبقرية . وإنما ما جاء فهو في حدود إطلاع الباحثة وفهمها وإستيعابها لما قد كتب عنه تغمده الله برحمته وغفرانه ، لعله يكون بمثابة النواة الأولى في هذا الجانب ، فسيرة الملك عبدالعزيز حافلة بالمواعظ والعبر ، وكيف

لا ونحن مازلنا نعيش في رغد جهاده وجهده ، الذى وحد به هذا الكيان العظيم المملكة العربية السعوية .

لنتفاخـر بين الشعوب ليس بالعروبة فحسب بل بالإسلام أولاً ، وبقوة القادة ثانياً ، والوطن وبالأمن والإستقرار والرخـاء الذي نعيش فيه ، فنعم الله عز وجل على هذه الأمة لا تحصى ، ومن أكبر نعمه عليها نعمة الأمن الذي تكفل به سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿ **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعكفين والركع السجود** ﴾ . (البقرة ، آية ١٢٥)

ولكن كيف يستمر الأمن ؟ إن استمرار ذلك يتطلب الايمان بالله عز وجل ، والجهاد في سبيل نصرة دينه ، فلنتخذ من الجهاد الأكبر طريقاً نخوض به في نفوس الأفراد ، ولنستهدف الأفئدة والعقول ، لنرقى بها نحو التقدم والحضارة الحقيقية التي ينبغي على الامة الإسلامية تشييدها باعتبار أنها خير أمة أخرجت للناس .

ولنكن أفضـل أهل الإيمان إيماناً . فقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : (كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال رسول الله ﷺ : أتدرون أي أهل الإيمان أفضل إيماناً ؟ قالوا : يا رسول الله الملائكة ، قال : هم كذلك ، ويحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها بل غيرهم ، قالوا : يا رسول الله فالانبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرسالة ، قال هم كذلك ويحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها بل غيرهم ، قال : قلنا فمن هم يا رسول الله ؟ قال : أقوام يأتون من بعدي في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً) . (النيسابورى ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، ص ٨٦ ، جـ٤)

نتائج تربوية للبحث

يحتاج العالم الإسلامي اليوم الى تكافل وتعاون وترابط واعتصام ، لكي يتمكن من الدفاع عن الدين ، والوقوف ضد التيارات الغازية سواء الحربية أو الفكرية .

واستنباط المبادىء التربوية من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود ، يوصلنا إلى النتائج التربوية التي هي بمثابة القواعد التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي الصحيح . ومن هذه النتائج ما يلي :

١ ـ تنظيم عقيدة التوحيد لحياة الإنسان النفسية ، فالمؤمن يعمل من جهة بجد وأمل وتفاؤل في هذه الحياة بإعتبار أنها مزرعة للآخرة . ومن جهة أخرى يبقى حذراً من الموت لا يفتر ولا يغفل عن ترقب المفاجآت والمصائب منتظراً لقاء ربه ، فهو جريء لا يهاب أحداً إلا الله .

٢ ـ الابتعاد عن التطرف وتجنب الغرور بأى صفة من الصفات الإنسانية ، وتذكر قدرة الله عند سيطرة شعور البطش أو الظلم على النفس الإنسانية . في لحظة من لحظات ضعفها .

٣ ـ التسلح بالإيمان الصادق المفعم بالطمأنينة والرجاء .

٤ ـ تجنب اليأس والإبتعاد عن الرغبة في الهروب من الحياة ، واستشعار خوف الله لحظة التقصير ، ورجاء رحمته عند الخطأ .

٥ ـ تحقيق التكامل في مستوى الأمة العربية الإسلامية ، وتثبيت دعائم الوحدة الإسلامية في الجزيرة العربية .

٦ ـ الاستفادة من التربية الإسلامية في تربية الروح ، ثم في بقية جوانب التربية مثل : الجانب الاجتماعي ، والذهني ، والمعرفي ، والبدني ... ومن هذا المبدأ تنبثق فلسفة الملك عبدالعزيز التربوية .

٧ ـ الأخذ بالمبادىء الرئيسية في التربية الإسلامية وتطبيقها بصورة تتفق مع الواقع الإسلامي للأمة الإسلامية من ناحية ، ومع الحضارة والمدنية من ناحية أخرى .

٨ ـ إيجاد القدوة الصالحة للجيل العربي الصاعد ولكل مسلم يتوق إلى ممارسة حقه الكامل في السيادة والاستقلال وحياة العزة والمجد ، والقوة والكرامة . ويسعى وراء الطموح والصمود للمكاره والصعاب والاعتماد على النفس .

٩ ـ الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي ، فهو زاخر بالتوجيهات الحية التي تميز بين الحق والباطل ، وحافل بأسباب التقدم والازدهار ، التي من شأنها النهوض بالمسلمين إذا أحسنوا التعامل معها فضلاً عن أنها تعيد لهم مجدهم الغابر وحضارتهم التليدة .

١٠ـ تقصي المنجز الحضاري الإسلامي ، والاستفادة منه في مساعدة أبناء الأمة الإسلامية على استعادة الثقة بأنفسهم ، والتصدي لمواجهة خطط التجهيل العلمي الناتجة عن تبعية المؤسسات العلمية الإسلامية للمؤثرات والثقافات الأجنبية لأن الكثير من أبناء الإسلام في حاجة ماسة لإدراك ذلك .

١١ـ إدراك قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الخلق انطلاقاً من الإيمان به والوعي الكامل بقدرته وامتثال تعاليم الدين من : أمر ونهي ووجوب ، الأمر الذي يوصلنا إلى المحصلة النهائية وهي : تحقيق واجبات الاستخلاف مع السعي إلى التطور والنماء .

١٢ـ الاقتداء بنهج باني هذا المجد وموحد هذه الأمة والذي ينبثق عن عقيدة إسلامية راسخة ، واتباعه في سبيل مواصلة مسيرة المجد ، والابتعاد عن التيارات الغازية .

١٣ـ التضحية بالمصالح الخاصة من أجل مصالح الأمة ، والعمل في سبيل رفعة الدين ، وتحقيق المبادىء الدينية ليسود بها الحق والخير العام .

١٤ـ البعد عن حياة الكسل والاتكالية والترف واللامبالاة ، والتطبع بطابع الجد والعزيمة لمواصلة مسيرة المجد بإيمان وقوة ، والمحافظة على الدين والمقدسات والدفاع عن المليك والوطن ، والتصدي للفتن بالكلمة والموقف والتوعية حتى لا ينال أحد من تماسكنا ووحدتنا .

١٥ـ الاستفادة من التأريخ ودراسته لإستنباط الحكمة والعظة منه ، لا مجرد الوقوف عند المآثر والأحداث وتحديد الزمان والمكان .

١٦ـ إحياء سيرة ولاة أمور المسلمين ، وتجديد ذكرتهم ، والوقوف عند مبادئهم واخلاقياتهم التي اتصفت بها شخصياتهم ، فربما جهل الكثير من الناشئة اليوم تأريخهم مع قرب عهدهم بهم .

١٧ـ سمو المباديء والتوجيهات التربوية ، لا يغني أصحابها بشيء ، ان لم تجد من يأخذها ويعمل بمقتضاها .

١٨ـ قيام المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز لم يكن ليتحقق لولا تطبيقه للمباديء الإسلامية كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وسيرة السلف الصالح ، من الخلفاء الراشدين ، والائمة المسلمين .

١٩ـ الإعتماد على العقيدة الإسلامية في كافة شؤون الحياة ، مع الثقة في الله عز وجل ثم في النفس والعقل والقدرات الإنسانية .

٢٠ـ تكامل الشخصية الناضجة ، القادرة على الإنتاج المعقول في حدود الإستعدادات والقدرات الإنسانية ، والتي تستطيع أن تعقد مع الناس صلات إجتماعية راضية ، وتتحمل صعوبات الحياة مع الشعور بالرضا وضبط النفس وعدم التناقض في التصرفات ، هدف تهدف إلى تحقيقه التربية الإسلامية .

٢١ـ ارتباط قواعد استنباط المباديء التربوية من سيرة الأسلاف والإستدلال عليها من مصادرها الأساسية يعمق في الناشئة حب الإقتداء بهم والسير على نهجهم .

أما عن التوصيات التي توصي بها الباحثة فهي تتمثل في الآتي :

التوصيـــات

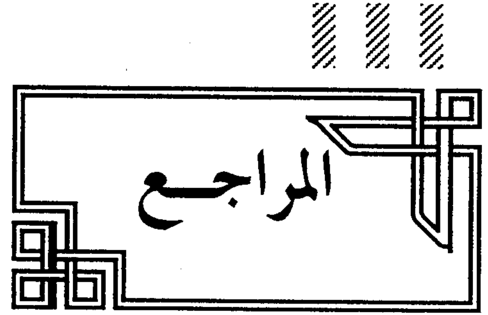
١ ـ طرح جوانب التربية الإسلامية ومباحثها في قلب الواقع المعاش ، الذي شهد انهياراً للمبادئ وسط الفوضى العقلية التي لم تعرف بعد ضرورة الإلتزام بتقديم بديل ايجابي عما تم إنهياره . فالمنتظر من التربية الإسلامية أن تقدم منظومة المبادئ التي لابد منها لمسيرة العمل الإنساني .

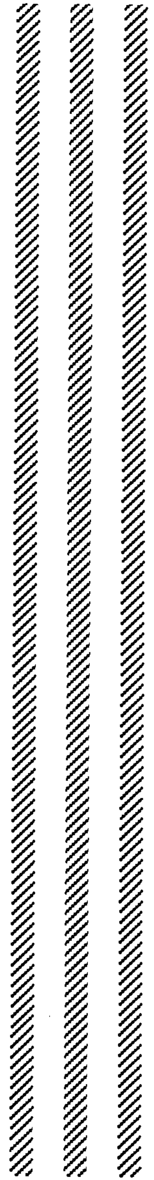
٢ ـ تعاون الجهات المختصة بالتربية والتعليم للنظر في المناهج الدراسية ، لتحويل الأفكار والمبادئ الإسلامية التي تحلت بها الشخصيات القيادية في المملكة العربية السعودية ، إلى فعاليات سلوكية صحيحة ، وتوظيفها لخدمة الإسلام والأمة الإسلامية والنهوض بها . وتهيئة كافة الوسائل التي من شأنها تحقيق هذا الهدف .

٣ ـ تطبيق الأساليب التربوية الإسلامية في العملية التعليمية ، تطبيقاً سليماً ، نصل من خلاله إلى نتائج وأهداف نسعى إلى تحقيقها من خلال هذا التطبيق .

٤ ـ سيرة الملك عبدالعزيز مليئة بالمبادئ والقيم الأخلاقية في مختلف جوانب شخصيته ، جدير بنا أن نقف عندها لتحليلها ودراستها ومن ثم الإقتداء بها .

٥ ـ مقارنة حال الأمة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية عند ظهور الرسول ﷺ، بحالها عند تولي الملك عبدالعزيز آل سعود الحكم فيها ، لنقف عند الصورة الحقيقية ، التي نستطيع أن نبني بها مجتمع الأمة العربية وذلك من خلال : (العقيدة ، الجهاد ، التآخي ، والمساواة ، التكافل الإجتماعي ، تطبيق العدل الرباني في واقع الأرض ، الإهتمام بالتربية والتعليم ، الحرص على حماية الدين الإسلامي ، السياسة المنظمة في الحكم والقيادة ، الإلتزام بالأخلاق الإجتماعية) وغيرها من مبادئ .





قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصــادر :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السجستاني . أبوداود سليمان الأشعث ، سنن أبي داود ، دار الحديث ، بيروت : لبنان ـ ط١ ـ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

٣ ـ سورة . أبي عيسى محمد بن عيسى بن ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، دار الحديث ، القاهرة : (د. ت) .

٤ ـ عبدالباقي . محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، بريل : لندن ـ ١٩٣٦م .

٥ ـ عبدالباقي . محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث، القاهرة ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٦ ـ العسقلاني ، أحمد بن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية ، القاهرة ـ (د. ت) .

٧ ـ القرشي ، اسماعيل بن كثير ، تفسير بن كثير ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ، بيروت : لبنان ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٨ ـ النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : لبنان ـ ط٣ ـ (د. ت) .

٩ ـ النيسابوري ، محمد بن عبدالله ، المستدرك على الصحيحين في الحديث ، دار الفكر ، بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

ثانياً : المراجــع :

١٠ـ آل سعود ، موضي بنت منصور ، الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م . (رسالة ماجستير) .

١١ـ آل سعود ، موضي بنت منصور ، الهجر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م . (رسالة دكتوراه) .

١٢ـ أمين ، أحمد ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ـ ط٤ ـ ١٩٧٩م .

١٣ـ باشا ، ابراهيم رفعت ، مرءاة الحرمين ، (د . ن) ، (د . ت) .

١٤ـ البديوي ، محمد منير أحمد ، المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود ، ط١ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

١٥ـ البوطي ، محمد سيد رمضان ، فقه السيرة النبوية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت : لبنان ـ ط١٠ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

١٦ـ التركي ، عبدالله بن عبدالمحسن ، الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

١٧ـ التويجري ، عبدالعزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، الرياض : المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ـ ١٩٩٧م .

١٨ـ جابر ، جابر عبدالحميد ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٧٨م .

١٩ـ جودة ، جودة حسنين ، شبه الجزيرة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ـ ١٩٨٨م .

٢٠ـ الحقيل ، حمد ابراهيم ، عبدالعزيز في التأريخ ، مكتبة الرياض الحديثة ، بيروت : لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٢١ـ الحلواني ، فتحية عمر ، دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام ، جدة : المملكة العربية السعودية ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢٢ـ خياط ، محمد جميل بن علي ، المباديء والقيم في التربية الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٢٣ـ درويش ، مديحة أحمد ، تاريخ الدولة السعودية ، دار الشروق ، جده ـ طـ٥ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٢٤ـ أبوراس ، عبدالله سعيد ، الملك عبدالعزيز والتعليم ، (د. ن) طـ١ ـ ١٤٠٧هـ .

٢٥ـ الرشدان ، عبدالله ، علم الإجتماع التربوي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ـ طـ١ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٢٦ـ الرفاعي ، عبدالعزيز ، بناء المملكة العربية السعودية في التاريخ الحديث والمعاصر ، المكتبة العالمية ، القاهرة ـ ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

٢٧ـ الريحاني ، امين ، تاريخ نجد وملحقاتها ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ـ طـ٣ ـ ١٩٦٤م .

٢٨ـ الزامل ، عبدالله العلي المنصور، اصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت : لبنان ـ طـ١ ـ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

٢٩ـ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيزوت : لبنان ، طـ٦ ـ ١٩٨٤م .

٣٠ـ الزركلي ، خير الدين ، الوجير في سيرة الملك عبدالعزيز ، دار العلم للملايين، بيروت : لبنان ـ طـ٤ ـ ١٩٨٤م .

٣١ـ الزركلي ، خير الدين ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز ، دار العلم للملايين ، بيروت : لبنان ـ طـ٥ ، ١٩٩٢م .

٣٢ـ سعيد ، أمين ، تاريخ الدولة السعودية ، الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٣٣ـ السلمان ، محمد بن عبدالله ، توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والإجتماعي ، طـ١ ، دار العلم ، بجده ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٣٤ـ السلوم ، لطيفة بنت عبدالعزيز ، التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م . (رسالة ماجستير) .

٣٥ـ شاكر ، فؤاد ، الملك عبدالعزيز سيرة لا تاريخ ، طـ١ ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

٣٦ـ شامي ، يحيي ، أروع ما قيل في الخطابة ، دار الفكر العربي ، بيروت ـ طـ١ ، ١٩٩٣م .

٣٧ـ الشرقاوي ، حسن ، نحو تربية اسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ـ ١٩٨٣م .

٣٨ الشمّري ، هزاع ، المعجم الجغرافي لدول العالم ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٣٩ـ الصعيدي ، عبدالمتعال ، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ، مكتبة الآداب ومطبوعاتها ، القاهرة ـ (د. ت) .

٤٠ـ العامر ، بخيت خالد ، من اساليب الرسول ﷺ في التربية ، البشرى الإسلامية ، الكويت ـ دار المجتمع ، السعودية ـ طـ١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٤١ـ عبدالرحيم ، طلعت حسن ، الأسس النفسية للنمو الإنساني ، دار القلم ، الكويت ـ طـ٣ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٤٢ـ عبده ، ابراهيم ، انسان الجزيرة ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية ، ١٩٥٤م .

٤٣ـ عسه ، احمد ، معجزة فوق الرمال ، المطابع الأهلية اللبنانية ـ طـ٣ ـ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

٤٤ـ عطار ، أحمد عبدالغفور ، صقر الجزيرة ، مطبعة الحرية ، بيروت ، طـ٣ ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

٤٥ـ عكيلة ، محمد وآخرون ، مدخل الى مبادىء التربية ، دار القلم ، الكويت ، طـ١ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٤٦ـ عليه ، عبدالفتاح حسن ، الإصلاح الإجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

٤٧ـ أبوالعينين ، علي خليل مصطفى ، أهداف التربية الإسلامية ، مكتبة ابراهيم حلبي ، المدينة المنورة ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .

٤٨ـ أبوالعينين ، علي خليل مصطفى ، القيم الإسلامية والتربية ، مكتبة ابراهيم حلبي ، المدينة المنورة ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٤٩ـ أبوالعينين ، علي خليل مصطفى ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، مكتبة ابراهيم حلبي ، المدينة المنورة ـ ط٣ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٥٠ـ الغلامي ، عبدالمنعم ، الملك الراشد ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية : الرياض ـ ط٢ ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٥١ـ الفرج ، عبدالرحمن بن مبارك ، بناء المجتمع الإسلامي ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية : الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٥٢ـ فودة ، حلمي محمد ، المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق ، جدة ـ ط١ ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

٥٣ـ القابسي ، محيي الدين ، المصحف والسيف ، دار الناصر للنشر والتوزيع ، ط٣ ـ (د.ت) .

٥٤ـ القاضي ، علي ، أضواء على التربية في الإسلام ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط١ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م .

٥٥ـ القزاز ، محمد بن سعيد ، المباديء العامة للتربية ، مكتبة ابها الحديثة ، المملكة العربية السعودية : ابها ـ ط٢ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٥٦ـ قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ـ ط١١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٥٧ـ قطب ، محمد ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، ط٥ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٥٨ـ قطب ، محمد ، واقعنا المعاصر ، المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية : جدة ـ ط٢ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .

٥٩ـ قطب ، محمد ، رؤية اسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن للنشر ، الرياض ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٦٠ـ الكيلاني ، ماجد عرسان ، اهداف التربية الإسلامية ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ـ ط٢ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٦١ـ الكيلاني ، ماجد عرسان ، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ـ ط١ ، ١٤١٢هـ .

٦٢ـ الكيلاني ، ماجد عرسان ، اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية ، سلسلة بحوث التعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٦٣ـ لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ط٢ ـ ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م . نقله إلى العربية عادل زعيتر .

٦٤ـ المارك ، فهد ، من شيم الملك عبدالعزيز ، ط١ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٦٥ـ المانع ، محمد ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٦٦ـ المسند ، عائشة علي ، المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين ، كلية التربية ، للبنات بجده، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م . (رسالة ماجستير) .

٦٧ـ مشخص ، محمد عبدالحميد ، الجغرافيا البشرية المعاصرة للملكة العربية السعودية ، مكتبة دار زهران ، جدة ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٦٨ـ الميداني ، عبدالرحمن حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية واسسها ، دار القلم، دمشق : بيروت ـ طبعة ثانية منقحة ومزيدة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٦٩ـ ناصر ، ابراهيم ، مقدمة في التربية ، عمان : الاردن ـ (د.ت) .

٧٠ـ النحلاوي ، عبدالرحمن ، اصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ـ طـ١ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٧١ـ النحلاوي ، عبدالرحمن ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ـ مكتبة اسامة ، الرياض ـ طـ١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٧٢ـ الندوي ، ابوالحسن ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت : لبنان ـ طـ٨ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٧٣ـ الندوي ، ابوالحسن ، السيرة النبوية ، دار الشروق ، جده ـ طـ٦ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .

٧٤ـ يالجن ، مقداد ، أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية : الرياض ـ طـ٢ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٧٥ـ يالجن ، مقداد ، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، الرياض ـ طـ٢ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

الملاحــق

نصوص خطب الملك عبدالعزيز آل سعود
ـ رحمه الله ـ
التي قام الشيخ محيي الدين القابسي
بجمعها في كتاب المصحف والسيف

الخطبة الأولى : (١٣٤٧هـ) *

« **يسمـوننا** « بالوهابيين » ، ويسمون مذهبنا « الوهابى » باعتبار أنه مذهب خاص وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التى كان يبثها أهل الأغراض نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح .

نحن نحترم الآئمة الأربعة ولافرق عندنا بين مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة كلهم محترمون فى نظرنا .

هذه هى العقيدة التى قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هى عقيدتنا ، وهى عقيدة مبنية على توحيد الله عزوجل خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة فعقيدة التوحيد هذه هى التى ندعو إليها ، وهى التى تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب .

أما « التجديد » الذى يحاول البعض إغراء الناس به بدعوى أنه ينجينا من آلامنا فهو لايوصل إلى غاية ولايدنينا من السعادة الاخروية .

إن المسلمين فى خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله ، وماهم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة .

إننا لا نبغى « التجديد » الذى يفقدنا ديننا وعقيدتنا إننا نبغى مرضاة الله عز وجل ، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه ، وهو ناصره . فالمسلون لايعوزهم التجديد وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، فانغمسوا فى حمأة الشرور والاثام فخذلهم الله جّل شأنه ، ووصلوا إلى ماهم عليه من ذل وهوان ، ولوكانوا مستمسكين بكتاب الله وسنة رسوله لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام ولما أضاعوا عزهم وفخارهم .

لقد كنت لاشيء وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة يحدها شمالاً العراق وبر الشام ، جنوباً اليمن ، وغرباً البحر الأحمر ، وشرقاً الخليج لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندى من الأعتاد سوى قوة الإيمان ، وقوة التوحيد ، ومن « التجدد » غير التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، فنصرنى الله نصراً عزيزاً .

لقد خرجت وأنا لا أملك شيئاً من حطام الدنيا ومن القوة البشرية ، وقد تألب الأعداء علّي ، ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائى وفتحت كل هذه البلاد .

أن المسلمين متفرقون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله ومن خطأ الرأى الذهاب إلى الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب .. إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب ، يأتى أجنبي إلى بلد

---

* ألقاها في الحفل الذى أقيم في القصر الملكي بمكة المكرمة .

ما ، فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين ، فيعمل عمله بمفرده ، فهل يعقل أن فرداً فى مقدوره أن يوثر على ملايين من الناس إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه ويمدونه بآراهم وأعمالهم ؟

كلا ثم كلا فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا أجل أن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم ..

إذن فاللوم واقع على المسلمين وحدهم لا على الأجانب . (أن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول ، وكذلك المسلمون ، لو كانوا متحدين متفقين لما كان فى مقدور أحد خرق صفوفهم وتمزيق كلمتهم فى بلاد العرب والإسلام أناس يساعدون الأجنبى على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام وضربها فى الصميم ، وإلحاق الأذى بنا ولكن لن يتم لهم ذلك إن شاء الله وفينا عرق ينبض)

أجــل ..

إن المسلمين هم مصدر البلاء الذى أصابهم ، وأكثرذلك يتأتى عن طريق أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة ومنافعهم الذاتية فيدوسون فى سبيلها كل شيء يعترضهم فى الطريق .. إن هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة وينامون علي الوثير من الفراش لا يفكرون إلا فى أنفسهم ولم يحسبوا للهّ حساباً ..

« إن المسلمين بخير إذا اتفقوا ، وعملوا بكتاب الله رسوله .. ليتقدم المسلمون للعمل بذلك فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه وبما جاء فيهما والدعوة إلى التوحيد الخالص فإننى ـ حينذاك ـ أتقدم إليهم فأسير وإياهم جنباً إلى جنب في كل عمل يعملونه وفي كل حركة يقومون بها .. والله إنني لا أحب الملك وأبهته ، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد .. ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم .. أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي والله على ما أقول شهيد وهو خير الشاهدين .. »

الخطبة الثانية : (١٣٤٨هـ) *

« **نحن** نسافر اليوم إلى نجد ، لمشاهدة الأهل والبلاد ، لأن حب الوطن من الإيمان ، وإننا نأسف لأننا نترك مؤقتاً هذا البيت المبارك وأهله .

على أننا سائرون في سبيل مصلحة المسلمين ، نسير إليها أينما اقتضت الحاجة ، وقد قضت اليوم بأن نسير إلى نجد لنباشر الأعمال بأنفسنا وانا لنرجو الله أن يوفقنا لما فيه الخير والفلاح .

---

* القاها بمكة المكرمة بمناسبة سفره الى المنطقة الوسطى .

العرب اليوم هم كالطفل الصغير ، يحتاجون إلى عناية شديدة ، فمن الواجب على الذي تولى أمرهم أن ينصحهم ويرشدهم إلى طريق الصواب ، وقد عملنا الواجب في هذا الصدد ولكن إذا تمادى البعض في غيهم وظهر أن المصلحة العامة مهددة ، اضطر ولي الأمر للضرب على الأيدي وسفك الدماء .. فهو في عمله هذا كمثل الطبيب الذي يستعمل أنواع الأدوية التي يحتاج إليها المريض ويضطر في بعض الأحيان إلى بتر عضو من الأعضاء حفظاً لسلامة المجموع ، وقد قالت العرب في أمثالها بهذا الصدد : « آخر الدواء الكي » و « القتل أنفى للقتل » وقال تعالى : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ ..

يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني وكل أذى يمسها يؤذيني ، وكذلك الشعب يتألم إذا أصابني شيء ، ولكن المصلحة العامة تضطرني بأن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد ، وبأن أتجرّع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع ، إنني أتألم جد الألم إذا رأيت بعض الأشخاص يشذون عن الطريق السوي فيصغون لوساوس الشيطان ، ومما لا شك فيه أن المصلحة العامة هي فوق كل مصلحة ، ولذلك فإن مصلحة المسلمين ترخص الأنفس في بعض الأوقات ، فالله أسأل أن يهدي المسلمين إلى سواء السبيل وأن يجعل كلمته هي العليا .

قد علمتم أن بعض الناس قد شذ عن طريق الهداية وتنكب الطريق المستقيم ، ووقع في أحابيل الشيطان بفعل الدسائس التي يكيدها بعض من يدعون الإسلام ويتظاهرون بالغيرة على الإسلام ، والله يشهد أن الدين منهم براء وبراء من أعمالهم ، لقد قلت وما زلت أقول أنني لا أخشى من الأجانب قدر ما أخشى من بعض « المسلمين » ، فالأجانب أمرهم معروف ، وفي الاستطاعة الحذر منهم ، وفي الإمكان الإستعداد لصد هجماتهم وإحباط دسائسهم ، أضف إلى ذلك أنهم لا يقدرون على محاربتنا باسم الإسلام ، أما بعض « المسلمين » فهم ما زالوا يكيدون لنجد وأهل نجد باسم الإسلام والمسلمين ، ويحاربون إخوانهم المسلمين باسم الإسلام منذ عصور .

كانت الدولة العثمانية ، وقد كانت أقرب الناس إلينا بصفتها دولة إسلامية ، فحاربتنا باسم الإسلام والمسلمين محاربات شديدة ، وأحاطت بنا من كل جانب .. حاربنا مدحت باشا من جهات القطيف والإحساء ، وسيرت علينا من الحجاز واليمن قوات عظيمة ، وكذلك سارت جيوشها من الشمال فحاصرتنا من كل جانب للقضاء علينا ولضربنا في الصميم .. حاربتنا باعتبار « الوهابية » مذهباً جديداً ، وأن ابن عبدالوهاب جاء ببدعة جديدة ،

وأن « الوهابيين » تجب محاربتهم .. إلى غير ذلك من الأقوال المنمقة التي انطلت عى أصحاب العقول السذج من الدهماء ، فانخدعوا وانقادوا لأقوالها ولكن الله نصرنا عليهم .

وكذلك فَعَلَ الشريف وأنجاله .. فقد حاصرونا من كل الجهات وأرادوا القضاء علينا باسم الدين أيضاً ، ولكن الله نصرنا عليهم وجعل كلمته هي العليا ، وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب والإيمان الذي في الصدور ، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب ، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا ، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية أو لجر مغنم ، وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي ، ولنجعل كلمة الله هي العليا ..

أسأل الله أن يهدينا جميعاً إلى الطريق السوي »

الخطبة الثالثة : (١٣٤٨هـ) *

« أشكر الله على أن أتاح لنا مثل هذه الاجتماعات العظيمة الجمة الفوائد ، فهي في الحقيقة أجلّ الاجتماعات التي نحن بحاجة شديدة إليها في كل وقت وآن ..

وليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات ـ فإن هذا لا يهمنا ـ وإنما المهم عندنا أن نتذاكر مع اخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله ، فهذا جل ما نقصده من هذه الاجتماعات .

إن الله ـ جلت قدرته ـ حكيم إذ جعل للاجتماع في بيته الحرام فوائد جمة أولها الإخلاص في عبادة الله تعالى في أقدس بقعة ، حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار .

وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها ، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها ، وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد ﷺ ..

والكريم عند الله هو التقي الورع (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقد أنزل الله على رسوله محمد ﷺ خير الكتب ، فأمرنا بهذا الكتاب المبين وبرسوله ، وهذا خير فخار لنا .

والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نجدد اسم الإسلام ونعمل بمعناه ، والإسلام معناه الاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان بكتابه ورسوله ، وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ، وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام ، وما جاء به فيما بعد الأئمة فهي حق لا نحيد عنه قط ..

---

* ألقاها في الحفل الذى اقامته امانة العاصمة في مكة المكرمة .

ثم إن الغاية من هذا الاجتماع هي التعارف والتآلف ، « لعل الله يوفقنا بذلك لخدمة الدين ونشر حقيقته ، وبهذا ، بهذا وحده ، ننال العز والفخار في الدنيا والآخرة ، وثقوا بأن الله يؤيد من يعمل ويسعى في هذا السبيل .
ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علقت بالدين وهو بريء منها ، وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون يبتغون من وراء ذلك النفع المادي ..
إن هذا الاجتماع هو للتعارف كما قلت ، ورابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف والتعارف ، فالواجب علينا أن نتمسك به ، وأن نعمل بما أمرنا به لننال الفوز في الدنيا والآخرة .
يقولون « الحرية » ويدعي البعض أنها من وضع الأوربيين ، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعاً ، وجاء « بالإخاء » و « المساواة » المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم ، فآخى بين الصغير والكبير ، والقوي والضعيف ، والغني والفقير وساوى بينهم .
ويقولون « التمدن » و « المدنية الأوربية » هي الغاية القصوى ، وهذا وهم باطل ، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا ، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة ، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا ، فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص .
لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا أبهته ، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها ، وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي ، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه ، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل .. وكلما قمنا بشيء من هذا القبيل ـ ولو بسيط ـ شعرنا براحة واطمئنان ، شعرنا بأننا نلنا فخراً يزيد عن فخر الملك وأبهته .. أجل .. نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة ، نحن دعاة إلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها .
إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا وألا ندخر جهداً في المحافظة على كياننا ، قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ .. الدنيا درجات .. ولو درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد والكهرباء وما شاكلها .. أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى ، ومن اعتصم بالله فهو حسبه ..
نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله وبكتاب الله وبسنة نبيه ، نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن ، وليس في ذلك غش ولا تدليس .
ومن غريب أمر « الصحفيين » أنهم إذا دخلوا في جدل مع الأوربيين

جادلوهم بالتي هي أحسن ، وألا نوا لهم القول وانتقدوهم بهوادة ولين ، ولكنهم ـ أي بعض رجال الصحافة ـ إذا أرادوا الدخول في جدل مع المسلمين انقلبت الاية وجادلوا المسلمين جدلاً ملؤه الكذب والبهتان ، وحشوه الإقذاع والطعن والهجو الشديد ، انتقدوهم انتقاداً مراً بعيداً عن اداب الجدل والحديث .

أنا ترعرعت في البادية .. فلا أعرف أصول الكلام وتزويقه .. ولكن أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق . إن فخرنا وعزنا بالإسلام .. والله لا يهمني مال قارون ولا غيره . وكل همي هو موجه لإعلاء كلمة الدين وإعزاز المسلمين. سنبقى مثابرين ـ أنا وأسرتي ـ على هذه الخطة إلى ما شاء الله .. ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته .. ومن الله نسأل التوفيق والهداية »

الخطبة الرابعة : (١٣٤٩هـ) *

« يا حضرات الأعضاء ..

إني لأحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على محمد وآله وصحبه . وأستفتح بالذي هو خير ..

فإنني أفتتح باسم الله مجلسكم الكريم في دورته الجديدة ، راجياً من الله تعالى أن يلهمكم الصواب في جميع قراراتكم وآرائكم .. إني أذكر بسرور الجهود التي كانت من المجلس السالف ، وما صدر عنه من نظم وقرارات كان رائدها ـ ولله الحمد ـ المصلحة العامة وتوخي الفائدة للبلاد ..

إن أمامكم اليوم أعمالاً كثيرة ، من موازنة لدوائر الحكومة ونظم من أجل مشاريع عامة تتطلب جهوداً أكثر من جهود العام السابق ، وإن الأمة تنتظر منكم ما هو المأمول منكم من الهمة وعدم إضاعة الوقت الثمين إلا بما فيه فائدة البلاد المقدسة ..

لقد أمرت ألا يسن نظام في البلاد ويجرى العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة وتنقحوه بمنتهى حرية الرأي على الشكل الذي يكون منه الفائدة لهذه البلاد وقاصديها من حجاج بيت الله الحرام .

وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي ، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية ، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد ، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد ﷺ .

ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر فيما يحفظ حقوق أهله ، وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام ، ولذلك فإنكم تتحملون مسؤولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع

---

* ألقاها في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى .

سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس .

وإني أسأل الله لكم التوفيق في سائر أعمالكم .. »

الخطبة الخامسة : (١٣٥٠هـ) *

« إننا نسأل التوفيق من الله لنا ولكم في جميع الأفعال ، ونسأله العناية والهداية إلى صالح الأعمال .

إن ابن آدم بشر ، ويستحيل على الإنسان أن يكون شيئاً يذكر إلا أن ينال عناية من الله تعالى ، وعناية الله لا تكون إلا لمن اتبع أمر الله تعالى ، ومن وفقه الله وكان في كنف الله وفي عنايته كان النصر حليفه بدون شك ..

إني أريد أن أتحدث إليكم في هذا الاجتماع في أمور متعددة ومقاصد جمة ، والغاية من هذا الاجتماع هي

١ ـ اتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، تنفيذاً لما أمر الله به نبيه ﷺ بقوله : (وشاورهم في الأمر) وللمشاورة فوائد جمة لا تحصى ، ولو لم يكن من مصالحها إلا تقويم السنة لكفى ، لأنه إذا أقيمت السنة زالت البدع .

٢ ـ إن الإنسان أحب ما إليه في حياته أن يجتمع مع صديقه ، وأن يتجاذب وإياه أطراف الحديث ، وبهذا يحصل التعارف وتظهر الحقائق ويقع التناصح ، وقد كان السلف الصالح يسير على هذا الطريق في أعمالهم ، فقد كان أمرهم شورى بينهم ، وكان من أمرهم ما كان ، وكانوا على ضعف فصاروا إلى قوة .

٣ ـ إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم وأنهم أعداء بعضهم البعض ، كما قال الله تعالى : ﴿ **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى** ﴾ قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا ، ونحن المسلمين أمرنا الله تعالى بالمشورة والمشورة لها أساس وهو النصح بالتزام الحق ، ولها مزية ورونق ، تحصل بها الفائدة ، أما السير على غير مشورة فهو مجلبة للنقص ، مجلبة للهوي ـ هوى النفس ـ ونحن نريد المشورة أن تجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به في قوله : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ . وأعظم القوى التناصح والنية الصالحة لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح .. هذا هو اجتهادنا في المسألة .. ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النية ، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح .

إنني لا أشك والحمد لله ، بمحبة أهل الحجاز لنا سواء كان صغيرهم أو كبيرهم ، ولا أشك في محبتهم لحكومتنا ، وأنني أجزم جزماً تاماً أنهم

* ألقاها في المؤتمر الوطني الذي انعقد في القصر الملكي بمنى .

ـ اليوم ـ لي أقرب من أقرب قريب ، كما أن القلوب شواهد ، وأن ما في الدنيا الكلام الكثير ، منه المدح ومنه القدح ، بلى .. إنه لازم في الدنيا من مادح وقادح ، وهذا يكون حتى من أهل البيت الواحد ، لا أقول أن أهل الحجاز وأهل نجد وآل سعود أو آل عبدالعزيز لا يمدحون ولا يقدحون ، إن هذه حالة موجودة في كل زمان ومكان ، فلابد من رضى ولابد من غضب ، حتى أن زوجة الرسول ﷺ كانت إذا رضيت عن زوجها قالت « ورب محمد » وإذا اغبرت قليلاً قالت « ورب ابراهيم » بيد أن الحقائق واليقين تحفظ الحقيقة وعلاوة على ذلك فوالله إنني ما سمعت قدحاً أو ما يكدر الخاطر قط. فالغرض من هذا الاجتماع ـ مثلما ذكرت ـ هو أن سعادة الإنسان وحياته في الإجتماع مع إخوانه ، وإني أحب أجتمع مع اخواننا في كل وقت للإطلاع على أحوالهم .

أنا أعرف أن الجميع مشغولون بمصالحي ، لأن اشغالي وأشغالهم واحدة ، ومصلحتي ومصلحتهم سواسية ، فما كان في صالحهم فهو في صالحي ، وأنا أشعر بجذل وسرور كلما رأيت الجميع موفقين في أعمالهم وأشغالهم ..

يجب أن يعلم كل فرد أن كل جماعة لا يكون لها عاقلة لا تجد الراحة والهناء ، وبما أن الحكومة جعلت غرة شهر محرم الحرام مبدأ لأعمالها السنوية والمالية فقد أحببت أن يكون لنا هذا الاجتماع في هذا الوقت على أن يكون الإجتماع أيضاً في شهر محرم من كل عام ، للنظر في المصلحة العامة وللاطلاع على الأمور التي تمت والنظر في الأمور المقبلة ، وكذلك للاطلاع على الإقتراحات التي تقدم وهناك لابد من مسائل نقدمها للبحث فيها ودرسها كي تحصل نتائج مفيدة من ورائها ..

وهنا لابد لي من التلميح بأنه يجب على كل إنسان أن يقول ما في ضميره بصراحة تامة وألا يخشى في الحق لومة لائم .

« يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه ويقول ما يعتقد فيه منفعة ، فهذا أمر واجب على كل إنسان لأن مجال البحث والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة ، فعلى الإنسان الاجتهاد ومن الله التوفيق ..

نعم .. من واجب الإنسان النصح والإرشاد وألا يتقيد أحد بأن هذا مخالف أو ذاك . موافق ، بل يجب أن يقول بجلاء ما يرتأيه من خير وفلاح ، فإن لكل مجتهد نصيباً .. فنحن دعونا لعقد هذا المؤتمر للوقوف على الحقائق التي لها علاقة بصالح البلاد والعباد ، وقد أذعنا بلاغاً للأهلين كي يقدم كل ما يراه من مصلحة عامة لتدرسوه وتبحثوه ..

وهذا من شأنه كشف الحقائق وتطيب النفوس وتبكيت الأعداء ، أضف إلى ذلك أنها سنّة .

وقد دعوناكم للاجتماع معتمدين على الله ثم عليكم ، والإنسان لا يجب أن يدخل أحد إلى بيته لتفتيشه إلا إذا كان من أهل بيته ، وأنتم أهل البيت فدعوناكم للقيام بالمهمة التي ألقيناها علي عاتقكم ، تنفيذاً لأساس الشرع والسنة ... ان الناس ليس لهم حياة إلا بعناية الله وتوفيقه ، وهم غير معذورين في تركهم الاستمساك بما أمر الله به ، أو في ارتكاب ما نهى عنه.
قال تعالى : ﴿ **الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .
أنتم تعرفون أن هناك قبيلاً من البشر يسمونهم « العرب » .. ولو كان لأحد أن يفتخر بهم لوجب أن أفتخر أنا بهم .. وكانوا في ظلمات الجهل والضلالة ولكن الله من عليهم بنعمته وبرسالة محمد ﷺ .. وليس من شك في أن أفضل قبيلة في الدنيا هي القبيلة التي بعث منها محمد عليه السلام ، وأفضل بقعة هي البقعة التي بعث منها ﷺ ، فالشرف العظيم لا ينال بالانتساب إلى الآباء وإنما ينال بالتقوى ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .. والشرف يكون بأمرين : بالدين ثم بالصدق في الأقوال والأفعال .. وأفضل شيء يقام هو تنفيذ أوامر الله تعالى في هذه البقعة المباركة التي أنزل بها الوحي وبعث بها محمد ﷺ ، وهي مسقط رأسه ومدفنه .
أضف إلى ذلك أن الحسنات فيها تتضاعف كما تتضاعف فيها السيئات أيضاً ، ولذا يجب علينا أن نرغب في جلب الخير وأن نرهب من الشر ، وهذا يكون باتباع أوامر الله والنية الصحيحة والعمل الطيب .. والإنسان الذي لا يقوم بما أمر الله به لا ينجح أبداً أينما كان (أفمن زين له سوء عمله .. آلاية) .
وليس الخبر كالعيان ، وهذا بحث طويل لو أردنا أن نتكلم فيه أياماً لا ينتهي ، ولكننا نختصر القول ونشكر الله على أن وفقكم بعنايته وجعلكم خير أمة أخرجت للناس ، وبلدكم هذا بلد الله الحرام ، فإذا لم نحرم ما حرم الله كانت نقمة الله علينا عظيمة ، ثم كان هنالك كذب على الله . لذلك يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذاً لأمر الله وحفظاً له ، ويجب النظر في الأمور التي تمادى البعض فيها وما هي إلا لهو ودنو إلى الشر وبعد عن الخير ..
يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران ونطهرها من كل الأمور المختلفة وأن ندنو إلى ما يرضيه ونخاف عقوبته ، إذ ليس هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين ، إذا وقع الشر في القلوب خربها وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها .. فنحن نطلب المساعدة في هذا الشأن

منكم ومن الأهلين ، نريد أن تكونوا عوناً للحكومة في هذا الأمر لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفاسد سهل العمل ، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها .

فإذا علمنا هذا قمنا باللازم ، وهذا أهم ما يجب العناية به ، لأن الدنيا إذا كثرت خبرتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها ، بل هذا أساس البلاء ، أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره واجتنبت محارمه صلحت الدنيا ، فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنّة رسوله وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماماً شديداً .

يقول المثل : « أهل مكة أدرى بشعابها » فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شيء وصفوة القول أنه إذا صلح الرأس صلح الجسد وأمور الدين هي الرأس ، فإذا استقام أمره أصلحت أحوالنا الدنيوية .

ثم هنالك مسألة أخرى تهمني كثيراً لأنها من أسس الدين ومصالح المسلمين وهي مسألة القضاء ، هناك التعطيل والتقصير الواقع بسبب كثرة الاختلاف في الدعاوى ، فنحن نطلب النظر في هذه الأمور لحسمها وحلها وبينكم من هو من أهل الدين ومن أهل الرأي ، وإذا أردتم أن نزيدكم من أهل العلم سواء نجدي أو من خارج هذه الهيئة فاطلبوا ، لأننا ما أضفنا أحداً لكم لأن المسألة بالإنتخاب ..

إن التقصير واقع وأنا مسئول عن هذا التقصير ، ولا أستيطع أن أهمل هذا الأمر ، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورى ، وحيناً هيئة التحقيق ، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا في هذه الأمور وأمامكم مسألتان .. ففي المحكمة قضايا مضت عليها سنتان أو ثلاث وهي واقفة معطلة ، وهذا أمر مشكل ، ومن رأيي انتخاب هيئة من العلماء للنظر في هذه القضايا والبت في أمرها بتاً نهائياً ..

ثم مسألة الشهود والقدح فيهم .. وهذا واقع في الحجاز واشتكى منه القضاة وهذا أمر مشكل .. فالإنسان الذي يصنع القبيح ويثبت عليه ذلك يقام عليه الحد ، وكذلك ينظر في القدح الذي يقام فإذا صح أقيم الحد على المقدوح به ، وإذا لم يثبت يجازى المفتري ، والحقيقة أن السواد من الدعاوى تأخر أمرها بهذا السبب ..

هذه الأمور ـ في الحقيقة ـ من أساس الدين ، فإذا آمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وأصلحنا المحاكم هانت الأمور واستقرت الأحوال .

وكذلك نطلب منكم النظر في المسائل الاقتصادية ، ويجب في هذا الشأن إمعان النظر في الحالة الوسطى والبحث في مصلحة البلاد والمشاريع التي يمكن تطبيقها فيها والتي يرجى منها الفائدة للبلاد والعباد ..

وكذلك مسألة السيارات ، لها أضرار ومنافع ، وقد كنا فكرنا في توحيدها وجعلها شركة واحدة اعتقاداً منا أن ذلك فيه المصلحة العامة ، ولكننا وجدنا أن ذلك ليس منه مصلحة ، فنطلب إليكم وضع طريقة مثلى لهذه القضية يكون من ورائها النفع العام ..

هذه هي الأمور التي نرجو البحث فيها ، وأنتم أحرار في أبحاثكم ومذاكراتكم ولكم الحق أن تسألوا الحكومة عما تبغون ، ومجلس الشورى كذلك يمكنه أن يعطيكم التفاصيل الكافية التي تطلبونها ، فما كان عند المجلس فأعضاؤه معكم ، اسألوهم يقدمون لكم ما تريدون ، وما كان عند الحكومة فتطلبون منها ما تريدون وهي تقدم لكم المستندات ..

وقد انتدبت من قبلي عبدالله الفضل وعبدالله علي رضا ، والآن ألفت نظركم إلى أنكم أنتم المسئولون عند الله ثم عندي وعند الأمة فيجب أن تقدروا هذه المهمة حق قدرها وتعملوا لها بما فيه النفع ... »

الخطبة السادسة : (١٣٥٠هـ) *

« **أيها الأبناء** ..

إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد ، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم ، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر ، وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه ...

فمن عمل به يكون عوناً له ، ومن لم يعمل به يكون عوناً عليه . وليس من يعلم كمن لا يعلم ، قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه ، والبركة في العمل .

من الناس ــ وكثيرهم ــ من يعجب قوله فيأخذ بالسامع بزخرف القول إلى حد بعيد ، ويأتي في حديثه بأساليب تسحر ، مصوغة في قالب يبهر العقول ، وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير من ذلك ، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارىء أن قسماً من الناس قطع في مضمار العلوم ، ولا سيما الكونية منها ، شوطاً بعيداً ، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها ، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير ؟ لا ترى إلا أحزاباً يضرب بعضها بعضاً ، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان ، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذه تارة أخرى ، علم ولكن بالأقوال ، وعمل ولكن في غير النافع ، وان ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالى في كتابه ، وعلى لسان صفوة خلقه ﷺ .

جهلوا تعاليم الإسلام الحقة ، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار ، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه

---

* ألقاها في حفل استقبال خريجي المعهد العلمي السعودي .

فيما يعلي من شأنهم ، أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلا ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم .

بعث صفوة الخلق ، اللهم صل وسلم عليه ، من العرب ، ونزل عليه أمين السماء في بلاد العرب ، بقرآن عربي غير ذي عوج ، فلنعرف ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ولنحبها حباً جماً .

لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد ، فالحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها ، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة وكان لغيرهم أيضاً ، فجاء الإسلام فأقرها .

قال صفوة الخلق ، اللهم صل وسلم عليه : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، وقال : (ولدت في زمن الملك العادل) . حافظوا على تعاليم دينكم ، ولا شك أنكم قرأتم ، ولله الحمد والمنّة ، شيئاً كثيراً منها ، أرجو من الله أن ينفعنا وإياكم به ، وأقول لكم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ولا أحلّت شيئاً فيه ضرنا ، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك ..

اعلموا أن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أكفر رجل لما ضروا الله شيئاً ، ولو كانوا على قلب أتقى رجل لما نفعوا الله شيئاً ، ان الله لغني عن العالمين .

انظروا إلى نعم الله .. هل فاضل في أحكامه بين غني وفقير ؟ .. فأوجب على الثاني الصلاة ـ مثلاً ـ وترك الأول ؟ .. وهل أباح للأول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلاً ؟ .. لا .. لا تفاضل إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .. كلكم لآدم وآدم من تراب .. سوى بينكم وأكبر من شأنكم فأمر ألا تعبدوا إلا واحداً ، ولا تخافوا إلا واحداً ولا تسألوا إلا واحداً ، ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لها عند ملك من الملوك حاجة تحب أن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة ، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة ، ولا شك في أن هذا ـ أي عدم الواسطة ـ تكريم لك أيها الإنسان .

أبنائي ..

لقد منّ الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير ، فاعملوا إنّا لمنتظرون .. والله ولي التوفيق .

الخطبة السابعة : (١٣٥٠هـ) *

« إن من أعظم ما تفضل به الله على الناس نعمة الإسلام ، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد حكم بين البلاد وأجرى العدل بينهم ، وابتعث من أشرفهم وأفضلهم رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، كما قد جاء في كتابه قوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ... إلى آخر الآية** ﴾ .. وان نعم الله وفضائله لا تعد ... وتجف

---

* ألقاها في القصر الملكي بمكة المكرمة تكريما لكبار الحجاج .

أقلام الناس وما تبلغ ذلك لأنهم بشر .. وأن قوام الأمر على ما يأتي :
أولاً : الاعتراف بنعمة الإسلام ، وان الله منَّ علينا بالنبي الكريم الذي لا ينطق عن الهوى ، والمعصوم عن الخطأ والخطل كما جاء في الكتاب الكريم (إن هو إلا وحي يوحى) .. وقد جعل لهم اجتماعات يجتمعون فيها والقصد من ذلك التقرب إلى الله وتقرير العبودية له والخضوع لإرادته والرضوخ لعفوه والأمن من عذابه ، ومن فضله تعالى أيضاً أنه فرض عليهم خمس صلوات .. وأمرهم بالاجتماع فيها ، وعلى الأخص يوم الجمعة الذي يجتمعون فيه .. وجعل له فضائل كثيرة ، وجعل لهم اليوم الأكبر في هذه البقعة المباركة منبع الوحي والدين .. هذه أكبر نعم الله سبحانه وتعالى ، فيجب علينا الاعتراف بهذه النعم والاعتراف لا يكون باللسان فقط .. بل ينبغي أن يكون بالجوارح ، والجنان أيضاً ، فيؤدي واجباً من الواجبات وركناً من الأركان ، فالواجب على المسلمين الاعتراف بنعم الله والقيام بأداء الشكر عليها .
ثانياً : اتحاد المسلمين وتعاضدهم واتباع قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ وقد جعل الله سبحانه وتعالى من الأسوة الحسنة برسوله أمراً عظيماً وأمرنا بذلك في كتابه الكريم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ، والواجب أن نتأسى به وبأصحابه ..
ثم .. أتعرفون ما دمرّ الدين وأكثر الفتن بين المسلمين ؟ .. لم يكن ذلك إلا من اختلاف المسلمين وعدم اتفاق كلمتهم .. وإذا أعدنا النظر إلى أيام الإسلام الأولى وما افتتحوا من أقطار وما كسروا من أصنام وما نالوا من خير عميم .. نجد هذا كله ما حصل إلا باجتماع الكلمة على الدين والإخلاص في العمل والخلوص في النية .
المسلمون منَّ الله عليهم بالإسلام واجتماع الكلمة ، ولكن لما تفرقوا انخذلوا وسلط الله أعداءهم عليهم ، وإذا رجع المسلمون إلى تعاضدهم وتكاتفهم رجع إليهم عزهم ومجدهم السالف ، وقد قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ والقضاء كائن لا محالة ولما تناصح المسلمون بلغوا أوج السماك ، ولما تخالفوا كانوا بهذا الشكل الذي نأسف عليه ، والنفس أمّارة بالسوء ولربما أن أحد الناس عرف ذلك وضيعه والثاني عرف الدين وعمل به وعلم الله ما بقلبه فجعل العقبى خيراً له .
المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة ، فيجب عليهم أخذ سلاحهم ، والسلاح سلاحان .. أما سلاح العدة من طيارات وما إليها ، فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استخوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله . أما السلاح الثاني ـ وهو الأعظم ـ فالذي أوصي به نفسي

وأوصيكم به ، وهو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً ، فإذا عملتم ذلك نلتم العزة في الدنيا والعفو في الآخرة ورحمة الله وسعت كل شيء ، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد .
وإني أقول بوجوب القوة في كل شيء ، في الزراعة وفي السياسة وفي الصناعة وفي كل أمر فيه طاعة الله ، أما ما يخالف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقد أمر رسول الله ﷺ بتعلم اللغات الأجنبية لأنها من ضمن القوى على العدو لئلا يظهر عليهم ، وكذلك أصحابه من بعده .
لقد اجتمعنا اليوم في أفضل البقاع على دين الإسلام نتذاكر في طاعة الله تعالى التي لا قوام إلا بها ، فالملتبس عليه الأمر نفهمه ، وصاحب النصيحة يبديها ، والمعاند يكفينا الله سوءه ولا يهمنا أمره ، وإذا كان الذي بيني وبين الله عامراً فعسى الذي بيني وبين العالمين خراب ، ونحن بشر لا نخلد ولا نبقى ، وقد مضى صفوة الخلق ومضى أصحابه بعده ، ولكن الإنسان يعمل جهده فيما يصلح به الحال ويكشف به الغطاء .
لقد كثرت أقاويل الناس عن الحجاز وأهله ، وما نقموا منهم إلا أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد ، والحجاز قد استولاه ناس قبلنا من الأتراك والأشراف ، والرجال الموجودون اليوم هم أبناء الرجال السابقين ، يعرفون حالة الحجاز السابقة ، ولا يخفاكم أيضاً ما كان فيه من سفك دماء وعمل المعاصي وعدم الأمن ، فلما ولانا الله عملنا ما نستطيع ونحن عباد مستعبدون لله ، ليس لنا طريقة وليس لنا مذهب غير الدين الحنيف ، وهذا كتاب الله بين أيدينا ، وهذا شرع الإسلام نتبعه ، أما خوض الرجال فإن كان من جهة الدين واعتراضهم عليه فالحق ما جاء في كتاب الله ، والذي يكتم الحق ملعون ، وكل أمر خالف الدين متروك ، أما عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين أو الأئمة الأربعة المهتدين ، فإننا نتبعهم ومن كان عنده غير ذلك يبينه لنا حتى تقوم الحجة ، وكل إنسان عنده نصيحة لنا من الكتاب أو السنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات سواء كانت من كبير أو صغير أو جليل أو حقير ، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا نقبله أبداً ، وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام وأن نعض عليها بالنواجذ ومن غضب علينا لا ستمساكنا بديننا فليغضب علينا إلى ما يشاء .
تولينا الحجاز ، فقام الناس بين شامت وناقم ومحب وناصح .. واخواننا المسلمون نقبل منهم كل أمر فيه مناصحة على شرط أن يكون في الحق ، ومسألتان لا يمكن أن نقبلهما ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لا يبقى فينا أحد : التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما أبدا ، والثانية أن أي أمر يلحق

استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله ، ولو تكلم من تكلم أو قال من قال ، والحقائق مبثوثة ومعلومة وهذا هو الذي يلزمنا ديناً ودنيا .
كثيراً ما يقولون بعض الناس ليش ما يحط ابن سعود جمعيات ودعاية ضد الإنجليز والمسكوف أو الطليان أو غيرهم ويدافع عن المسلمين ، فأحب أن أكشف هذه الشبهة وأبيِّن الحقيقة فيها ...
أنا لست من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب ، أنا رجل عمل إذا قلت فعلت ، وعيب عليَّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل ، وهذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن أتعوده أبداً ..
ماذا يريد الناس مني ؟ .. يريدون أن أقول وأتكلم ثم يهمل جوابي وأسكت ؟ .. وأي فائدة في القول الذي لا يعقبه فعل ؟ .. إنه أمرما اعتدته ولم يعتده قومي معي .. أنا لا أقول لصاحب « أم القرى » أو غيره قل وتكلم على فلان وفلان وإنما آمر بالسكوت إلى وقت الفعل فإذا فعلنا تكلمنا .
سكتنا من قبل ومن بعد لأننا كنا في ريبة من أمر الناس ، وأريد « بالناس » أكثر الذين يدعون الإسلام ، وهؤلاء هم الذين أخشى شرهم وأراقبهم قبل غيرهم :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد — وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه — فواعجبا إن سالمتك الأباعد

إنهم إذا أرادوا التكلم عن نصراني تأدبوا وأحسنوا الرد ، ولكن إذا تكلموا عن المسلمين رموهم بالبهتان كأنهم أعداء لهم .. يقولون « ابن سعود قال كذا » .. و « فعل كذا .. وكله زور .. زور لماذا كل هذا ؟ .. هنا رجال نقموا منا لما أعطانا الله إياه ، فسوّل لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير ، ولم أر أحداً من أولئك دافع عني ولا مدافعة واحدة ، بعضهم منعوا عن الحرمين الصدقات والأوقاف وأخذوا يمنعون الناس عن حج بيت الله .. كله لأجل ابن سعود .. فما هو العمل الذي عمله ابن سعود ؟ .. هل نصب ابن سعود صنماً يعبده من دون الله ؟ .. هل أباح الخمور ؟ .. هل أباح الزنا والفجور ؟ .. هل ترك ابن سعود الأشرار يفسدون في الأرض ؟ .. أم ماذا صنع ابن سعود مما ينكره الشرع وتأباه المروءة العربية ؟ ..
إني والله أخاف الأجنبي مرة واحدة ، وأخاف الذين يدعون الإسلام ثلاثة آلاف مرة .. وأرجو أن يعذرني المسلمون في قولي هذا .. وإني والله صادق فيما أقوله وما تكلمت به .. وقد قيل : يا رسول الله المسلم يزني ؟ .. قال يزني .. قالوا يسرق ؟ .. قال يسرق .. قالوا يكذب ؟ .. قال لا ..
فأنا أبرأ إلى الله من الكذب .. هذه حقيقة الأمر .. وما هو الطريق الذي اتفق عليه المسلمون وجاهدوا فيه وتأخرت عنهم ؟ .. أنا أتأخر وأتقدم بقدر

الحاجة ولا أعمل عملاً أخرب به بلادي .. وإذا جاء وقت العمل واللقاء فالعار على الذي يتأخر .. فإذا بذل الناس ما لهم بذلت مالي .. وإذا بذلوا رقابهم بذلت رقبتي ورقاب عيالي .. أما الهرج والمرج والكلام الذي ضرنا أكثر مما ينفعنا فهذا مالا دخل لي فيه .. وإذا برز المسلمون للعمل فالعيب في شرفنا ـ حنا العرب ـ إن تأخرنا ..

يقولون ابن سعود يأخذ قرضاً من الإنجليز .. وابن سعود يريد أن يفعل ويصنع .. فأنا لم آخذ مال أهل الحجاز ولا حلالهم .. بل أصلحت حال الحجاز وحال أهله .. في هذه البلاد الطاهرة .. لقد أمن الله ثم أمّنت الطريق ، وضربت على يد الظالم ، وأقمت شرع الله في جميع أنحاء المملكة من الخليج إلى البحر الأحمر .. ومن صبيا إلى جيزان .. إلى قريات الملح .. وهذا كله من الله ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ .

يقولون أن البوادي هلكت من قلة الأمطار والله سبحانه وتعالى هو الفعال .. وإذا أراد أن يمنع المطر عن البادية فماذا يصنع ابن سعود ؟ .. ولكن العيب على الذين منعوا صدقات وأوقاف أهل الحرمين الشريفين وأخذوا يدسون للناس ويمنعونهم بدعوتهم السيئة بصدهم عن الحج .. أما قلة الأمطار في البادية فهذا لا يعاب علينا لأنه من الله .. ويجب الحمد على ما قدر وأراد .. وليس هذا خاصاً ببادية الحجاز ، بل هو موجود في فلسطين والعراق أيضاً .. ولكن الله رحم عباده وهو أرحم الراحمين .. وهذا شيء لا نستطيع دفعه لا نحن ولا هم .. وإذا كان في استطاعتي دفعه ولو كان فيه ذبح أولادي ما تأخرت عنه ..

والله ليس لي من المال شيء .. ولا أملك غير السيف والمصحف .. وأموال الحجاز لأهل الحجاز .. وأنا أحميهم وأدافع عنهم .. وإني أعلن وأقول أن من أراد من ملوك المسلمين أو أمراء المسلمين أو تجار المسلمين أن يقوم بعمل خيري للمسلمين في هذه البلاد فأهلاً وسهلاً ومرحباً .. بشرط ألا يخل بشرف بلادنا أو باستقلالنا ولا بشيء من أمور ديننا .. وأما كلام الحق الذي يراد به باطل فهو لا نقبله ولا نقره ولا نسمعه وعلينا أن نحافظ على كل شيء يقدم إلينا بأمورنا وأنفسنا على الطريقة الشرعية ..

لقد خاض الناس في القرض الكاذب ولفقوا وأولوا .. وأنا أقول ـ والله الذي لا رب سواه ـ لم أعمل مع الإنجليز ولا مع غيرهم قرضاً ما .. وربما أننا نحتاج ونأمل من المسلمين أو غيرهم ولكن إذا وقع فلا يمكن أن يخرج ذلك عن حدود الشرع ، ولا يمكن أن يمس البلاد واستقلالها وما فيها .. وإذا كان أحد من المسلمين ، ملكاً أو تاجراً ، يريد أن يساعد الحجاز وأهله على الوجه المشروع فأنا أقوم معه وأساعده .. وإني أقول .. من كان عنده نصيحة أو إرشاد ويريد عرضها علينا فنحن مستعدون لذلك سواء الآن أو في وقت

غير هذا بيننا وبينه أو أمام علماء المسلمين .. وإني والله لا أقبل على بلادي ولا على بلاد المسلمين ما يضر بهم ، وإني أحترم الشائب منهم كأبي والوسط كأخي والصغير كابني .. وهذا ما أعاهد الله عليه ثم أعاهدكم عليه .. والحقائق ظاهرة كالشمس ..

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين »

الخطبة الثامنة : (١٣٥١هـ)*

« الشريعة كلها خير ، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه ..

والأمر لا يتم إلا بمسألتين :

الأولي : التوفيق .. والتوفيق لا يكون إلا بالله .. (وما توفيقي إلا بالله) .. والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئاً ..

والثانية : الاجتماع والائتلاف .. وهذان هما أساس كل شيء (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ...

وقد شرع الله مشاريع في الدين مثل اجتماع المسلمين في الصلوات الخمس والجمعة والحج ، والنظر في مصالحهم باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، ومصالح العباد لا تكون إلا بالاجتماع ، فإذا تألفت القلوب وتوحدت الكلمة نالوا السعادة في الدين والدنيا ، وإذا اختلفت القلوب وتفرّقت الكلمة أضاعوا الدين والدنيا ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

وان من طبيعتي ، ومن الأشياء التي أحبها وأحرص عليها وأدعوكم إلى الأخذ بها ما سأبديه لكم :

الإنسان عليه حقوق وواجبات ، والأمر بيد الله ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء بقضاء وقدر ، وليس للإنسان في الأشياء حول ولا قوة وما عليه إلا أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس ، لأن محمداً ﷺ وهو أفضل الخلق وصفوة الرسل ونبى الله وحبيبه وخاتم أنبيائه وأفضل أهل السموات والأرض قد عابوا عليه ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم شيئاً ، فقد نصره الله وآواه وأعزه وخذل أعداءه ، وان من طرق الخير اتباع الأخيار ، والأخيار هم العلماء وهم مغناطيس القلوب ، لكن إذا عملوا بما أنزل الله .

وإني أعتمد في جميع أعمالي على الله وحده لا شريك له ، أعتمد عليه في السر والعلانية والظاهر والباطن ، وان الله مسهل طريقنا لاعتمادنا عليه ، وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها ، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي ، وإن تمت على يدي فذلك فضل من الله ، وكل عمل لا يتم إلا بالإخلاص ، والنصيحة للمسلمين واجبة وقد قيل (الدين النصيحة) ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدى ما عليه .

---

* ألقاها في حفل الاستقبال الذى أقامه في مبنى وكالة المالية في الطائف .

وإني أريد أن أوضح لكم ما في ضميري ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان ، والإنسان ينظر للأمور بقدر معرفته لها ، فمنهم من يتحققها ببصيرة تامة ونظر ثاقب ، ومنهم من يبصرها ولا يتدبرها ، ومنهم من لا يبصرها ولا يعرفها .

أما نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ، ولا سلاح لنا إلا التمسك به ، وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا ، وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله ، وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله وهذه طريقتي التي أسير عليها والتي لا يمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت ، وإني أحب أن أردد عليكم هذا لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض أنبتت وأثمر نباتها .

تعلمون أننا مادخلنا الحجاز إلا بعد أن حوربنا في وطننا ، وإنا والله لا نقبل على أمر إلا إذا بلينا فيه ، وإذا بلينا في شيء دافعنا عن ديننا وأنفسنا وقوميتنا ووطننا فيأخذ الله بيدنا وهذا فضل من الله علينا ، وإذا ما بلغنا إلى جهة من الجهات أمرنا أهلها باتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وما نحن إلا مجاهدون في سبيل الله . وان أول شيء تحافظ عليه ونعض عليه بالنواجذ ونحارب دونه ولو أهل الأرض هو ديننا ووطننا ، وهذان الأمران لا نقبل فيهما قولاً ولا تصرفاً ولا هوادة . إنا نبذل النفس والنفيس دونهما لأنهما عظيمان عندنا ، ولا يمكن أن نتخلي عنهما قيد شعرة ومن لامنا في ذلك فليضرب رأسه بالجدار ...

وإني أوصيكم بتقوى الله ، والنظر في حالة وطنكم وبلادكم ورفع أحوال الناس ومظالمهم إليّ لأن الملقى على عاتقي من الأمور عظيم وبعضكم به أبخص ، وإني مع كل ذلك أسأل عن أحوال الناس وأتفقد مصالحهم بقدر الجهد والاستطاعة ، وإذا ما اطلعت على شيء عيّنت له هيئة مخصوصة منكم للنظر في ذلك ثم أشرف على أعمالها بنفسي وأتراجع وإياهم في خصوصها حتى يبت في أمرها بما جاء في كتاب الله ، ووالله – يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس – أرى الكبير فيكم كأبي والوسط كأخي والصغير كابني ، وإن الذي أقوله هو الذي أعتقده والله على ما أقول شهيد .

وإني أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود ، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله ، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال « العصرية » فأمّا الدين فوالله لا أغير شيئاً من مما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ ، ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء وأراد .

وأما « الأمور العصرية » التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها ، أما المنافي منها للإسلام فاننا ننبذه

ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به .

ويجب أن تحرصوا على العمل ، والعمل لا يكون إلا التساند والتعاضد وإخلاص النية والإنسان وحده لا يتسطيع أن يعمل ، وإذا عمل فيكون عمله ضعيفاً ، والضعيف ضعيف على كل حال ونحن نحتاج إلى القوة في كل شيء ، وكلنا أمة واحدة عربية ، ديننا الإسلام ونبينا محمد ﷺ ، والعرب قبلنا عملوا الشيء الكثير ، والتاريخ أكبر شاهد ، والإسلام يحضنا على العمل ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم** ﴾ ، ويجب أن يكون العمل خالصاً لله لا رياء فيه ولا نفاق ولا غش ولا خداع ، وانكم والله إذا عملتم ذلك فستنجحون ، وان العمل يفيدكم ويفيد بلادكم وشعبكم ويقربكم من الله ولا يوجد شيء أحسن من هذا .

ويجب أن تنصحوا الجاهل وترشدوه إلى طريق الحق والهدى ، فإذا اتبع فالحمد لله ، وإذا أبى وعاند فانما اثمه على نفسه ، وإني - والله - أحب السلم وأسعى إليه فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبق في القوس منزع وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وهنا لا يكون إلا إحدى الحسنيين ، إما السعادة وإما الشهادة ، وكلاهما نعمة من الله ، ونحن نقابل أيهمنا بصدور رحبة ووجوه باشة وهذه سنة رسول الله وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم .

والناس معنا ثلاثة ..

إما محب ومساعد .. وإما لا محب ولا مساعد .. وإما معاند فقط ..

فأما الأول : فله ما لنا وعليه ما علينا ..

وأما الثاني : فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه ، فإذا اتبعنا فالحمد لله ، وإذا أبى ﴿ **انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ .

وأما الثالث : فهذا ليس له قصد إلا الفساد في الأرض ، وهذا جزاؤه ما جاء في الآية الشريفة ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلال أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم** ﴾ .

أنتم رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها ، وأدرى بما يحسون به وما يشعرون ، ويجب عليكم أن ترفعوا إليّ كل ما يتظلمون منه وترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريف الحق ، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسئولون ، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئاً مخالفاً فليوضحه لي وليرشدني إلى طريق الحق وليكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن

ينصحه (فليكن ذلك بيني وبينه) فوالله إذا رأيت الحق اتبعه لأني مسترشد ولست بمستنكف ، ومن رأى شيئاً وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ..

أما المظلمة التي تصلني فإني لاأتركها بل أبحثها وأحقق فيها ، والتي لا تصلني فالذنب فيها على من رأى وكتم ، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره .

وإني أحثكم على العمل الذي فيه اكتساب معيشتكم ، فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك ، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها ولا تركنوا للكسل والخمول فإن عاقبتهما وخيمة .

إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه بالحلم ، ولا يسترسل في غوايته ، وأحذركم من أمرين :

الأول : الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبداً ، ومن رأيت منه زيفاً عن العقيدة ارسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده ، ومن العقوبة إلا أعظمها .

الثاني : السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها ، فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار .

الناس أحرار في مآكلهم ومشاربهم ، ومرازقهم ونزههم ، ومن اعتدي عليه فليراجعني لأنصفه ولو جاءني أي إنسان وقال إن ولدك فيصل أخذ مالي واعتدى عليَّ فإن رآني أنصفته منه علم أنني أقول وأصدق في القول ، وإن رآني أهملته وساعدت ولدي على ظلمه فعند ذلك يكون له الحق عليَّ .

ولينعم كل إنسان بنعمة الإسلام ، وحرية الإسلام ، وغير هذا لا نعمة ولا حرية ، فمن كان مشارفاً بنظره من قرب أو بعد فليعلم أن الناس لم يتركونا رحمةً أو عطفاً ، وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا ...

وقد أتيت بهذا البيان نصيحة لمن قد يغويه إبليس بوسواسه ، وإني إذا قلت فعلت ، وإذا فعلّت أمضيت ثم لا أبالي بما يكون ..

هذه نصيحتي يبلغها الشاهد منكم الغائب ، وليعلم الجميع أني لا أحمل حقداً على أحد إلا على شخصين .. إما رجل ملحد في الدين أو يقصد هذه البلاد بسوء ، فمن كان في نفسه شيء من ذلك فلا يأمن عقابي ، وقد كنت أريد الإيقاع ببعض من أعلم فيهم ذلك ، ولكني منعت نفسي وأحببت تقديم هذا النصح للجميع ، وأسأل الله التوفيق لنا في أعمالنا .

وفي الختام .. أوصيكم بتقوى الله واتباع كتابه ، والاهتداء بسنة نبيه محمد ﷺ ، وأن تعضوا عليها بالنواجذ وأنتم أهل بلد الله وسكان حرمه الشريف ، ويجب أن تتمسكوا بذلك أكثر من غيركم والله الهادي إلى طريق الرشاد ..

الخطبة التاسعة : (١٣٥٢هـ) *

« أشكر الحق جل وعلا على أن أتاح هذا الاجتماع بوفود بيت الله الحرام الذين جاؤوا لأداء فريضة الحج التي هي ركن من أركان الدين ومن أهم غايات هذا الاجتماعات ـ ولا ريب ـ التعارف والتناصح بين المسلمين ...

والتناصح لا يكون إلا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وقد قال رسول الله ﷺ : الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ ..

قال : لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

فالنصح لله هو عبادته وحده لا شريك له ، أما النصيحة لكتاب الله فهو التصديق بما فيه والعمل بحكمه .. وأما النصيحة لرسله ﷺ فهي الإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه والتخلق باخلاقه ومجانبة من ابتدع في سنته .

والرسول ﷺ هو أشرف الخلق ، وقد قال تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم** ﴾ وبه أكمل الله جل شأنه الدين حيث قال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، ورحم الله عباده فجعل الشريعة سمحاء لا علو فيها ولا جفاء .

أما النصيحة لأئمة المسلمين فهي معاونتهم على الحق وطاعتهم ، والدعاء بأن يوفقهم الله لما فيه خير المسلمين في الظاهر والباطن .. والنصيحة لعامة المسلمين هي أن المسلم لا يكون مسلماً حقاً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويعمل للناس ما يريد أن يعملوه معه .

فهذا علمنا ، وهذا فهمنا ، إن الخير كل الخير في طاعة الله ورسوله ، والتأسي بأخلاق الرسول ﷺ ، فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسول بشيراً ونذيراً ورحمة لهذه الأمة ، لذلك وجب على كل مسلم محبة رسول الله وأصحابه والذب عنهم بالأقوال والأفعال .

إن الدين عند الله الإسلام ، والإسلام هو الاستسلام والطاعة لله ، والعبادة هي التوحيد الخالص من كل شرك أو بدعة .

(وما خلقت الجن والإنس إلا لعبدون) والمقصود من توحيد الله هو عبادة الله وحده وتنزيهه عن الشرك ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ فالله أقرب إلينا من حبل الوريد ، وهو أرحم الراحمين ، فهذه المنة التي منّ الله بها علينا ثم منته بكتابه ورسوله هي أعظم منةّ للمسلمين .

تكلف المسلمون اليوم مشاق المجيء إلى هنا رجاء رحمة ربهم وعفوه ، وان الإنسان مهما كانت حاله لابد من وقوعه في الزلل والأخطاء ، ولكن رحمة الله واسعة فنرجو أن يمن الله علينا بمغفرته ورحمته .

---

* ألقاها في حفل تكريم كبار الحجاج وروى فيه تفاصيل الخلاف ألقائم بين المملكة واليمن .

ومن واجب المسلم إسداء النصيحة للمسلمين وإنارة السبل لهم ، وأنا فرد من المسلمين من واجبي أن أشرح لهم ما أنا عليه وأن أبين لهم الطريق السوي .. إنني أعتبر الكبير والدا والوسط أخاً والصغير ولداً لي .

وقد جعلنا الله ـ أنا وآبائي وأجدادي ـ مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، لا نتقيد بمذهب دون آخر ، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به ، وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً أخذنا بقول الإمام أحمد .

فهذا كتاب « الطحاوية » في العقيدة الذي نقرأه وشرحه الأحناف ، وهذا تفسير ابن كثير ـ وهو شافعي ـ ولكن بعض المسلمين تركوا سنة الرسول والسلف الصالح واتبعوا أهواءهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) . وقال عليه السلام . (إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة .. قالوا من هي يا رسول الله ؟ .. قال ما أنا عليه وأصحابي) .. إن الله يعفو عن كثير وكل إنسان لا يرتجي شفاعة الرسول يكون جاهلاً بأمور الدين .. نعم .. الشفاعة ترجى ولكن يقول « اللهم شفع محمداً بي » .. فحقيقة التمسك بالدين هي اتباع ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح وهذا هو الذي أدعو إليه ، وما كان مخالفاً لهذا القول فهو كذب وافتراء علينا .

أنا لا أبرىء نفسي فذنوبي كثيرة ، أرجو من الله الرحمة والغفران ، وإنما غاية ما أرجوه أن أكون صادقاً في القول والعمل ، وفي الباطن والظاهر ، وأنا وإن كنت ملكاً ولكنني أوقفت نفسي وعملي على ثلاث مسائل :

١ ـ إنني أعمل ما فيه الخير والصلاح لديني إن شاء الله .

٢ ـ ليس لي رغبة في معاداة أحد من المسلمين صغيراً أو كبيراً .

٣ ـ أنا لا أحب الاعتداء علي أي كان ، وجل غايتي في كل وقت الدفاع عن ديني وشرفي وبلادي ، وأشهد الله في هذا الشهر المبارك على أنني أتمنى وأسعى للإئتلاف والتصافي في كل وقت وآن .

أنا قوي بالله تعالى ثم بإيماني ثم بشعبي ، وشعبي كل منهم كتاب الله في رقابهم وسيوفهم بأيديهم ، يناضلون ويكافحون في سبيل الله ، ولست أدعي أنهم أقوياء بعددهم أو عددهم ، ولكنهم أقوياء ـ إن شاء الله ـ بإيمانهم **﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾** .

لقد ملكت هذه البلاد التي هي تحت سلطتي بالله ثم بالشيمة العربية ، وكل فرد من شعبي هو جندي وشرطي ، وأنا أسير وإياهم كفرد واحد ، لا أفضل

نفسي عليهم ولا أتبع في حكمهم غير ما هو صالح لهم حسبما جاء في كتاب الله وسنة رسوله .. ولقد منّ الله علينا بهذا الملك ثم بإيماننا الذي في صدورنا ...

لقد حكمت هذه البلاد حكومات قوية ذات طول وحول قبلنا ، ولكنها لم تقدر على تأمين الطرق بين مكة وجدة فضلاً عن بقية الأماكن والطرقات ، أما اليوم فإن الأمن سائد في طول البلاد وعرضها ، قد لمستموه بأيديكم وشاهدتموه بأعينكم ، وهذا من فضل ربي علينا ، ونحن لا نقول هذا للافتخار وإنما للإشارة إلى أننا ـ أسرتي وشعبي ـ جند من جنود الله نسعى لخير المسلمين ، ولتأمين راحة الوافدين إلى بيت الله الحرام وأداء مناسكهم ، وكما قال الله تعالى : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ .. رابطة الإسلام جامعة قوية ولكن المسلمين فرقهم التخاذل فتفرقوا شعياً ..

لقد تكلم الأخ وأجاد فيما أبداه ، وإننا نشكره على ما أظهره من الغيرة على العرب وجمع كلمتهم ، ولقد ذكر في عرض كلامه الخلاف الذي نشب بيننا وبين الإمام يحيى ..

والحقيقة أن هذا أمر يهم المسلمين وكل من في قلبه خردلة من إيمان يتمنى أن يعتصم المسلمون بحبل الله وأن يتركوا المشاحنات فيما بينهم ، ولكن لكل أمر حقيقة يجب أن تبين وتوضح ..

فالإمام يحيى ـ أسأل الله أن يوفقنا وإياه إلى الخير ـ أعده أكبر أصدقائي وأقربهم إلي وأحترمه في جميع الحالات ، وقد عملت معه جميع الأعمال الطيبة التي علمها الله وهو مطلع عليها ، محبة في جمع كلمة المسلمين والعرب ، والتي أرى فيها صلاحاً لي وصلاحاً له .. ولكن ـ مع الأسف ـ خرجنا كما قال الشاعر :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه ... فواعجبا إن سالمتك الأباعد

يحيى .. لا أحب له إلا ما أحب لنفسي ، جاملته بكل ممكن مما يعلمه الله وسيعلمه المسلمون ، ولكن مع الأسف لم أصل إلى المطلوب من الراحة والسلم بعد الجهد الطويل ، وكنت أتريث في أعمالي وأقدم حسن الظن وآخذ بالحزم عملاً بقول الشاعر :

واحزم الناس من لم يرتكب عملاً ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

فلمصلحة الجميع ومنعاً لشماتة الأعداء مشيت للسلم وصبرت كل هذا الصبر ، وشرح الأمر الذي بيننا يطول ، ولكن لابد وأن يطلع المسلمون بعد بضعة أيام على « الكتاب الأخضر » الذي أمرنا بإعداده ليعلم الجميع الأقوال التي توافق الأفعال وأننا رجال لا نفعل غير ما نقول ..

يحيى ـ كما ذكرت ـ أعظم صديق لي ، وما كنت أحب أن يكون بيننا وبينه مثقال حبة خردل من خلاف .. وما كنت أظن أن السياسة تنقلب بيننا وبينه حتى تصل الأمور إلي هذا الحد ..
يعلم الله أنني لم أترك وسيلة للصلح والسلام إلا فعلتها ، ولكنني ما رأيت غير الغدر والمكر .. لذلك أمرت ولي العهد ليتقدم بجنوده إلى الأمام ليستخلص البلاد التي غدر بها يحيى ويدافع عن بلادنا وكياننا وشرفنا ، وأبرقت ليحيى بأننا لا نريد إلا السلم ولا نريد الحرب ، وأن باب السلم لا يزال مفتوحاً متى أراد أن يجنح له ، وأن ينسحب من بلادنا ولا يتدخل بشئوننا ، وهذا التدبير لم ألجأ إليه إلا مضطراً وبعد أن أعيتني جميع الوسائل ، ولا أعذر أمام الله ولا أمام خلقه إذا لم أقم بواجب الدفاع .
لنا أكثر من عشرة أشهر ونحن نقابل يحيى ونجادله ، وانتشر خبر ذلك في سائر الأنحاء فلم يظهر من المسلمين ، ملوكهم وأمراءهم أو أحزابهم ، من يتقدم لإصلاح ذات البين ، أو يطلع على حقيقة ما بيننا وبين يحى ، ويعلم من الصادق ومن الكاذب ، ولم يردنا غير برقيات التمني التي لا تنتج شيئاً ، ولما وقعت بعض حوادث النمسا قامت بعض الدول الكبرى وقعدت وعملت كل ما تستطيع لمنع كارثة الحرب ، ولكن المسلمين والعرب لم يبالوا بذلك وإنما أعمالهم مقتصرة على الأماني .
إني أعلم أن هذه القضية تهم المسلمين والعرب ، وقد عملت كل ما من شأنه أن يحقق أمانيهم ، وقمت بأعمال أضرتني حرصاً على السلم ورغبة فيه ، ولكن ماذا عمل العرب والمسلمون وماذا كانت نتيجة تمنياتهم لدى يحيى ؟ ..
أما أنا فأشهد الله وأشهد ملائكته اني ما أحب إلا الصلاح والسلام ، أما الدفاع عن حدودي وعن شيمتي فهذا من موجبات الشرف .
وآخر ما كان من الجهود التي بذلت في سبيل السلام هو صبري على أعمال يحيى الأخيرة إلى اليوم ، ولقد كتبت له أخيراً أنني أمرت جندي بالتقدم فإن أراد العافية فليس له إلا إبعاد الإدريسي عن الحدود إلى المكان الذي اتفقنا عليه وإعادة بلادي التى دخلها ، فإن قبل فالحمد لله ، وإن لم يقبل فلا حول ولا قوة إلا بالله .
هذه حقيقة الحال ونسأل الله التوفيق . »

الخطبة العاشرة : (١٣٥٣هـ)*

« أنا في غنى عن التنويه بعظمة هذا اليوم ، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام من جهة ، وللتعارف وللتآلف من جهة ثانية .

* ألقاها في الحفل الذى أقامه تكريماً لكبار الحجاج في مكة المكرمة .

وقد هدانا الله جل شأنه إلى الصراط السوي في معاشي الدنيا والآخرة ، فقال في كتابه العزيز : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ فالاعتصام بحبل الله واجب على كل فرد من أفراد المسلمين ، لأن العز كله والخير كله بذلك ، فإذا نحن حدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة .

والحقيقة أن حبل الله عز وجل هو كلمة لا إله الا الله ، إذ لا معبود سواه فهو الأول والآخر ، وعبادته باتباع ملة إبراهيم ، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **واتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾ ، فمن واجب الإنسان أن يعمل بما أمر الله به ، وأن يطيع مولاه صاحب النعمة عليه ، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد أرسل الله الرسل لهداية الأمم والشعوب ، وإنقاذهم من الضلالة ، وكانت هداية نبينا عليه الصلاة والسلام أن أرسله الله جل شأنه في أحسن القرون وان بعثه إلى أقدم الأمم ، وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشبه والضلال فكانت بركة الله ، ثم بركة رسوله علينا عظيمة لا تعد ولا تحصى .

وقد أمرنا الله تعالى على لسام نبيه بأمور عظيمة الشأن لو علمنا بها لكان حالنا اليوم غير ما نرى .

لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعمل بها مع الإخلاص النقي والنية الحسنة ، فإذا صدعنا بأوامره ـ جل شأنه ـ كفر ذنوبنا وأولانا نعماءه فإذا فهمنا ذلك وعلمنا أن الخير بحذافيره فيما أمرنا الله وجبت علينا طاعته ، وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله ، وذلك باجتماع المسلمين وتعاضدهم وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة بدون فائدة ، لقد تراشقنا بالكلام فتنابذنا فكانت الفرقة هذه وكان الهوان ، ولو تركنا هذه الأمور التي لا طائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة .

يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا ، فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه فيتجنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله عز وجل .. هناك أحزاب تتطاحن .. على أي شيء ؟ .. لا أدري .. لقد أدخل الشيطان وساوسه في عقولنا فتركنا حبل الله المتين فتفرقنا أيدي سبأ .

أما نحن ، فتعرفون ـ يا إخوان ـ سيرتنا .. وليس لنا من المقصد والغايات إلا أن تكون كلمة الله هي العليا .. نحن سرنا في الجادة ولم يكن عندنا مال ولا رجال .. نحن أهل بادية ، وإن ما ترونه اليوم لم يكن إلا من بركة الله تعالى ، ونحن نعاهد الله ونقسم أمامكم على ذلك ، وأننا لن نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق .. فإن الذي يجمع شملنا

ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته ولكنه كبير وعظيم ، وهو الإلتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر به الله ورسوله .

إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير ، وإذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم إتمامه في ساعة واحدة لأن ذلك يكون مطلباً مستحيلاً ، كما أننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم بالناس ، وإنما غايتنا أنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأقل .

كلكم يذكر حوادث العام الماضي .. وهذا السيد عبدالله بن وزير ، وهذا السيد الحسن الإدريسي ـ الجالسان الآن إلى جانبي ـ ما كنا نظن أن يكون بيننا وبينهم عداوة وبغضاء ، ولكن الأشرار فرّقوا بيننا ، والله عز وجل قد جعل هذا التباغض ألفة بيننا ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

لقد خشي المسلمون عاقبة التنابذ الذي حصل بيننا ، ولكنه أفضى إلى خير جم طرب له المسلمون .. جاء ابن الوزير إلى هنا .. وحدثني في هذا المكان الجالس فيه الآن بشأن الخلاف .. قلت له : ماذا تبغون ؟ .. فإذا أنتم قتلتموني من يخسر ؟ .. أنا وحدي ؟ .. وإذا أنا قتلتكم من يخسر ؟ .. أنتم وحدكم ؟ .. لا .. لا .. الخسارة علينا وعليكم على حد سواء .. ولما عرفت أننا وإياكم متفقون على أن النتائج هي الفرقة والخسران ، وأن هذا الخسران واقع علينا جميعاً ، أمرت بالقرطاس والقلم وجلست أنا وإياه وحدنا ، ووضعنا مواد المعاهدة التي اطلعتم عليها والتي قابلها المسلمون بارتياح .. فإلى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين إليه والعمل به .

أكثر الناس يقولون أن الأغيار هم الذين ضربونا في الصميم ففرقوا بيننا .. هذا كلام .. ماذا عمل الأغيار ؟ .. الحق أن الضرر والخسران لم يأت إلينا إلا من أنفسنا فنحن المسئولون عن ذلك .. نحن نسعى إلى التفرقة .. ونحن نعمل للبغضاء ..

أذكر لكم مثلاً بسيطاً يعرفه كل واحد منكم .. ان صحفنا وجرائدنا إذا تكلمت عن مسلم أو عربي تكلمت عنه بشدة وقسوة ولاذع القول .. ولكنها إذا تكلمت عن غربي تكلمت بأدب واحترام فلماذا ؟ ..

يا اخوان ..

يجب علينا أن نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد ، فإذا نحن سرنا على هذه الطريق وفقنا الله سبحانه وتعالى واحترمنا العدو قبل الصديق .. يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله سبحانه وتعالى .. فطاعته مصدر كل عز وخير لنا ..

هذا ما عن لي ذكره ، والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لصالح الأعمال . »

الخطبة الحادية عشر : (١٣٥٤هـ)*

« إن نعـم الله على خلقـه لا تحصـى.. ومن كمال نعمه بعثه محمد ﷺ ..
﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾ .

ومحمد ﷺ بعث من أشرف قبيلة ومن أشرف أمة ، وهو أفضل المخلوقات على الإطلاق ، وأفضل من أي شيء بعد الله ، ولقد جاء رسول الله محمد ﷺ بالهدى والبينات ، جاء بأفضل الأديان ألا وهو دين الإسلام .. إن بالهداية ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ أي الذين غضب الله عليهم لمخالفتهم أوامره وأضلهم عن طريق الحق .

الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه .. اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضَّله على جميع الملل . دين الإسلام دين الإنسانية والسماحة ، ولقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بأشرف الكتب لخير الأمم ، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. ولقد أعز الله الإسلام بالسنة المحمدية ، فما في كتاب الله تؤيده السنة وما في السنة يؤيده الكتاب .

والمسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده ، يجب أن يتدبر المسلمون معنى ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ فإن ﴿ **لا إله** ﴾ نفي لكل معبود فيما سوى الله ﴿ **إلا الله** ﴾ إثبات العبادة لله وحده ، فيجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرَّباً ، ويجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل .. أما القول المجرد فلا يفيد ، وما الفائدة في رجل يقول ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ ولكن يشرك ما دون الله في عبادته ؟ ..
﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً** ﴾ .

إن الإشراك في عبادة الله كفر ، وليس بعد الكفر ذنب ، وان دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد ، دين الله مكتوب في الكتاب والسنة فكل عمل اتفق مع الكتاب فهو الحق ، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو الباطل.
إن سورة الفاتحة يرددها المسلم في صلاته وهي جامعة للحكم البينات .. ان قوله تعالى ﴿ **الحمد لله** ﴾ اخبار بأن الذي يستحق الحمد هو ﴿ **الله** ﴾ .. ﴿ **رب العالمين** ﴾ أي إنه مالك العالمين وربهم ، فهو رب المسلم والكافر .. رب الإنس والجن .. رب كل شيء في الوجود من حيوان وجماد ونبات ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ ومعنى الرحمن رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ إقرار بأن الذي يملك يوم الدين هو الله وحده رغم أنوف الجاهلين والجاحدين ﴿ **إياك نعبد** ﴾ أي نوحدك ونطيعك

---

* ألقاها في الحفل التكريمي الذي أقامه لكبار الحجاج في مكة المكرمة .

طائعين ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ أي دلنا وأرشدنا وثبتنا على طريق السنة والجماعة ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ أي مننت عليهم .

إن سورة الفاتحة التي يرددها المسلم في صلواته فيها ما لو تدبره المسلم لما كان يقول شيئاً ويعتقد خلافه ، يجب على المسلم أن يتبع قوله بالعمل وقراءة الكتاب والسنة بالإعتقاد الصحيح ، أما الأقوال بغير الأعمال فهذه من صناعة الشيطان .

يجب أن يعتبر المسلمون من حالهم اليوم ، فإنهم لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن إلا من كثرة أقوالهم وعدم أعمالهم .. إن العمل هو أساس النجاح .. إن العقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح .. يجب على المسلمين عموماً ، والعرب خصوصاً أن يتدبروا الموقف ويرجعوا إلى ربهم ويحذروا مكره ، فإنه ـ جل وعلا ـ مدح مكره فقال ﴿ **ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين** ﴾ .

يجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه ، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم .. لقد غفر الله من أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام ، وغفر عن خالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه ، إن العبرة بالنية الصادقة ، فإذا صدق المسلمون في نيتهم فبشرهم برحمة من الله وفضل .

إنني أدعو المسلمين إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بسنة رسوله ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ .

كثيراً ما تلوك ألسنة المسلمين ﴿ **ان الله غفور رحيم** ﴾ وهذا الكلام صحيح .. ولكن ألم يأتهم نبأ قوله تعالى ﴿ **إن الله شديد العقاب** ﴾ ؟ .. إن الله غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ، أما من يستمر في طغيانه ويصر على كفره فسيناله عقاب ربه .. إنني أرجو من المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله .. وهذا هو ديننا .. وهذا هو معتقدنا .. نقاتل من أراد أن ينال ديننا أو وطننا بأذى .

يقول كثير من المسلمين « يحب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة ، وأن تأخرنا ناشيء عن عدم سيرنا في هذا الطريق » ، وهذا ادعاء باطل ، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمتنا ، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره .

إن المدنية الصحيحة هي التقدم والرقي ، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل ، إن حالة المسلمين اليوم لا تسر ، وان الحالة التي هم عليها لا يقرها الإسلام ، يجب على المسلمين أن يتدبروا موقفهم جيداً ويعملوا لتطهير

قلوبهم من الأدران التي علقت بها ، فإن الموقف دقيق ، والله ينصر من أراد نصر دينه ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ .

ان الفرقة أول التدهور والإنخذال ، بل هي العدو الأكبر للنفوس ، والغاوية للبشر ، والإتحاد والتضامن أساس كل شيء ، فيجب على المسلمين أن يحذروا التفرقة وأن يصلحوا ذات بينهم ويبذلوا النصيحة .. قالوا لمن ؟ .. قال .. لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

فهذا الحديث دستور أخلاقي عظيم من واجب كل مسلم العمل به ، لأن في اتباعه صلاحاً لأحوال المسلمين فيزدادون منعة ، ونحن نحمد الله على أننا بدأنا نشعر بمثل هذه الروح السامية تدب في نفوس المسلمين ، فيعملون على درء كل خطر ، ومنع أسباب التخاذل ، فنرجوه سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالاتفاق والاتحاد ، فإن الله سبحانه وتعالى قد من على المسلمين بأوامر ونواهي وفرض عليهم الفرائض ولم يأمر – جل وعلا – بأمر إلا وجعل الفوائد بحذافيرها فيه ، ولم ينه عن شيء إلا وجعل الشر بحذافيره فيه ، ومن أعظم الأوامر توحيد الله – جل وعلا – توحيداً منزهاً عن الشرك ، ان الله لم يجعل بينه وبين أحد من خلقه واسطة ، فهو يقول ﴿ **أدعوني أستجب لكم** ﴾ ويقول ﴿ **نحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ .

وقد فرض الله سبحانه الفرائض الخمس على كل مسلم ومسلمة ، وهي تطهر القلوب والأنفس من الدنس والشرور ، ومن هذه الفرائض الحج ، حج بيت الله الحرام مع الاستطاعة ، والحقيقة أن حج بيت الله الحرام ، والاجتماع فيه من أكبر النعم التي أولانا إياها الحق جل وعلا ، إذ أن الخير كله في الاجتماع والشر كله في التفرقة ، فالاجتماع والتضامن أساس كل عمل ومحور كل نهوض .

نسأل الله يعز دينه ويعلي كلمته ويؤيد المسلمين بروح منه »

الخطبة الثانية عشر : (١٣٥٥هـ) *

« عمدتنا في جميع أعمالنا على الله ، وهو المدبر لكل ما في الوجود وعز الإنسان في دينه وشرفه ، وكل عمل خالف الدين والشرف فاسد ، والإنسان إذا دعا بدعوى أو قصد مقصداً أو تكلم بكلام ، فعليه أن يوضح للناس الحقيقة ليكونوا على بينة من أمره ، وهذا واجب على الإنسان لحفظ شرفه وحقه .

والمسلمون شرفهم الله بالإسلام ، وهذه البقعة الطاهرة شرفها الله بالإسلام ، وببيته العظيم ، فهي أشرف البقاع ، وهي في أصل التكوين بقعة مثل غيرها ، ولكن وجود بيت الله فيها ، وبعثة رسول الله ﷺ منها ونزول الوحي بها ، كل هذا عظّم من أمر هذه البقعة فهي كما أنها قبلة العالم قدوة

---

* ألقاها في جدة في الحفل الذي أقامه تكريماً لوجهاء المنطقة وأعيانها قرب سفره إلى الرياض .

العالم أيضاً ، والواجب على المسلمين عموماً أن يعظّموا هذه البقعة ويقدسوا هذه الأماكن الطاهرة ، وتعظيم هذه البقعة تعظيم للإسلام ، وتقديسها تقديس للإسلام ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً** ﴾ ورسول الله ﷺ قدس هذه البقاع وعظمها والأحاديث في هذا كثيرة .

الناس خلق الله وعبيده ، وطاعة العبد لخالقه وسيده واجبة ، فيجب على الإنسان أن يقوم بالواجب ليرضي الخالق ، والمسلم من نظر إلى طريق الخير فاتبعه ، ونظر إلى طريق الشر فاجتنبه ، ودين الإسلام يأمر بالخير وينهى عن الشر .

الإسلام بني على خمسة أركان ، لو تدبر المسلمون حكمها لوجدوا الخير كله فيها ، الركن الأول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فـ ﴿ **لا إله** ﴾ نفي لكل معبود سوى الله .. ﴿ **إلا الله** ﴾ إثبات العبادة له وحده ﴿ **وأن محمداً رسول الله** ﴾ إقرار بأن محمداً رسول الله أرسله بدينه وكتابه إلى المسلمين ، ولقد أدى رسول الله ﷺ الأمانة ، وبلغ الرسالة ، فهو الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، وهو من أعز أمة ومن أشرف قبيله ، رؤوف بأمته رحيم بها ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

الركن الثاني : إقامة الصلاة .. وان الصلاة تنقي الإنسان من المعاصي كما ينقى الثوب من الدرن حين تنظيفه ، وهي مناجاة العبد لربه ، وان سورة الفاتحة التي يرتلها المسلم في كل صلاة من صلواته جامعة للحكم .

الركن الثالث : إيتاء الزكاة ، وهذا عطف من الغني على الفقير لمواساته ، والزكاة من الأموال معناه تباركها ولا ضاع مال في بر أو بحر إلا من ترك الزكاة .

الركن الرابع : صوم رمضان .. وان فيه من الحكم الشيء الكثير ، منها أن يدرك الغني مسغبة الجوع وألم الفقر ولوعته فيعطف على الفقير ويواسيه ، والصيام لله ، والله يجزي العبد ﴿ **الصيام لي وأنا أجزي به** ﴾ .

الركن الخامس : حج بيت الله الحرام ، وإن من حكم الحج اجتماع المسلمين للتشاور والتفاهم وجزاء الحج المبرور خروجه من ذنوبه كما ولدته أمه .

كل هذه من نعم الإسلام ، أنعم الله بها على المسلمين ، فيجب على الإنسان أن يتقبل نعم الله بالشكر ، لأن الله ليس في حاجة إلى عبادتنا وصيامنها ، وجميع أمور ديننا ، بل هو غني عن كل ذلك وعن العالمين .

إن التناصح ضروري للمسلمين ، ولكن يجب على الإنسان ألا ينسى نفسه وليكون لنصحه أثر في القلوب ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ .

فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه وعلى نصيحة المسلمين ، وأن يقدم الخير على الشر ، كل هذا من الله ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ والأمان جند من جنود الله ، والخوف جند من جنود الله ، فالإنسان لا يأمن إلا بأمن من الله ، ويجب أن تعتقدوا أن ما ترونه من الأمن الآن ليس هو إلا نعمة من الله أنعم بها على المسلمين ، فيجب علينا أن نشكر الله على هذه المنة الكبرى والنعمة العظمى . وأن أشد ما يخاف على المسلمين الشرك ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً** ﴾ ، وان ذنب الشرك عظيم وانه محنة وبلاء .. انه كفر وليس بعد الكفر ذنب .. فيجب أن يتنبه المسلمون .

إن التناصح للمسلمين واجب ، لأن رسول الله ﷺ يقول ﴿ **الدين النصيحة .. قالوا لمن ؟ .. قال لله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** ﴾ .. والنصيحة لله اتباع ما جاء في كتاب الله ، ولرسوله اتباع سنته ، وأن نجزم بأنه رسول صادق فيما بلغ ، وأن نأخذ ما أتانا به وننتهي عما نهانا عنه ﴿ **ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ، ولعامة المسلمين دلالتهم على طريق الخير والتوادد والتحابب إليهم .

والمقصد من اجتماعتنا الليلة أن نتناصح ونتعاضد ويطلع كل منا على ما عند الآخر من جهة ، ومن جهة أخرى لنودعكم لأننا على جناح سفر ، وسنغادر هذا البلد قريباً ، وانه ليعز علينا مغادرته ولكن المصلحة تقضي بهذه التنقلات ، ثم هناك مسألة أحب أن أشرحها لكم لأن في نفسي منها شيئاً .

أنا لا أحب أن أشق على الناس ، ولكن الواجب يقضي بأن أصارحكم .. إننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا ، ونكون على علم تام بما عندكم .. وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا .. إنى أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقاً دائماً ، لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب .. لذلك سيكون مجلسي مفتوحاً لحضور من يريد الحضور من الساعة الثانية إلى الساعة الثالثة ليلاً .. وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحاً لهذه الغاية بدلاً من مجلسنا سواء كان في مكة أو في الطائف ، وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم . أنا أود الاجتماع بكم دائماً ، لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا وهذه غايتي من وراء هذا الإتصال ..

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز .. »

الخطبة الثالثة عشر : (١٣٥٥هـ) *

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

الحمد لله الذي رزقنا خير الأعمال ، وخير القوة ، وخير المنازل ..

أما خير الأعمال فهي عبادة الله ، وأما خير المنازل فهي هذه البقعة المقدسة .. وهذا كله من منة الله علينا ، فنسأله ، سبحانه وتعالى ، أن يوفقنا وإخواننا لما يحبه ويرضاه ، ويجعل أفعالنا موافقة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

والحقيقة أن كل ما أبداه الخطباء فهو أمر واقع ، وكما قيل (القلوب شواهد ويعلم الله أن فُرقتنا لهذه البقعة المقدسة وهذا الشعب المخلص أمر نأسف له أعظم الأسف .. أعظم من أسف الشعب .. ولكننا نرحل في صلاح الدين والدنيا ، ونسعى من أجل مصالح المسلمين والعرب ..

إن ارتحالنا ليس هو لبلد دون بلد ، ولا لشعب دون شعب ، ولا لشخص دون شخص ، إنما هو هو للمصلحة العامة التي نبذل في سبيلها النفس والنفيس ..

إن هذا الشعب عظيم علينا من وجوه كثيرة .. أهمها جوارهم بيت الله الحرام ، وحبهم لنا ، والذي أوصي به هذا الشعب هو الاعتصام بحبل الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً** ﴾ .. كما أوصيه بالتناصح .. فإن الدين النصيحة ، والنصيحة واجبة للبار والفاجر ، والكبير والصغير ، والغني والفقير ، لا لنفر دون آخر ، ولا لشعب دون غيره .. ان النصيحة واجبة للعالم أجمع .

إن على الشعب واجبات وعلى ولاة الأمور واجبات .. أما واجبات الشعب فهي الاستقامة ، ومراعاة ما يرضي الله ورسوله ويصلح حالهم ، والتآلف والتآزر مع حكومتهم للعمل فيما فيه رقي بلادهم وأمتهم .

إن خدمة الشعب واجبة علينا ، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا ، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهر ناقص ..

شعبنا العرب ، فنحن من العرب وإليهم ، وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة ، وخدمة شعبنا وأمتنا واجبة علينا بصفة خاصة ، ولابد أنكم سمعتم أننا ألزمنا ولاة الأمور بالنظر في شئون الرعية وجعلناها أمانة في أعناقهم ، فعليهم أن يقوموا بالواجب والنصح للشعب ، وأن يجتهدوا في تخليص ما عليهم من حقوق وما لهم من واجبات .

أما واجبات الولاة .. ولاة الأمور .. فهي أن يقوموا بالواجب عليهم نحو

* القاها في الحفل الذى اقيم على شرفه بمناسبة سفره الى الرياض .

شعبهم وينصحوهم ويخدموهم ويقوموا بكل ما فيه مصلحة المسلمين وفائدتهم .

وان أكبر أمانة وأعظمها في عنق المحاكم الشرعية .. فعليهم النظر في شئون العباد بما شرع الله لنا في كتابه من شرائع ، وبين لنا من حجج ، وأقام لنا من محجة ، قال تعالى : ﴿ **الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .. وقال ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ .. ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .. ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ وقال ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ ..

هذه هي الحقيقة ، لأن شريعة الله لا ظلم فيها ، وهي المحجة ، من اعتصم بها نجا ، ومن شذ عنها هلك ..

فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب ويسهروا على مصالح الناس وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف ، وعلى الشعب أن يمتثل لأمر الله فمن حكم له حمد الله ، ومن حكم عليه حمده ، الأول يحمده لأخذه حقه والثاني يحمده لأنه عصمه من أخذ حق غيره .

وأوصي الشعب أن يقلل من الخصومات والمنافسات ، لأن الخصومات والمنافسات تؤذي الحكومة والمحاكم الشرعية وكثرتها توجد اختلافاً في صفوف الأمة ، وان إنساناً تكثر مطالبه ومرافعاته وإزعاج حكامه وعلمائه لا لحق بين وإنما به نزعة من نزعات الشيطان ، والشيطان يسعى للتفرقة ، فعلينا ألا نساعده ولا نتركه يفرق بين المسلمين .. ان من الناس من يصيح « أنا مظلوم » وإذا بحثت ظلامته التي يدعيها لا تجد فيها من الحق شيئاً ، لهذا أوصيكم بالتناصح فيما بينكم ونهي أمثال هذا عن ذلك .

وأوصيكم بالتحاب ، فإنكم جيران بيت الله الحرام ، وبلادكم هذه تتضاعف فيها الحسنات كما تتضاعف السيئات ، وان كل إنسان فيكم في خاطره شيء يبينه لحكومته ، وحكومته لا تتأخر عن سماع ما عنده ، وان بابي مفتوح لكل واحد .

نرجو من الله أن يجعل اجتماعنا في طاعته ومحبته ، ويقصر مدة فراقنا ثم يجمعنا عن قريب في أسر الأحوال ... كما نسأله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويؤلف بين قلوب المسلمين ، ويوحد كلمتهم ... إنه سميع مجيب .. »

الخطبة الرابعة عشر : (١٣٥٥هـ) *

« الحقيقة ان الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى ، وما جاء به الرسول ﷺ .
ويقول تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ .. ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ .. وليس هناك شيء أجل من نعمة الإسلام على الإنسان ، فقد قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ .

فتمام النعمة هو كتاب الله تعالى الذي شرع به الإسلام ، وأول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين ، ومعنى الشهادة « لا إله إلا الله » أنها تفيد إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى ، ومعنى أن « محمداً رسول الله » أن نحب الرسول ﷺ ونصدقه ونؤمن به ونعمل بما قال ، وكلام الرسول لا ينافي القرآن ، والقرآن لا ينافي كلامه ﷺ ، بل كل منهما يتمم الآخر .

والحقيقة أنه لا يوجد إنسان غير مذنب ، لأن العصمة لله وحده (**ولو لم تذنبوا لخلق الله عباداً يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**) ، ولكن الذنوب على جملة درجات ، منها مالا يمكن معه صفح أو غفران ، وهي الشرك بالله ، والكذب على رسول الله ، وكل إنسان يرى أن هناك أية حجة أو قوة أخرى أقوى من الكتاب والسنة فقد افترى على الله الكذب ، والحمد لله الذي وفقنا ـ نحن المسلمين ـ إلى تفهم معنى شهادة « أن لا إله إلا الله » وهي تتضمن نفي معنى الشرك ، وإثبات العبادة له سبحانه وتعالى ونهي لما نهانا عنه ، وهو ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، تعالى الله عما يصفون ونحمده تعالى على أنه جعل هذه الأحكام لطفاً منه بنا .

والإنسان إذا كان مسلماً ، يضع لنفسه نظاماً يسير بمقتضاه ، فما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله فذلك هو الضلال المبين ، ونعوذ بالله منه ، ومن أعظم ما يثبت علينا ديننا هو تمسكنا بالشهادين وبمعناهما الصحيح من إثبات العبودية لله ، والإيمان بنبيه ورسوله الذي نجده أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وعيالنا ، ويجب أن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ما استطعنا إليه سبيلاً .

أما أحكام المذاهب فلسنا نخالفها في شيء ، وهي مذاهبنا جميعاً ، من مذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، ومذهبنا هو اتباع الدليل حيث يكون ، فإن فقد الدليل ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا اجتهاد ابن حنبل وما جاء في الكتاب والسنة ، ونحب المسلمين جميعاً ، ونرجو لهم الخير والفلاح والسعادة ، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويجمعنا على كلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » إنه سميع قدير .. »

---

* القاها في المأدبة التي اقامها للحجاج الهنود في موسم الحج .

الخطبة الخامسة عشر : (١٣٥٥هـ) *

« الحقيقة ان الله جعل للإنسان بصيرة يميز بها ما بين الحق والباطل ، وقد أراه الطريق واضحاً ، ومن فضل الله على الإنسان وهو فقير عاجز أن سلط عليه نفسه والشيطان وجعل في مقابلها الإنعام عليه بالقبول والرجوع بحيث يفيء الإنسان إلى ربه ويمشي على الصراط المستقيم .

وقد جعل الله في جوارح الإنسان طبيعة اقتراف الذنوب وفي مقابل ذلك منَّ الله عليه بنعمة التوبة والاستغفار ، وهذا ، والحمد لله ، من عنايته ولطفه بالفقراء والمساكين .

ويجب على الإنسان أن يعرف مصلحة نفسه إذا عرف حقيقة دينه ، والأمر الذي يوفق بين دينه وراحة نفسه هو الشرف ، والذي ليس له شرف ولو أعطي من هذه الدنيا ما أعطي إذا لم يوفق إلى ذلك فآخرته الخزي والعياذ بالله ، ونعمته الدنيوية وبال عليه .

وعلى الإنسان أن ينظر في حوادث الزمان في كل أدواره ، لأن المنطق الصحيح الذي لا عوج فيه هو القرآن ، وقد جاء فيه كل شيء ومنه يقف الإنسان على قسط من المعرفة ، فإذا من الله على الإنسان بهذه المعرفة وكان في يده أمر من أمور الناس وجب عليه أن يعرف الحقائق ولا ينخدع بظواهر الدنيا ، وإيفاء كل ذي حق حقه ، ووجب عليه أن يشكر الله الذي وفقه إلى معرفة الواجب وتأديته ، وهو - سبحانه وتعالى - لا ينتفع بشكرنا ولا يريد منا إلا أن نتبع أوامره ونتجنب نواهيه وننصح أنفسنا وننصح من عرفناه والدين النصيحة .. قالوا لمن يا رسول الله ؟ .. قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ومن نعم الله أن هدانا إلى تجنب الإشراك به ، وهو القائل ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ وهو أقرب إلينا من حبل الوريد .

وواجب على من تولى أمر المسلمين أن يكون مصلحاً ، لأنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية ، والراعي كالمطر ، أحياناً يكون خيراً على رعيته ، وأحياناً يكون بلاء ومضرة ، ولا يصلح الراعي إلا إذا اتبع كتاب الله وسنة رسوله ، والإمام والأمير حتى والي البيت يجب عليه أن يعلم أنه راع وكل راع مسئول عن رعيته ، ويجب أن يفعل معهم ما يحب أن يفعلوا معه ، لأن النفوس لا يمكن أن توافق على غير ما تحب ، والدين يحتم عليك أن تُحب من أحب الله ولو كان من أعدائك وأن تبغض من يحارب الله ولو كان من أصدقائك وأحبائك ، وهذه هي المحجة البيضاء إن شاء الله .

ويجب على المسلمين أن ينظروا إلى أنفسهم ويتفقدوا حالتهم ، وكان بعض الصالحين إذا ركب دابته وشعر منها تغيراً يقول « ما غيّر دابتي هذه إلا عملي » .

---

* ألقاها في مأدبة الحجاج العرب .

ويجب على المسلمين التناصح بالخير ما أمكن ، والله سبحانه وتعالى إذا علم من شخص نزاهة يشمله بعفوه ومغفرته ويجب أن نجعل صفحتنا بيضاء نقية وأن نغار على بعضنا البعض ، فإذا عرف أحدنا شيئاً من معايب أخيه يجب أن يناصحه قبل كل شيء ، فإذا عجز عنه يسأل الله له الخير ولا يشنّع عليه ، وهذه الأمور كلها مبنية على مكارم الأخلاق .

لقد حرصنا على أن يجمعنا الله في هذه المحلات المقدسة ، فمن الله علينا باجتماع القلوب ، وأمرنا بالتواصل والاجتماع ، وهذا اجتماع الصلوات الخمس في كل يوم لا تخفى حكمته كما لا تخفى حكمة هذا الاجتماع السنوي التي أولها أن يذكر الناس بالآخرة وثانيها أن الله يمن على عباده بلطفه وعفوه ، وثالثها حكمة التعارف ، فنرجوا ألا تضيع فائدة هذا الاجتماع سدى ، وأن يكون بين المسلمين تعارف وتواد وأن يكونوا مثل سلفهم ، شعارهم « أحد .. أحد » كناية عن توحيد الله تعالى ، وهذا كلام تميل إليه القلوب لأنه أكبر إعانة لنا في مقاصدنا الدنيوية وشعارنا ـ والحمد لله ـ هو توحيد الله واتباع خطة السلف الصالح .

نرجو الله تعالى أن يعز دينه ، ويعلي كلمته ، وينير للمسلمين طريق الحق ويرزقنا الطاعة ويرينا الباطل ، ويرزقنا التجنب عنه إنه سميع مجيب » .

الخطبة السادسة عشر : (١٣٥٦هـ) *

« يسرني دائماً الاجتماع بكم ، والتحدث إليكم ، لما في الاجتماع من فوائد ، ولأن في الاجتماع أكبر المصالح . إلا إني لا أود التكليف على الناس وتعطيلهم عن أشغالهم لما في ذلك من الضرر » .

وإن أشد ما يؤلمني ما كان فيه أقل ضرر على شعبي وبلادي ، فإذا كلفنا عليكم اليوم فلا نقصد بهذا إلا التناصح والنظر فيما فيه مصلحة الأمة والبلاد .

إن الحياة المجردة عن الدين ، والزاخرة بأنواع القوة ليست حياة ، كذلك عظمة الملك وجبروته ليست بالحياة ، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة حدود الله ، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة ، أما الحياة التي تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يثمر .

إن الدين الإسلامي الصحيح ، في نظري ، هو أساس الرقي ، ومن اعترضنا في ديننا أو وطننا قاتلناه ولو كان أهل الأرض ، وان الإسلام ملك علينا قلوبنا وكل جوارحنا ونسأل الله أن يميتنا على الإسلام ويحفظنا بالإسلام ويحفظ بنا وبالمسلمين الإسلام .

إن الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله هو القوة ، وأشهد الله أن هذا الاعتقاد هو الحق ، فلا تنفع قوة بلا دين .. ان هذا أمر مستحيل .. وليس

---

* الكلمة التي القاها في الحفل التكريمي الذى اقامته امانة العاصمة في مكة المكرمة على شرفه بمناسبة سفره الى الرياض .

معنى هذا أن المتمسكين بالدين يجب عليهم عدم الأخذ بأسباب القوة .. لا .. إن القوة واجبة .. ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ .. فنحن كما ندعو للتمسك بالدين ندعو للأخذ بأسباب القوة ، لا لإلحاق الضرر بالغير وإنما للدفاع عن ديننا وبلادنا وشعبنا .

إننا نعرف مبلغ تمسك شعبنا بنا ، وقد أوقفنا أنفسنا للدفاع عنه بأنفسنا وأولادنا وأموالنا ، فلا يرى منا إلا كل ما يسر الخاطر ، والإخلاص يدعونا أن نبين لأمتنا ما عندنا ، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله .

نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »

الخطبة السابعة عشر : (١٣٥٦هـ) *

« من نعم الله علينا معرفة كلمة ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ ..

وكل إنسان يعمل بها تتم له السعادة .. فهذه الكلمة هي كل شيء ، ومضمون كل شيء ..

فإن كلمة ﴿ **لا إله** ﴾ هي كلمة نفي ، تنفي كل معبود سوى الله .. وكلمة ﴿ **لا الله** ﴾ إثبات العبادة له سبحانه وتعالى ، وهو – سبحانه وتعالى – خلق الخلق وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وكلهم يدعون إلى الله ، وآخر من أرسل هو صفوة الأولين والآخرين وسيد أهل السموات والأرض وأفضل جميع المخلوقات محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وكل إنسان لا يؤمن بكتاب الله ويعمل بحكمته ويؤمن بمتشابهها فهو ضال .. وكل إنسان لا يؤمن بمحمد وبما جاء به محمد ويصدقه بالأقوال والأفعال ويكون أحب إليه من نفسه وماله فهو ما عرف الله ولا آمن به ..

ولقد أوذي النبي ، وفعل قومه فيه الأفاعيل فقال له الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر** ﴾ .. و« الكوثر » نهر في الجنة من شرب منه شربة لا يظمأ أبداً .. و« صل لربك وانحر » معناها أن العبادة والنحر لله سبحانه وتعالى ولا تجوز لغيره .

لقد افتتح الله كتابه الكريم بهذه السورة ﴿ **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم** ﴾ .. أي توجيه الحمد لرحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ أي تثبيت وجود البعث في ذلك اليوم الذي قال عنه ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ . ﴿ **إياك نعبد وإياك**

---

* ألقاها في المأدبة الملكية الأولى في حفل تكريم كبار الحجاج .

نستعين ﴾ معناها معاهدة الإنسان ربـه علـى العبـادة ، وقد قال تعالى : **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** أي يوحدون ، وبعض أهل الضلال قالوا يا رسـول الله ما نعبدهم .. قال ألم يأمروكـم فتطيعوا ؟ .. فإذا قلت **﴿ إياك نعبد ﴾** معناها لا تعبد إلا الله ، وآمنت بما جاء في كتابه ، وما جاء به الرسول وأحببت من احب الرسول وصدقته وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، وطاعة الله هي محبة الرسول وما جاء به من السنة ، والمسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، والمسلم يفرح بعبادة الله وطاعته ولو من عدوه ، ويكره ما أغضب الله ولو من عمل نفسه ، قال تعالى : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يحادون من حـاد الله ورسوله ولو كانـوا آباءهـم وأبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾** .

فلما منَّ الله علـى عباده بالإسلام أرشدهم إلى العبادة ، ولكن الناس اختلفوا ، وقد قال النبي ﷺ : (افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) . وهذا دليل على أن كل إنسان يفترق عما جاء به الرسول هو في النار ، والنار يؤبد فيها المشرك والكاذب على رسول الله ومبغض رسول الله ، وأما أهل الكبائر وسائر الذنوب فمنهم من يبقى كثيراً ومنهم غير ذلك فرحمة الله وسعت كل شـيء ، كما أن المسلم لا يضمن للمؤمنين النجاة ولكنه يرجو المسلم الموحد الخير ، ويخاف على الآخرين من أهل الضلال ، والمسلم لا يجوز له أن يطلق الكفر على أمة بحالها ، فهذا على الإطلاق لا يجوز ، والناس مختلفون ، ولو أن الله توعدهم بقوله **﴿ ان الذين توفاهـم الملائكة ظالمي أنفهم ... الآية ﴾** ، وفي معنى الحديث ما حق الله على العباد وحق العباد على الله ، حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركـوا به ، وحق العباد عليه سبحانـه وتعالـى ألا يعذبهم .

قال تعالى : **﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾** فعلق لقاء ربه بعدم الشرك ، وقد قال النبي ﷺ : (أخوف ما أخاف على أمتي الشرك) .

يقول بعض الضالين ان القرآن مثل الأترجة ، وقد عصره العلماء فلم يبقوا منه شيئاً ، والحقيقة أن القرآن قدوة الناس إلى يوم القيامة ، وهو ينفع حافظه في ذلك اليوم العسير .

﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .. من كان من علماء هذه الأمة وكذب على الله ورسوله وغيّر ما جاء به الرسول فهو مغضوب عليه ، وقد قال النبي ﷺ : (أخوف ما أخاف على هذه الأمة الخوارج عليها من الذين تركوا المحكم وفسروا المتشابه وبهذا ضلوا) .. فيجب أن نؤمن بكتاب الله

وبمتشابهه ونؤمن بما جاء به محمد ﷺ ، ومن الناس من يقول آمنا ولكنهم يسبون أهل بيته ويسبون عمرا وعثمان وأصحابه ، وكيف ذلك وقد قال ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) .. ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلا باتباع سنة رسول الله والسلف الصالح من الذين هاجروا مع النبي وجاهدوا في سبيل الله ، فكل إنسان لا يحب الله وكتابه ورسوله فهو ضال ، والكلام في هذا يطول ، وأنا لست بعالم ، ولكن الحق برهان والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح ونحن لا نكفر أحد ، الا من كفره الله ورسوله ، وليس من مذهب سوى مذهب السلف الصالح ، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها . فأبو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل ائمتنا ، ومن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه . فإن لم يكن هناك نص وإنما هو الاجتهاد في الفروع فنتبع اجتهاد أحمد بن حنبل ، والأصل كتاب الله وسنة رسوله ، لا نفضل أحداً على أحد ، ولا كبيراً على صغير ، ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد ﷺ ، وان هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد ﷺ وهي قريش ؟ .. ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئاً ، ولولا ذلك ما عز سلمان الفارسي وبلال ، وما لعن أبوجهل وأبولهب . والفضيلة في الدين والرجال ، والعزة بالله لا بالحسب والنسب كما تقدم القول ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

والتقى ليس مجرد السجود ، ولكن بالتفرقة بين الحق والباطل ، فالإنسان منكم حين يدخل السوق لمشترى متاعه كيف يفرق بين الطيب والخبيث ؟ .. فإذا كان يفعل ذلك في أغراضه البسيطة فيجب أن يفعله في بدنه ونفسه فما الإنسان إلا جيفة قذرة تحمل العذرة في عظام نخرة .

ومن قال « أشهد أن لا إله إلا الله » ولم يقل « وأشهد أن محمداً رسول الله » لا تقبل منه ، وكل إنسان يدعو ولا يصلي على الرسول فهو ضال ، وكل من لا يرجو شفاعة محمد ﷺ لا يدخل الجنة ، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول يا رب محمد شفّع فينا رسولك محمداً ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وكلنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشفع فينا رسوله الكريم .

يقولون « التمدن » و « الحرية » .. وهل هناك أعظم من التمدن الذي ورد في كتاب الله من اتباع كل خير ، وتجنب كل شر ؟ .. وهل هناك حرية أكثر من قوله ﷺ (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) ؟ ..

أيها الأخوان ..

إنكم قد أتيتم من بلاد بعيدة ، وضربتم في البحار ترجون رحمة الله ، وهي قريبة إذا رجوتموها ، وهذا هو الخير والرحمة ، وليس لكم عندي إلا ثلاثة أمور .. الأول النصيحة فيما يوافق كتاب الله وسنة رسوله .. والثاني اني

أشْفَقُ عليكم من أهلكم وعيالكم وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم ..
والثالث أن أسهر على مصالحكم وأرعى شؤنكم ..
نسأ الله أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويؤيد الإسلام ، ويوفق المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه .. »

الخطبة الثامنة عشر : (١٣٥٦هـ)*

« من نعم الله علينا أنه ـ تبارك وتعالى ـ أرسل إلينا النبي الكريم محمداً ﷺ أفضل من في السماء ومن في الأرض .. وأرسل كتابه مع أمين السماء جبريل إلى أمين الأرض محمد ﷺ ، وبعثه من أشرف أمة وهي أمة العرب . ومن أشرف بقعة وهي البلاد المقدسة ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ ..

وهل أعظم رأفة ورحمة من تقرب العبد لربه وابتعاده عما يغضبه ؟ ..
لقد كانت الصلاة فرضت خمسين مرة في اليوم والليلة ، ولكن خففت إلى خمس .. وهذا من لطف الله ورحمته ، وبركة محمد ﷺ ، كما أن ثواب الخمسين صار في هذه الخمس ..

والصلاة فوائدها عظيمة ، وهي أفضل في الإسلام بعد الشهادتين ، لأنها تغسل النفس من الدرن كما تغسل الجسم بالماء وتطهره ..

وكل صلاة إذا قبلت يغفر الله بها الذنوب إلا الكبائر ، فيجب على المذنب أن يتوب عن ذنبه ويطلب المغفرة من الله ..

والإنسان يجب عليه ألا يقنط من رحمة الله ، ولا يغتبر بها ، فإن الله غفور رحيم شديد العقاب لمن يشاء ويعذب من يشاء ، وفرض الله علينا الصيام في شهر مبارك والصيام لطف من الله بعباده لأن من خصائصه الحسنات فلا تداخله السيئات ، ثم فرض علينا حج بيت الله الحرام ، والحقيقة أن الحج إذا قبل غفر الله به الذنوب ، وفوائد الحج كثيرة لا تحصى .. أولها أن الإنسان يؤدي فرضاً عليه لربه ، وثانيها أنه يجمع الخلق لمصلحتهم وتعارفهم ، وثالثها أنه يذكر الناس بيوم القيامة .. فإذا عرفنا ذلك وجب ألا نقنط من رحمة الله .. والمذنب يتوب ومن تاب تاب الله عليه ، وباب التوبة أمام ابن آدم مفتوح حتى يوافيه أجله أو تقوم الساعة .

ويجب على الناس أن يعتصموا بحبل الله ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ فالاعتصام بالله من صالح النفوس ، وبه يحصل الأمن والاطمئنان على النفس والمال ، وهو الحصن الحصين للإسلام والتفرق فيه الخذلان والشقاق .

فإذا عرفنا أن الفضيلة في اتباع القرآن وما جاء به محمد ﷺ ، وأن الله منَّ علينا بشفاعة نبيه ، وجب علينا أن نعرف عروبتنا لأننا مسلمون قبل كل

---

* ألقاها في المأدبة الملكية الثانية .

شيء .. وحقيقة العروبة لا ننساها مهما تطورت الدنيا وتزخرفت ، وابن آدم هو بشر على كل حال ، ولولا حب الدنيا ما عمر الكون ، وكل عمل مقدر على الإنسان أن يعمله ولكن ليس معنى ذلك أن يحمل كل ما يقع منه على القدر ، بل يرجع إلى ربه بالتوبة .

ويجب على الإنسان أن ينظر في نفسه وحالته ويختبرها ، فإن وجد نفسه من الذين منَّ الله عليهم بالدين والإيمان وحفظ الشرف فليشكر الله ليزيده ، وإن رأى خللاً في دينه أو وطنه أو شعبه أو بلده فليبحث عن الأسباب ويتقيها ، فإن لكل شيء سبباً .

والتكاسل والإتكال لا ينفعان ، فهذه الشريعة أمرتنا أن نركب وأن نرمي وأن نُستعد ﴿ **وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ .. فإذا عرف الإنسان حقيقة حاله يجب أن يجَّهد في علو نفسه وحسن سمعته ، فنحن عرب ولنا أن نفتخر بعروتنا ، نفتخر بديننا ، نفتخر بدعوة محمد ﷺ .. نفتخر بالإسلام ونجعله شعارنا . وبعد الإسلام نفتخر بالعروبة ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، والإسلام سوى بين المسلمين جميعاً لأنه هو الرابطة الحقيقية التي ربطت بين أرواحنا ، هو رابطة الأخوة الثابتة التي لا انفصام لها .

إن نعم الله كثيرة على هذه الأمة ، منها أننا جئنا آخر الأمم ، ويوم القيامة نكون أول أمة ، ومنها أن الله سبحانه وتعالى فضلنا بشفاعة محمد ﷺ وفضلنا بورود الحوض الذي لا يظمأ شاربه ، فيجب ألا تلهينا الدنيا وزخارفها عن ربنا وديننا ، ومنها أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بدين الإسلام وفيه كل الحرية وهل الحرية إلا أن تكون حراً في نفسك ؟ .. وهل الإسلام ملك أحداً أو أستعبد أحداً ؟ .. وهل سمعتم أبلغ من قصة النبي ﷺ يوم اشترى فرسه فجاء أعرابي وقال له : إنني اشتريتها قبلك .. فقال ﷺ : من يشهد لي ؟ فقال واحد من العرب : أنا أشهد لك .. فقال له : وكيف تشهد لي وأنت لم تكن حاضراً ؟ .. قال : وكيف لا أشهد لك وأنا أشهد لك وأصدقك وأطيعك وأصدق فيك خبر السماء ولا أصدقك ؟ .. فيتأمل الإنسان فضل الرسول وتواضعه وحرية الأعرابي معه .. هل سمعتم أن ملكاً من الملوك يفعل هذا مع رعاياه ؟ .. فما أجل هذه الحرية التي تسوى بين الكبير والصغير .

والحرية أن يكون الإنسان حراً فيما يملك ، ولك أن تتصرف في مالك كما تشاء إلا ما حرَّمه عليك ربك ، الدين لم يحرم علينا أن نلبس لباساً جميلاً أو نظيفاً ، وقد طلب النبي الفسحة في داره وقال « وسع لي في داري » ..

وسئل الرسول فقيل له أن أحدهم يلبس لباساً جميلاً وأن يكون نعله كذلك ، فقال : « إن الله جميل يحب الجمال » فالحرية في الإسلام مكفولة إلا ما حرم الله ، فإذا عرفنا حكمة الله وحقيقة أمره عرفنا أنه العدل الذي لا عدل سواه ، وأنه بعث إلينا أشرف مخلوقاته ويجب علينا أن نقدر نعمته وأن نشكره عليها حق شكره .

ويجب على الإنسان أن يحب دينه قبل كل شيء ، ثم يحب وطنه وشعبه .. لقد قام الناس يقلدون أوربا في القشور وفي الأخلاق والتقاليد مع أنهم ما قلدونا في شيء من هذا ، وإنما هم قوم حزموا أمرهم فإذا عرفوا أننا متفرقون ومتنابذون احتقرونا ، فيجب أن نتجنب كثرة الكلام ، وأن نتحلى بالحزم والتناصح فيما بيننا ، وأن نترك التفرق ونكون يداً واحدة ونجتمع علي كلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

هذه هي الحقيقة .. وهذا هو النصح الذي أنصح نفسي وأنصحكم به .. وأنا رجل لا أعرف تزويق الكلام وتنميقه لأنني لم أتخرج مثلكم من مدارس ، وإنما أنا رجل مسلم وأحب أن أؤدي واجب النصح لاخواني المسلمين فلا نضع ذنبنا على غيرنا .. يجب أن ننقي أنفسنا وننقي عنها الدرن وننظر في إصلاح ذات بيننا وننصر الله فينصرنا .

أسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويعز الإسلام والمسلمين .. »

الخطبة التاسعة عشر : (١٣٥٩هـ) *

« إن الأمر لله ، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، والأيام كلها عبر للمعتبر ، وعلى المسلمين أن يتفكروا في عبر الزمان ، وانظروا كيف أن أوروبا العظيمة بمدينتها التي أقامتها أصبح ما أعدوه كله ضد مدينتهم ولخرابها .

وهذا الموقف يسترعي الانتباه التام ، فإذا نظرنا للحال الواقع نرى أن دهاة أوروبا ورجال سياستها بقوتهم وعقولهم ، ما تمكنوا أن يدفعوا الشر عن أنفسهم ، والشر لم يتول عنهم ، ذلك قضاء الله وقدره لم تنفع فيه حيل السياسة ولا نفعت المدنية .

إن كل إنسان يجب ألا يقف هذا الموقف ، وأن يكون في نجوة عن هذا النزاع ، لذلك يجب على المسلمين عامة والعرب خاصة أن يتمسكوا بعرى الإسلام حتى لا تذهب ريحهم ، وأهم ما يجب عليهم القيام به هو معرفة الله ونصر الله ، قال تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ .

ويجب على المسلمين أن يتفقوا في ظاهر الأمور وباطنها ، وهذا لا يكون إلا بالعناية الشديدة بالإصلاح ، وبنفوس طيبة ، لأن الدعوة ولو كانت عظيمة وظاهرها كبيراً فلا تفيد إلا بالنية الصالحة ، لأن الأعمال بالنيات .

* ألقاها في الحفل السنوي التكريمي لكبار الحجاج في العاشر من ذي الحجة .

وكل شخص من هذه الأمة عليه أن يبذل حياته فيما ينفعه ، وإني ما أرى في حالة العرب والإسلام انتباهاً تاماً ولا تأهباً فيهم لأن يحنوا حنو أسلافهم حتي ينالوا بعض مقاصدهم أو بعض مطالبهم ، تلك المقاصد التي لا يمكن أن يدركوها إلا بالصدق فيما بينهم ، وإني لا أزال أرى آثار التفرق والتخاذل ظاهراً وباطناً ، وإني إذ أقول هذا أشعر بألم يحز في النفس ، ولكن القلوب الطيبة تعرف بأني ما أردت إلا الصدق .

إني أدعو إلى الاتفاق والاعتصام بحبل الإسلام ، وليس معنى قولي هذا أن يفهم منه أنني أدعو المسلمين إلى التعصب وقتال أوروبا ، فهذا قول لا فائدة فيه ، بل أقول اليوم يجب علينا التناصح وعدم التحاسد ، وأن نسعى لما يحفظ قوانا ، وأن نكون ضد كل شخص يعمل ضد الإسلام .

لقد تكلم معي كثيرون من الأوروبين ، وقالوا لنا ان حكومتنا تكرم الرجل الصادق الذي يقوم بحق بلاده ، فإذا صدقنا في أعمالنا وقمنا بحقوق بلادنا احترمنا القريب والبعيد .

وكل ما ندعو إليه هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم ، والذي نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العروبة أننا ما ننام ليلة إلا وأمر جميع المسلمين يهمنا ، يهمنا أمر إخواننا السوريين ، وأمر أخواننا الفلسطينيين وأمر إخواننا العراقيين ، واخواننا المصريين ، تهمنا حالتهم ويهمنا أمرهم ، ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه ذل أو خذلان ، لأننا نرى أنهم منا ونحن منهم ، كما تهمنا جميع بلاد المسلمين ، وإننا نرجو الله أن يوقظ المسلمين من غفلتهم ليتعاضدوا ويتعاونوا .

يجب على كل مسلم أن يأمر بالتآخي والتآزر لتكون كلمة الله هي العليا ، وأن تكون مصداقاً لقوله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان) .. فالغفلة غير طيبة ، وإني أخاطب اخواننا في مصر والعراق وسوريا وفلسطين فنقول لهم إن المصلحة واحدة والنفوس واحدة ...

نسأل الله أن يعز المسلمين ، وأن نراهم بخير وسعادة وهناء .. »

الخطبة العشرون : (١٣٦٢هـ) *

« من أكبر نعم الله على المسلمين أن جعل أركان الإسلام تلك الأركان الخمسة التي أولها كلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تلك الكلمة العظيمة الجليلة التي لأجلها كانت الجنة والنار والثواب والعقاب . وكلمة الشهادة هذه تنقسم إلى قسمين « لا إله » تنفي العبادات جميعها عن سوى الله ، « إلا الله » إثبات العبادة له سبحانه وتعالى ، وهي تشتمل على حكم ربانية باهرة ، وبعد الإقرار لله بالوحدانية

* في الحفل التكريمي التقليدي لكبار الحجاج .

لابد من الإقرار برسالة محمد ﷺ ، لأن من يقول « لا إله إلا الله » ولم يقل « محمد رسول الله » فقد كفر .

ومن يصلي ولم يصل على النبي لم تقبل صلاته ، ثم هي أمن من الشرك ، وقد قرن اله تعالى ذكر محمد باسمه ، وله ـ سبحانه ـ العظمة والكبرياء لأنه لا معبود سواه ، وهذا رد على من دعا الرسول أو طلب منه شيئاً ، لأنه ليس له من الأمر شيء والأمر كله لله تعالى ﴿ **ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله** ﴾ .

وكل شخص لا يرجو شفاعة محمد ﷺ فهو كافر ، ولكن الشفاعة لها طرق ، وهي أن يدعو الله أن يشفع فيه نبيه فيقول « يا رب شفع فيَّ محمداً » ، ويسأله أن يشفعه فيه .

وأما العبادة فلا تصرف إلا لله وحده ، لا لملك ولا لنبي مقرب ولا لنبي مرسل، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة التي وردت في آخر سورة « الذاريات » في قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .. ومعنى « يعبدون » أي « يوحدون » .. فالتوحيد خاص بالله تعالى ، والعبادة لا تنصرف إلا إليه ، والرجاء والخوف والأمل كله بالله ولله ، وما بعث محمد ولا أرسل الرسل ولا جاهد المجاهدين إلا لتوحيد الله تعالى .

ثانياً : إقامة الصلاة ، وهي شرط لازم للإسلام ومن لم يصل لا إيمان له ..

ثالثاً : إيتاء الزكاة ، والزكاة فضل من الله وهي زكاة الأعراض وزكاة الأموال وبها يسعد الناس ويشعرون بشعور بعضهم .

رابعاً : الصيام .. فصيام شهر رمضان فضل من الله لأن الأعمال كلها تعرض على الله يوم القيامة ويحاسب عباده ، إلا الصيام فإن الله يقول عنه « إنه لي وأنا أجزي به » ، وهو فضل من الله أيضاً لأنه جعل هذا الشهر المبارك تكفيراً للسنة كلها ، علاوة على أنه يشعر الغني بحالة الفقير ، ويبعث في قلبه الرحمة له والعطف عليه حتى يفزع إلى مساعدته ومعاونته ومؤازرته وفي ذلك من جميل التعاون ما فيه .

خامساً : حج بيت الله الحرام ، وقد جعل الله الحج من فضله علينا ولو مرة في العمر .. وفيه حكم كثيرة ، منها أن الناس يعبدون الله ويفردونه بالتوحيد منزهاً عن عبادة غيره ، لأن المقصود من مناسك الحج كالطواف حول الكعبة وغير ذلك هي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة .

ومن حكمه أيضاً أنه يذكر الناس بيوم القيامة لأنه مثل الحشر ، حيث يزدحم الناس مجردين من دنياهم ومن مخيطهم في لباس واحد وحالة واحدة ، ومن حكمه أيضاً أنه جعل المسلمين يتعارفون وان قيمة التعارف وحكمته وأهميته لا تخفى على أحد .

ولا أريد أن أطيل عليكم في هذا الإيضاح ـ بحمد الله ـ تعرفونه وتدركونه وما أردت إلا تذكيركم ، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

أما العبادة التي لغير الله فأصحابها كما وصفهم الله ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية** ﴾ فكل خشوع لغير الله أو خضوع لغير الله يوقع صاحبه في المهالك عياذاً بالله ، قال تعالى ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ ، ذلك رسول الله أنزل عليه الله كتابه مع أمين السماء جبريل ، فمن شك فيما جاء به محمد فهو كافر ، والمهم أن يكون ما يرد عن محمد صلوات الله وسلامه عليه صحيحاً وثابتاً عنه ، والإمام أحمد علم أولاده مئات الأحاديث المزورة ليجتنبوها لأن كثيراً من الأحاديث موضوعة ـ وضعها أهل الزيغ ـ أولئك الذين اخترعوا الكلام وتكلموا في متشابه القرآن وفي تأويله ، ومن لم يعمل بما جاء في كتاب الله فهو كافر ، لأنه لما انتشر أهل الزيغ وفسدت العقائد اختلف الناس إلى فرق وشيع ، فافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وقال ﷺ (ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .. قالوا وما هي يا رسول الله ؟ .. قال ما أنا عليه وأصحابي) ..

وقد أيد الله الإسلام والمسلمين بهذا السلف الصالح ، وهم الخلفاء الأربعة ورجال السلف الصالح ، وأنتم ـ يا أهل الأمصار ـ ما تملكتم الأمصار إلا بفضل الله وبالإسلام وعزته ، فانكم في الحقيقة عرب وأنتم من أصل هذه البلاد ، خرج أجدادكم إلى الأمصار ففتحوها فأنتم أصل واحد وترجعون إلى نسب واحد ، فإذا عرفنا ذلك وجب علينا أن نعرف أنفسنا كل المعرفة وأم نواجه الحقائق وذلك بإطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه ، قال تعالى :
﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .

فالذي يتمسك بكتاب الله فقد نجا من هول الآخرة ، والذي يتركه يهلك ، وكل شخص يأتي يوم القيامة وهو متأسف محزون ، فالمحسن يتأسف على ما فاته من زيادة في الأعمال الصالحة ، والمسيء يحزن على ما فرط منه في دنياه من الأعمال السيئة ، وأنتم أعلم بما أقول ، ويجب علينا ـ معشر المسلمين ـ من عربي وعجمي أن نتمسك بعبادة الله ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

وقد أعز الله الإسلام بسلمان الفارسي وبلال ، وأذل الشرك بأبي جهل وأبي لهب ، ولم تنفع هؤلاء قرابتهم من رسول الله ولا عمومتهم وذهبوا إلى النار ،

وهذا فخر للإسلام لأنه لا يبالي بالأحساب والأنساب ، وليس معنى هذا أن يترك الإنسان نسبه بل يجب عليه أن يعرفه ولا يفتخر به بل يفتخر بطاعة الله وبالإسلام الذي ينتسب إليه ، فإذا عرفنا هذا يجب أن نعرف أن لكل زمان حالاً ، وحالة زماننا هذا لا تخفاكم ، وتقلباته الواقعة لا تكاد تخطر على العقول ولا يمكن تصور أحداثها وما يتطور منها في الجو أو البر أو البحر ، والله وحده هو الذي خلق كل شيء ، ولقد أحاط بنا قوة من خلق الله من قوم عملوا ما عملوا بعلم الله لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يطاع إلا بإذنه ، ولا يعصى إلا بعلمه ، فيجب علينا أن نرد الأمر كله لله ، وأن نعرف أننا نعيش في شيء اسمه « الدنيا » وأن عرف أين من سبقونا من الأمم وماذا صار من أمرهم ، هم السابقون ونحن اللاحقون ، ونحمد الله على أن المسلمين نشأت فيهم روح طيبة ، وهي روح تبشر بزيادة الخير للمسلمين ، لأنه ما بينهم تخالف ولا تنافر ولا تخاذل .

والاتحاد العربي ، أو الاتفاق العربي ، الذي يتكلم فيه الناس روح طيبة عمل طيب وأقل مراتبه أنه يجمع الكلمة ، ولابد أن إخواننا الذين تكلموا معي من المصريين أو السوريين عرفوا ما قلت من أنه يجب علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نتخذ لنا جامعة من عقلائنا الذين ليست لهم مطامع ، حتى تلتئم الأحوال، وهذا هو رأيي من الأول وبيناه في الاجتماع الأخير ، وإذا نحن أرجعنا الأمر إلى بابه فيجب أن نتمسك بحبل الله ، وأن نتمسك بما كان عليه السلف الصالح ، فإذا تمسكنا بذلك نكن كلما من دعاة الله وتنطبق أمورنا على ما جاءنا من عند الله ، ونتكلم في أمورنا واقتصادياتنا على موجب تقوى الله لعله يلطف بنا ، وإن لم نفعل ذلك واتكلنا على أنفسنا فقط كنا كما قال علي رضي الله عنه : « نسوا الله فنسيهم » . قال : « إن الله لا ينسى ، ولكن إذا ترك العبد ربه تركه ربه فانقاد للمعاصي » ، وقال تعالى فيما روي عن رسوله : « وعزتي وجلالي ما اعتصم عبد بي دون غيري وكادته السماء والأرض ومن فيهن إلا جعلت له من بين ذلك فرجاً ومخرجاً ، وعزّتي وجلالي ما اعتصم عبد بأحد سواي إلا قطعته ارباً لا أبالي بأي واد هلك » .

فعلى المرء أن ينظر في حاله وفي أعماله ، فإذا وجدها مطابقة للشرع علم أنه على صراط مستقيم ، وقد مات محمد ، ومات الأنبياء ولم يبق إلا العمل الذي يكافأ عليه الإنسان بالنار أو الجنة ، والجنة رحمة والنار عدل ، فيجب أن نعتصم بحبل الله تعالى وأن نعمل بالسعي ولا سعي إلا بتوفيق الله (وما توفيقي إلا بالله) والحزم لا يكون إلا بالتوحيد ، ومسألة الوحدة العربية هي رعاية لصالح كل مسلم وكل عربي ، ولكني أرى ، وفي رأيي الذي أدين عليه ، أنه لا يتم شيء في الدنيا إلا بالعمل الصالح .

وان توفيق الله هو المقدم والنافذ ، بالأمس كان الألمان على أبواب العلمين وكان الجميع في اضطراب مستمر ، فلم يمض إلا عشية أو ضحاها حتى انقلب الحال غير الحال وأصبحوا في الأماكن التي تعلمون ، حيث تغلبت القوات البريطانية وحلفاؤها ، والله على كل شيء قدير ، فهذا من قدرة الله وتدبيره ، وأمر الله بين الكاف والنون (كن فيكون) ، والقوة وحدها لا تنفع ما لم تكن مؤيدة من الله سبحانه وتعالى .

أتمنى من سائر اخواننا العرب أن يبذل كل منهم جهده فيما ينفع جميع المسلمين وجميع العرب ، لأنه لابد لنا من الاتفاق لما يحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين ، وأن نطلب من الحلفاء أن يؤيدوا استقلال البلاد المستقلة ، وأن يساعدوا البلاد التي لم تستقل لنوال استقلالها ، ونحن في عملنا ومصادقتنا للحلفاء إنما نصادق أنفسنا ونحب أنفسنا حتى يبتعد الشر عنا ، فإن الجامعة الحقيقية التي يمكن أن تفيدنا وينصرنا الله بها هي الاعتصام بحبل الله والإيمان الخالص .

نسأل الله التوفيق ، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ، ويعز الإسلام والمسلمين .. »

الخطبة الواحدة والعشرون : (١٣٦٤هـ) *

« أننا معشر المسلمين ، يجب علينا أن نعتصم بحبل الله تعالى ، وأن نتمسك بسنة نبيه محمد ﷺ ونتبع هداه ونعمل بأوامر الله تعالى ونتنهي بنواهيه ..

إن كل كلام لا يتبعه فعل فهو باطل ولا صلاح للمسلمين إلا باتحادهم واتفاق الكلمة على توحيد ربهم ، وكل خلاف يجر إلى فرقة وانقسام ، والدين يأمرنا بالتمسك بشريعة الله والتواصي بالصبر ، كما قال تعالى في محكم تنزيله ، وأن نعرف ربنا حق المعرفة ونستعين به على استجابة دعاء الرسول لنا .

نحن لا نخشى إلا من ذنوبنا ، ويجب على المسلمين أن يعتصموا بالله ويتخذوا الإسلام ديناً ففي ذلك صلاح دنياهم واستقامة أمورهم .

إن مسألة فلسطين هي أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب في هذه الأيام ، وهي المسألة التي يجب أن تكون موضع عناية الجميع ومدار اهتمامهم ، ومع أنني لا أحب كثرة الكلام وأفضل على الدعاية العمل الصامت المثمر ، فإنني أقول بصراحة أن السكوت عن قضية فلسطين لا يوافق المصلحة . وقد سبق لي أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية كما تحدثت مطولاً مع الرئيس روزفلت ، وذكرت بكل صراحة الحيف الذي أصاب إخواننا عرب فلسطين والأعنات والقهر اللذين خضعوا لهما ، وطالبت وطلبت من الرئيس الراحل إنصاف عرب فلسطين إن لم يكن بالمساعدات الفعلية فعلى الأقل بالوقوف على الحياد وعدم مساعدة اليهود عليهم ، لأنه ما من شك في أن الحركة

---

* ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامها لكبار الحجاج في مكة المكرمة . وقد خصص الجانب الأكبر من خطابه للحديث عن قضية فلسطين .

الصهيونية تجند الأنصار والأتباع بالدعايات الواسعة في كل بلاد العالم ، بينما أن العرب ليس من يعضدهم إلا الله ثم حقوقهم الصريحة في أوطانهم ، وأن الحق والعدل والإنصاف تقضي بعدم إعانة اليهود على العرب ، وأنا لا أخشى اليهود لأن الله سبحانه وتعالى قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة ، فإذا كنا متمسكين بمعتقدنا عاملين بأوامر ديننا بإذن الله لا نخشى اليهود ولا نبالي بهم ، لأن الله تعالى معنا ، وهو ناصر دينه ومعل كلمته إن شاء الله .

إن الصهيونيين باذلون أقصى ما عندهم من جهود للتأثير على الحكومة البريطانية والرأي العام البريطاني لتبديل السياسة البريطانية بما يوافق منافعهم ومطامعهم ، وهم لم يستنكفوا ـ ولا يستنكفون ـ عن مقابلة إحسان الإنجليز الذين أحسنوا إليهم وساعدوهم في فلسطين بالإساءة ، فضربوا بذلك المثل الصريح علي نكرانهم للجميل ونسيانهم للأيادي البيضاء ، وقد أصبحوا يهددون الإنجليز من غير تورع ولا وجل ، ولذا فإننا نعتقد أن البريطانيين يدركون الآن تمام الإدراك المخاطر التي تنطوي عليها سياسة مجاراة اليهود في مطامعهم السياسية الواسعة .

فإن وجدنا أن العدل والإنصاف قد ضمنا ، وأن حقوق الوطنيين في بلادهم التي لا ينازعهم فيها منازع لا يشاركهم فيها أحد فهذا هو أملنا ، وإن كان الأمر غير ذلك فالواجب يقضي علينا ألا نجشم أنفسنا عناء قتال اليهود ، لأننا لا نراهم أهلاً لأن يقاتلونا إن شاء الله ولا هم أكفاء لنا ، ولكن المسألة ـ بطبيعة الحال ـ إنما هي بيننا وبين بريطانيا ، والمهم أننا إذا وثقنا بربنا وبما ضمنه لهذا النبي الكريم ولأمته بالنصر عليهم فلا حول ولا قوة إلا بالله أن يظهر ذلك عاجلاً أو آجلاً ...

وإنني أوصي الجميع بالرجوع إلى الله تعالي ، فهو القادر على كل شيء ، وهو الذي بيده كل شيء ، ويجب أن نتمسك بديننا وبما جاء به كتاب الله تعالى وشريعة نبينا ﷺ وهذا ما أوصي به نفسي وأوصيكم به ، وأسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويعز الإسلام وينصر المسلمين ، ويؤيدهم بروح من عنده ... إنه سميع مجيب ..»

الخطبة الثانية والعشرون : (١٣٦٥هـ)*

« نحمد الله تعالى الذي حفظ علينا ديننا وعروبتنا وقوميتنا ، وما ذلك إلا ببركة دعوة محمد ﷺ ، فقد أمننا الله في ديارنا وحفظها من الأسواء ووقاها الشرور .

وخير ما أنصح به المسلمين أن يتمسكوا بدينهم . ففيه العروة الوثقي التي لا انفصام لها ، ولو اتبع المسلمون أوامر دينهم لفازوا بكل أسباب النجاح

* ألقاها في منى خلال موسم الحج .

والسعادة ولكن ـ مع الأسف الشديد ـ فقد دبّت في المسلمين عناصر غريبة عن دينهم كانت سبباً في انحلالهم وتأخرهم ووصولهم إلى ما صاروا إليه .
فيجب أن نتعلم من العلوم ما ينفعنا وفي مقدمتها معرفة كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص وكلمة السعادة ، ويجب أن نعرفها ونفهمها ونعمل بها لأنها كلمة جامعة لخير الدنيا والآخرة ، ففيها إفراد الله بالربوبية وتوحيده بالعبودية (لا إله) تنفي العبادة عن غير الله (إلا الله) تثبت له العبادة سبحانه وتعالى ، كما يجب أن يتطهر المسلمون من البهرجة والزيف ، وأن يتمسكوا بدينهم . وخير ما يجب في هذا الصدد أن يفنى الإنسان في دينه والمحافظة عليه والعمل به ، لما اشتمل عليه من الفضائل ، ومن اتخذ الدين نبراساً له أعانه الله ، ومن تركه خلف ظهره خذله الله .
أسأل الله أن يرحمنا ، ويرزقنا اتباع سلفنا الصالحين الذين أقاموا قسطاس العدل ، فهم أسوتنا وهم قدوتنا إن شاء الله .
إنني رجل سلفي ، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة ، أما قدوتنا ـ إن شاء الله ـ فهو عمر بن عبدالخطاب في الخلفاء الراشدين ، ذلك الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى أرامل المسلمين ، وفي الأمويين عمر بن عبدالعزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل ، وانني أود أن نفنى ـ أنا وأولادي ـ في سبيل الله ، والمسلم لا يبيت في فراشه إلا على نية الجهاد ، وكذلك من لا يود أن يموت مجاهداً في سبيل الله لا يكون صحيح العقيدة . ولقد سبقت لي في الجهاد صفحات ماضيات ما باليت أن قطعت عضدي في سبيل الله ، لأنني لا أقبل في الله لومة لائم ، ولأن أكثر ما يهمني هو المحافظة على كلمة التوحيد ثم على محارم المسلمين ، ونسأل الله أن يحيينا عبيداً خاضعين مطيعين له ، خاشعين في عبادته صادقين في إيماننا ، وعلينا بعد ذلك أن نسأل الله تعالى فهو الذي يقول ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ ، وها نحن نقوب « لبيك اللهم لبيك » ولا يتم ذلك إلا بإخلاص العبادة والدعاء ، فإذا أصلحتم دينكم فاصلحوا الدنيا بالتواصي بالرحمة والتعاضد والتساند والتآخي والتمسك بالاتحاد لكي تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .. فإن تصبكم حسنة فمن الله ، وإن تصبكم سيئة فمن نفوسكم ، وانظروا إلى التاريخ كيف كان بنو إسرائيل حينما كانوا متمسكين بدينهم ، ثم كيف آل مصيرهم بعد أن غيّروا دينهم ، فصاروا إلى ما صاروا إليه .
ومن حكمة الله تعالى أن سوى بين عبداه ، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، والحسنة في ذاتها حسنة ولكنها من بيت النبوة أحسن ، والسيئة في ذاتها سيئة ولكنها من بيت النبوة أسوأ ، وقد أعز الله العرب

بمحمد ﷺ ، النبي الذي هو أفضل من الملائكة وسائر المخلوقات ، ومن حكمه أنه أعز الإسلام بسلمان الفارسي وبلال ، وأذل المشركين بأبي جهل وأبي لهب ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام ويزيل عنا الشر والعدوان ، وأن يوفقنا إلى العمل بما جرى عليه السلف الصالح ببركة الله ثم ببركة التعاون والتآلف ، وأوصيكم بالتعاضد والتساند وأن يحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه ..

يقولون أننا « وهابية » والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا ، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله ، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله ، ولقد صدق القائل :

فليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب

ونحن جميعاً مقصرون في أمور ديننا ، ولكن الله غفور رحيم ، وفي حديث قدسي عن الله (يا عبادي لو لم تذنبوا لخلقت عباداً يذنبون فيستغفرون فأغفر لهم) .

أما عن فلسطين فنحن لا نقصر عنها إن شاء الله ، وها نحن مجاهدون في سبيلها بحول الله ، وأنا لا أحب أن أقول « عملت » ولا أن أقول « سأعمل » ولا أحب الأقوال مطلقاً ، ولكن متى صلحت النية فالعمل حاصل إن شاء الله .. وها هي ذي الجامعة العربية ، سنوالي تأييدها بكل ما نستطيع ، وقد اتفقت فيها كلمة العرب ، والذي أرجوه أن يكونوا جميعاً يداً واحدة وألا يشذ منهم أحد وإلا فقد صح فينا قول القائل :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد   وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه   فواعجباً إن سالمتك الأباعد

ولازلت أوصي المسلمين بالاتحاد والتعاضد ، وإذا كنا ننكر أفعال اليهود أو غيرهم فيجب ألا نعمل أعمالهم ، ولا يجب أن نعيب ونحنو حذوهم ..

نسأ الله تعالى أن ينصر دينه ، وأن يعلي كلمته ، وأن يؤيد المسلمين في بقاع الأرض ويردهم إلى محجة الهدى والصواب ، ويرشدهم إلى ما فيه نفعهم وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم »

الخطبة الثالثة والعشرون : (١٣٦٨هـ)*

« الحمد لله الذي جعل من هذا البيت الحرام مثابة للناس وأمناً .. كما أحمده وأشكره – والشكر من نعمائه – أن يسر للناس حج بيته العتيق وجعل قلوبهم تهفو إليه ، ليشهدوا منافع لهم وتتآلف قلوبهم بذكر الله في هذه البقاع الطاهرة التي كانت منزلاً للوحي لهدى الناس أجمعين ، وأصلي وأسلم على رسول الله الذي بعثه بالهدى ودين الحق ...

---

* ألقاها بمناسبة افتتاح أول اذاعة في المملكة العربية السعودية بالنيابة عنه صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز .

وبعد .. فإنه ليسرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام ، في هذا اليوم المبارك ، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله ، وإخلاص العبادة له وحده ، كما أمرنا ربنا ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ..

ندعو حجيج بيت الله الحرام لنبذ كل ما يخالف أمر الله واتباع ما أمر الله به ، كما ندعو كل المسلمين لأن يجمعوا قلوبهم على كلمة الإخلاص ، وأن يلزوا ما بينهم من خلافات وأن يعتصموا بحبل الله ...

هذه دعوتنا لإخواننا المسلمين عامةً ، ولإخواننا العرب خاصة ، وإنا لنرجو الله مخلصين أن يتقبل من إخواننا حجاج بيت الله الحرام حجهم ، وأن يستجيب دعاءهم ، وأن يعيدهم إلى أهليهم فائزين ، غانمين بغفرانه ورضوانه ، وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... »